أدب الطفل والناشئة

قراءة في نماذج من القصة والرواية

د. إبراهيم الكوفحي

2020

أدب الطفل والناشئة

قراءة في نماذج من القصة والرواية

د. إبراهيم الكوفحي

أدب الطفل والناشئة

قراءة في نماذج من القصة والرواية

٢٠٢٠

• **أدب الطفل والناشئة**

قراءة في نماذج من القصة والرواية

• **د. إبراهيم الكوفحي**

• **الطبعة الأولى ٢٠٢٠**

•**الإخراج الفني: سمير اليوسف هاتف: ٠٧٩٩٦٧٧٥٦٩**

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢١٥٨/ ٧/ ٢٠٢٠)

٨١٣,٩٢٨٢
كوفحي، إبراهيم محمد
أدب الطفل والناشئة: قراءة في نماذج من القصة والرواية/ إبراهيم محمد كوفحي – عمّان: المؤلف، ٢٠٢٠
( ) ص
ر. إ.: ٢١٥٨/ ٧/ ٢٠٢٠
الواصفات: / النقد الأدبي/ / التحليل الأدبي/ / القصص العربية/ / أدب الأطفال/
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

• **(ردمك):** ISBN 978-9957-67-561-5

• **جميع الحقوق محفوظة للمؤلف.** لا يُسمَح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبَق من المؤلف.

• All rights reserved. No part of this book may be reproduced. stored in a retrieval system. or transmitted in any form or by any means without prior written permission of the author.

الإهداء

إلى أستاذي
الناقد والمترجم الكبير
الدكتور خليل الشيخ:
حُبّـًا.. وتقديراً.. ووفاءً.

إبراهيم الكوفحي

المقدمة

(١)

ترجعُ صلتي (بـأدب الطفل والناشئة) إلى منتصف التسعينيات من القرن الدابر، عندما تعرّفتُ إلى الصديقِ العَمّانيّ الأديب (محمّد جمال عمرو)، أحدِ أبرزِ المبدعين والمشتغلين في مجال أدب الأطفال وثقافتهم في الأردن والوطن العربيّ، إذ كان لهذا الأديبِ المعروف أكبرُ الفضلِ في التفاتي إلى هذا الأدب، والعناية به. ويكفي أنْ أومئ هاهنا إلى ما أفدتُه من اطّلاعي عن كَثَبٍ على تجربته الإبداعيّة خاصّةً، ومتابعة جهوده في هذا الميدان، ونشاطه الدائب في ساحاته المختلفة، وكذا من اختلافي المستمرّ إلى بيته آنذاك، في منطقة (المدينة الرياضية) بعمّانَ، حيث كان ملتقىً لعديدٍ من أدباء هذا الفنّ والمعنيين بصناعته من شعراء وقُصّاص وروائيينَ ورسّامين تشكيليين وصحفيين وناشرين..، أردنيين وغير أردنيين، إذ كانت تربطه وشائجُ متينةٌ بعددٍ غير قليلٍ من الأدباء العرب. ولَكَمْ انتفعتُ بحقّ من أحاديثهم عن تجاربهم الأدبية، ومن محاوراتهم النقدية، وأنظارهم الفنية، وخاصّةً أنه لم يكنْ لي قبلَ ذلك كلّه عنايةٌ ظاهرةٌ بأدب الأطفال، سواء على المستوى الإبداعيّ أو النقديّ، على الرغم من أهمّيته في تربية الأجيال، ونهضة المجتمعات، وصناعة مستقبل الأمة.

ثمّ تطوّرتْ علاقتي بهذا الأدب الموجّه إلى مرحلة الطفولة، حين أسند إليّ، في قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الأردنية، تدريس مقرّر

«أدب الأطفال: لغته وأساليبه»، ولا جَرَمَ أتاح لي ذلك أنْ أحيطَ على نحوٍ من التوسّع والتخصّصية بأكثرِ جوانبِ هذا الأدب، وأنْ أتابعَ الجمَّ الغفيرَ ممّا ينشرُ هاهنا وثمّة في مضماره من نصوصٍ إبداعيةٍ، ودراساتٍ نقديةٍ..، فضلاً عمّا يصدرُ من كتبٍ ومجلّاتٍ، سواء على المستوى الورقيّ أو الالكترونيّ. ولعل أبرز ما لحظتُهُ في خلال ذلك إقبال الطلبة غير العادي على دراسة هذا المقرّر الجامعيّ دون غيره، على الرغم من منافسة مقرّراتٍ كثيرةٍ له يمكنهم دراستها لكونه مقرّراً اختيارياً في خطّتهم العامّة لنيل درجة (البكالوريوس) في اللغة العربية وآدابها، وممّا تبيّن لي، وأنا أحاول تفسير هذه الظاهرة، استفاضة الإحساس لدى الطلبة ذكوراً وإناثاً بأهمية دراسة هذا المقرّر تحديداً، وخاصةً بعد سؤال أقرانهم ممّن درسوه سابقاً عمّا يفيدون منه في حياتهم ومستقبلهم، آباء وأمهاتٍ، أو معلمين وتربويين..، وممّا سمعتُهُ من أكثر الطلبة ممّن درسوا هذا المقرّر، أنّ أهمّ ما أفادوه من ذلك أنهم أصبحوا من المُكْنة في نقد الأعمال الأدبية الموجّهة إلى الأطفال في مراحلهم العمرية المختلفة، نقداً علمياً موضوعياً، إذ صار لديهم القدرة على استبانة عناصر جودتها أو رداءتها من الناحيتين : المضمونية والفنية في إطار نظرية أدب الأطفال كما تبلورت في الدراسات الحديثة، وهو ما يؤهّلهم لاحقاً لاصطفاء النصوص الأدبية المناسبة لأطفالهم في البيت، أو أطفالهم في مؤسسات التربية والتعليم، ذلك أنّ النصوصَ التي تُنشر وتقدّم لهذه الفئة العمرية ليستْ سواءً في ملاءمتها وصلاحيّتها، ومن المعروف أنّ لهذه الفئة خصوصيّتها فيما يقدّم لها من أعمالٍ أدبية، بالنظر إلى حاجاتها ومستويات نمائها المختلفة، فضلاً عمّا تتمتّعُ به من حساسيةٍ حادّةٍ في مسألة تقبّلها أو رفضها لِما يوضع بين يديها لمطالعته.

(٢)

يشتملُ هذا الكتاب على مجموعةٍ من القراءات في (أدب الطفل والناشئة)، تناولتُ فيها على وجه التحديد فَنَّي : القصة القصيرة والرواية، دون سائر أشكاله الأخرى، حيث جرى التوقّف عند واحدٍ وثلاثين عملاً، في محاولةٍ لتقديمها من خلال (قراءةٍ استطلاعيةٍ) ترمي إلى تنوير هذه الأعمال الإبداعية من نواحيها المختلفة المضمونية واللغوية والفنية. وقد حرصتُ على أنْ تأتيَ هذه الأعمالُ من التوسّع والتنوّع، فلمْ أقتصرْ في النماذج المدروسة على أعمال كاتبٍ واحدٍ، أو كُتّاب قُطْرٍ معيّنٍ، بل جاء مؤلّفوها ينتمون إلى عدّة أقطارٍ عربيةٍ، هي (السعودية، ولبنان، ومصر، والكويت، وفلسطين، والإمارات، والأردن، وسورية، وعُمان، والمغرب، والبحرين، والعراق). كما لم تقتصرْ هذه النماذجُ على معالجة موضوعٍ محدّدٍ، في إطار أهداف أدب الأطفال ومقاصده التربويّة والتعليميّة، بل تعدّدت الموضوعاتُ التي تتناولها، والمضامينُ التي يحاول الكُتّابُ إيصالها إلى المتلقّي/ الطفل أو الناشئ، كما نلحظُ على المستوى البلاغيّ والفنيّ تعدّدَ أساليب التعبير، وتقنيات التصوير، ووسائل الإثارة والتأثير- ممّا يُعين على تقديم صورةٍ من الإحاطة والصفاء لما يؤلّف ويُنشر للطفل العربيّ في وقتنا الراهن هنا وهنالك، وخاصة أنّ هذا العملَ سيتبعه قريباً، إنْ شاء الله، أعمالٌ أخرى على شاكلته، أي وفق هذه المنهجية، التي من السهولة أنْ يتبيّن القارئ في هذا الكتاب أبرزَ معالمِها وخطواتِها .ولعل من نافلة القول هاهنا أن نشير إلى فاعلية هذا الضرب من القراءة في مجال خدمة المواهب الإبداعية، (القصصية والروائية)، وتوسيع آفاقها، وإغناء

تجاربها، ومدّها بـالأدوات الفنية، وكذا إلى دوره في مساعدة الآباء والمربّين والمعلّمين على اختيار النصوص السردية النثرية المناسبة للأطفال، بحسب حاجاتهم وميولهم، ومستويات نموّهم المختلفة اللغوية والإدراكية والثقافية..

هذا، ومن الله الهُدى والتوفيق.

أ.د. إبراهيم الكوفحي
كلية الآداب، الجامعة الأردنية،
عّمّان / الأردن

القسم الأول

قراءة في نماذج (قصصية)

«عيد في إبريق»

لنوف عبد الله العصيمي

(١)

«عيد في إبريق» للكاتبة والرسّامة التشكيلية السعودية (نوف عبد الله العصيمي): قصةٌ دينية تعليمية، موجّهةٌ إلى أطفال المرحلة العمرية من (٦ – ٩ سنوات)، صدرتْ طبعتها الأولى عن (دار كادي ورمادي، بالسعودية، سنة ٢٠١٤)، وهي تقع في (٣٦ صفحة)، من القطع (٢٤ × ١٧ سم).

يقدّم العملُ حكايةً طريفةً، بطلتها طفلة اسمها (سما)، تعيش في إحدى دور رعاية الأيتام، ولديها إبريق صغير لونه أخضر، شديدة الحبّ له والتعلق به، حتى إنها كثيراً ما تتخيّل أنها في داخله!

وفي أحد الأيام تأتي مشرفة الدار لتخبرها أنها ستنتقل إلى بيت الجدّة (سعدية) لقضاء العيد الكبير، ولكن (سما) سرعان ما تبدي استغرابها من عبارة (العيد الكبير)، حتى لتسأل: كم هو كبير؟! كما تنهمر مباشرة أيضا أسئلة أصحابها في دار الأيتام عن هذا العيد..، إذ كانوا لا يعرفون عنه شيئا!!

وهنا تفكّر (سما) بشيءٍ غريبٍ، وهو أن تضع العيد في إبريقها الأخضر ثم تحضره لأصحابها للتعرّف إليه! وقد عرضت فكرتها على الجدة سعدية، فتعجبتْ من هذه الفكرة، وكيف يكون ذلك؟! ولكن

سرعان ما تخطر على بال الجدة فكرة، وهي أن تقوم (سما) بتوثيق أعمال العيد عن طريق آلة التصوير التي تحتفظ بها، ثم تضع الصور داخل الإبريق، لتشرح ذلك بعد ذلك لأصحابها، وتجيب عن أسئلتهم الكثيرة حول موضوع العيد، مفيدة أيضا مما تعلمته من الجدّ والجدّة وما شاهدته هي بنفسها وعاشته، من مثل: استعداد الجد للحج بلبس ثياب الإحرام البيضاء، وصيام يوم عرفة (لغير الحاج)، وسنة الأضحية وكيفية توزيع لحمها، وكذلك صناعة كعك العيد وتعاون الجارات على ذلك، وتجهيز دلال القهوة والشاي لاستقبال الأقارب والجيران والأصدقاء.. إلخ.

(٢)

تهدف القصةُ إلى تعريف الطفل بالعيد، ولا سيّما عيدُ الأضحى المبارك، الذي يرتبط بفريضة الحجّ وسنة الأضحية اقتداء بسيّدنا إبراهيم عليه السلام. ومن المعروف أن الطفل/ المسلم ليس بمعزلٍ، في أسرته، عن العيد ومظاهره المختلفة، نظراً لارتباطه بالأفراح والملابس الجديدة والهدايا والألعاب وزيارات الأقارب والجيران والأصحاب..، ولكنه كثيراً ما يتساءل، وخاصةً في المراحل الباكرة من العمر، عن فكرة العيد، وقد يجد من الكبار مَنْ يُصيخ إليه فيجيب عن أسئلته، وقد لا يجد.

ومن المؤكّد أنّ هذا الموضوع يزداد أهميةً بالنظر إلى الأطفال الألى لا يجدون آباءهم وأمهاتهم حولهم، لأيّ سببٍ كان، كما هو الشأن مع بطلة هذه القصة (سما) وأصحابها في دار رعايةٍ الأيتام.

وممّا يفيده الطفل كذلك من قراءة هذه القصة:

- ضرورة إعمال الفكر لحلّ المشكلات، مهما كانت صعبةً ومعقدة، وهو ما يستفاد من دور الجدة (سعدية) في مساعدة الطفلة (سما) عندما خطرت لها فكرة وضع العيد في الإبريق لأجل إحضاره لزملائها في دار الأيتام، وذلك حينما تهدّت الجدة إلى فكرة استخدام آلة التصوير، وهي فكرةٌ ذكية جدا.
- تعلّم غير قليلٍ من المسائل الدينية، من مثل: أفضلية العشرة من ذي الحجة، وإحرام الحاج، وصيام يوم عرفة (لغير الحاج)، وأهمية الدعاء في هذا اليوم، وذبح الأضحية وعلاقة ذلك برؤيا سيدنا إبراهيم عليه السلام وقصّته مع ابنه إسماعيل، وصلاة العيد..إلخ.
- التعرّف إلى بعض المظاهر الاجتماعية الحسنة التي ترتبط بالعيد، وخاصةً عيد الأضحى، من مثل: تعاون الجيران على صنع كعك العيد، وتنظيف البيوت وتجهيز دلال القهوة والشاي لاستقبال الضيوف خلال أيام هذه المناسبة، وكذلك لبس الثياب الجديدة، وصبغ أيدي الأطفال بالحناء، وتوزيع لحم الأضحية على الأقارب والجيران والفقراء.. إلخ.

(٣)

يشتملُ العملُ على غير قليلٍ من عناصر الإثارة والتشويق، ومن ذلك:

- عنوان القصة (عيدٌ في إبريق)، الذي يثير فضولَ المتلقي ويغريه بالقراءة، بسبب تشكيله الاستعاريّ، الذي يقوم على تجسيد

المعنويّ، خلافاً لمنطق اللغة العادية المألوفة.

- استخدام أسلوب (السؤال) في مستهلّ القصة، حيث تبدأ: «هل تعلمون عن بنتٍ صغيرة خبأت العيد؟ هل تعلمون أنها خبأته في إبريق؟ فما هي الحكاية؟» (ص: ٤).

- استخدام أسلوب (الحوار)، بنوعيه: الخارجي والداخلي.

- توظيف (الأغنيية الشعبية)، كما جاء على لسان الجدة، استبشارا بقدوم العيد: «بكره العيد.. وبنعيّد» (ص: ٣٠).

- استخدام (التكرار)، ومن أمثلته: «عيد في إبريق! عجيب.. عجيب!» (ص: ١٢)، وأيضا: «كل البيوت: رن! رن! رن! رن! رن!» (ص: ٣٢).

- استخدام الصور الفنية والإيحائية التي تعمل على إيقاظ خيال الطفل وتفاعله مع النصّ، من مثل: «فجأة، ارتبك الخروف! وانطلق كالصاروخ!» (ص: ٢٦)، وأيضا: «هل سيحب العيد الإبريق؟» (ص: ١١)، وأيضا: «قطار من الأمنيات تعلق بثوبها!» (ص: ٢٢)، وأيضا: «وتهاني العيد فراشات تطير!» (ص: ٣١).. إلخ.

- النهاية المفتوحة، فقد انتهت القصة بعودة الجد من رحلة أداء مناسك الحج، وتأهب (سما) لعودتها إلى أصحابها في دار رعاية الأيتام، لتقصّ عليهم رحلتها إلى بيت الجدة (سعدية)، «وتتقاسم معهم الأحلام بعيدٍ كبير.. كبير، مختبئ في إبريقٍ صغير.. صغير» (ص: ٣٥ـ٣٧).

(٤)

نتبيّن قدرة هذا الكتاب على تفعيل خيال المتلقي / الطفل، وشحذ حواسّه المختلفة، من خلال النقاط الآتية:

- العناية بالصور الفنية، القائمة على التشبيه أو التشخيص أو التجسيد أو التجريد..، (وقد ضربنا على ذلك الأمثالَ قبل هنيهةٍ).
- استعمال آلة التصوير في التعريف بالعيد، إذ تحتاج إلى مهارةٍ في اختيار اللقطات المكثفة الدالة على الأحداث المهمّة، مثل: مشهد وداع الجدّ، وهو يلبس ثياب الإحرام، وزوجته سعدية تساعده في ذلك، والدموع تملأ عينيها.
- توظيف فنّ الرسم، وذلك عندما راحت الطفلة (سما) تحاول رسم شجرةٍ مليئةٍ بالأزهار والعصافير، لتدلّ على العشرة من ذي الحجة، وهي أفضل أيام السنة، كما سمعت ذلك من الجدّ (ص: ١٦).
- احتواء الكتاب على العديد من الرسوم واللوحات الجميلة المعبّرة، التي من شأنها توسيع فضاءات النصّ الدلالية والإيحائية.

(٥)

وأخيراً، ينبغي أنْ أنبّه هاهنا إلى ما وَقَعَ من خطأ في تفسير كلمة (الكبير) التي تأتي في صفة عيد الأضحى، فمن المعروف أنّ هذا العيد يوصف بذلك، لأنه يستمرّ عدة أيام (من صباح يوم النحر إلى مساء ثالث أيام التشريق)، وذلك بالنظر إلى عيد الفطر الذي هو يومٌ واحدٌ حسب، وهو الأول من شهر شوّال.

وعليه، فليس صحيحاً أنه سمّي (بالعيد الكبير)، لأنّ القسم الكبير من لحم الأضحية يذهب إلى الفقراء، وهو ما فهمته بطلة القصة (سما) من جدّتها، حين أخبرتها: «أن أضحية العيد ثلاثة أقسام: لأهل البيت، وللجيران، وقسم كبير للفقراء»، إذ جاء تعليق الطفلة على ذلك بقولها: «آه.. من هنا اسمه العيد الكبير» (ص: ٣٢)، ولم يجرِ تصحيح ذلك لها، وهو خطأ ظاهرٌ! وإن كانت القصة تحاول أن تعظّم شأن الفقراء.

***

«البطاقة العجيبة»

لسمر محفوظ برّاج

(١)

(سمر محفوظ برّاج) كاتبةٌ لبنانيةٌ، متخصّصةٌ في مجال أدب الطفل والناشئة، وقد أصدرتْ حتى الآن أكثر من (٥٠ عملاً)، كما ترجمتْ عدةَ كتبٍ للأطفال عن الإنجليزية والفرنسية والإيطالية، وهي متنوّعة النشاط الإبداعيّ، إذ تكتب القصة والشعر والأغاني والمسرحيات.

من أعمالها المؤلَّفة، على سبيل التمثيل:

- لم أكنْ أقصد، ٢٠٠٧.
- رحلة في منقاد كوكو، ٢٠٠٨.
- الأرنب وملك الفيلة، ٢٠٠٩.
- الحيوانات: لماذا هي؟ ٢٠١٠.
- أمي والتدخين، ٢٠١١
- عندما مرضت صديقتي، ٢٠١١.
- جدتي ستتذكر دائما، ٢٠١٢.
- ماما نائمة، ٢٠١٣.
- خط أحمر، ٢٠١٤.

- ليلة غريبة جدا، ٢٠١٧،

أما أعمالها المترجمة عن الإنجليزية وغيرها، فمنها:

- ليلى والذئب، ٢٠١٠.

- بياض الثلج، ٢٠١٠.

- قمر رمضان، ٢٠١٠.. وغير ذلك.

(٢)

«البطاقة العجيبة»: قصةٌ تعليميةٌ تربويةٌ..، موجّهةٌ إلى أطفال المرحلة العمرية (٦ – ٩ سنوات)، تقع في (٢٨ صفحة) من القطع (٢٢ × ٣٠ سم)، وهي من منشورات (دار السلوى، بالأردن، سنة ٢٠١٤). أما الموضوع الذي تتناوله، فهو يتمحور حول وظيفة «الصرّاف الآلي»، وفكرة التوفير وعدم الإسراف في المال.

يقوم العمل على حكايةٍ بسيطة، بطلها طفلٌ اسمه (مروان)، يخبره والداه أنهما سيسافران مدة عشرة أيام، وأنه سيبقى في كفالة جدّته، فيحزن لسفر والديه، ولكنه سرعان ما يفرح حين يضمّه أبوه قائلا له: مروان، يمكنك في غيابي أن تأخذ ما تريد من دكان العم فريد في الحيّ ومن دكان العم حسان في المدرسة وأنا سأدفع لهما عندما أعود، ولكن تذكرْ.. في حدود. فلم يفهم مروان ماذا يقصد أبوه بكلمة «في حدود»، وأول ما يتبادر إلى ذهنه أنه يقصد عدم الابتعاد كثيرا عن حدود البيت أو حدود المدرسة، وفي ضوء هذا الفهم يستسهل مروان عملية الشراء من ذينك المتجرين، ولا يكتفي بأن يشتري لنفسه بل يشتري لزملائه في

المدرسة متباهيا أنه لا يدفع، وصار يبالغ في الشراء لهم حينما صاروا يسمونه (مـروان الكريم الذي لا يدفع)، مع علمه أن أباه هو الذي سيدفع، ولكنه كان يمعن في الشراء لاعتقاده أن أباه قادر على دفع أي مبلغ مهما كبر، لأنه يمتلك (بطاقة عجيبة)، يضعها في آلة في الشارع ويحصل على المال بكل سهولة، وقد رآه يفعل ذلك أكثر من مرة.

وعندما يؤوب أبوه من سفره يتفاجأ بكثرة مشتريات ابنه، فيغضب، ويقول له: أَلَمْ أقلْ لك ضمن حدودٍ؟ وعندها يفهم مروان ماذا كان يقصد أبوه بتلك الكلمة التي شدّد عليها، فيحاول أن يخفّف عن أبيه بتذكيره أنّ لديه بطاقةً عجيبة تعطيه المال كما يشاء، فيدرك الأب ما كان يتخيّله مروان من شأن آلة الصرافة، فيضحك حتى تدمع عيناه، وفي اليوم الآتي يأخذه أبوه إلى أحد المصارف / البنوك ويشرح له عن عمل المصرف وعمل هذه الآلة، وأن المال الذي تعطيه له ليس سوى المال الذي يحصله من تعبه وعرق جبينه، وأن البنك يشبه حصالة النقود التي يضع فيها الأطفال نقودهم ليس أكثر.

ثم تنتهي القصة بأنْ يشتريَ أبوه له حصّالةً جديدة، فيبدأ مروان بالتوفير لشراء دراجة أعجبته، ويبدأ والداه يفكران كيف يسدّد هو لهما فاتورة مشترياته الكثيرة.

(٣)

يكتسبُ موضوعُ هذا العمل أهمّيته من نقطتين أساسيتين:

- تعريف الطفل عملَ «الصرّاف الآلي» الذي أصبح مألوفـًا لديه، يراه منتشراً في الشوارع العامة أمام أبواب المصارف، كما يرى والديه

يستخدمانه بكثرةٍ عن طريق «بطاقات الائتمان»، فيعطيهم نقوداً، ولكن دون أن يعرف كيف جاءت هذه النقود..، ومن أين جاءتْ.

- تعليم الطفل مبدأ التوفير وعدم التبذير، وكذلك مبدأ الاستقلالية والاعتماد على الذات، كما نجد ذلك في قول الطفل مروان: «بعد مدةٍ قرّر أبي أن يعطيني مصروفـًا أسبوعيـًا، لأنني، كما قال، صرتُ أكبر. وقدّم لي أيضـًا حصّالة نقودٍ جديدةً» (ص: ٢٥).

(٤)

جاءت القصةُ على لسان بطلها الطفل (مروان)، ولا شكّ أنه أسلوبٌ محبّبٌ للأطفال، مما يساعد في دخولهم عالم القصة سريعـًا، والتفاعل مع شخصية بطلها. تبدأ القصة بفقرةٍ مشوّقةٍ، يظلّ معها المتلقي / الطفل في انتظار بقية الحكاية متسائلاً: ماذا بعدُ، فهي تبدأ كما يلي: «حزنتُ كثيراً عندما علمتُ أنّ أمي وأبي مسافران لمدة عشرة أيام، مع أنني أحبّ جدّتي وأتسلّى معها كثيراً..، لكنني فرحتُ عندما قال لي أبي وهو يضمّني: مروان، في غيابنا يمكنك أن تأخذ ما تريد من دكان العمّ فريد في الحيّ ومن دكان العمّ حسان في المدرسة. سأدفع لهما عندما أعود. لكن تذكرْ.. أكيدٌ، ضمن حدود» (ص: ٣). وقد جاءت هذه الكلمة الأخيرة (حدود) مكتوبة ببنط عريض أسود هكذا (**حدود**) دون سائر الكلمات، وهنا سيتساءل القارئ / الطفل مباشرة، لماذا جاءت هذه الكلمة تحديدا على هذا النحو الغريب؟ وما الذي سيفهمه مروان من هذه الكلمة، مما سيغريه بقراءة القصة ومتابعتها حتى النهاية. ولا شك أن هذا الأمر هو مدار القصة برمتها، إذ هي تسعى إلى تعليم الطفل

ضرورة الاقتصاد وعدم الإسراف، وتصحيح ما يمكن أن يفهمه الطفل خطأ من عمل الصراف الآلي، كما حصل مع مروان حين ظنّ أنّ أباه يملك بطاقة عجيبة، فبمجرد أن يضعها في آلة في الشارع، فإنها تعطيه ما يشاء من النقود دون أي حساب.

(٥)

يتصف المستوى الطباعيّ للكتاب بالجودة والملاءمة للفئة العمرية المستهدفة، حيث جاء القطعُ كبيراً، والخطّ واضحـًا، كما احتلّت الرسومُ واللوحات الملوّنة مساحاتٍ واسعةً من الصفحات الداخلية. وليس يخفى أهمية ذلك في الأعمال التي تقدّم لمراحل الطفولة المبكرة في توضيح النصّ اللغويّ وإغنائه، وكذلك في إيقاظ حواسّ الطفل وشدّ انتباهه.

***

«طائر الوروار»

لحسن عبد الله

(١)

الأديب اللبنانيّ (حسن عبدالله) كاتبٌ متمرّسٌ في مجال أدب الأطفال وثقافتهم، فأعماله في هذا المجال من الوفرة والتنوّع، فهو يكتب القصيدة والقصة والمسرحية، وقد أربتْ أعمالُه حتى الآن على (٥٠ كتاباً) للأطفال، بين منظومٍ ومنثورٍ، ومن ذلك، على سبيل التمثيل:

- أبو الحنّ الهدار، مجموعة قصصية ، ١٩٨٢.
- كتاب القصص، مجموعة قصصية تعليمية ، ١٩٨٤.
- الثور والقمر، مجموعة قصصية ، ١٩٨٦.
- طرائف القصص، قصص تراثية مبسطة ، ١٩٨٨.
- سلسلة المصباح، قصص في ٢٠ كتابا ، ٢٠٠٩.
- أنا الألف، مجموعة شعرية، ٢٠٠٩.
- السمكة المفكرة، قصة، ٢٠١٣.
- صديق النجوم، قصة، ٢٠١٧.
- الذئب والصدى، مجموعة قصصية، ٢٠١٧.

(٢)

«طائر الـوروار»: قصةٌ تربويةٌ تعليميةٌ، موجّهةٌ لأطفال المرحلة العمرية المتأخرة من (١٠ – ١٤ سنة)، صَـدَرَتْ طبعتها الأولى عن دار أكاديميا انترناشيونال، ببيروت، سنة ٢٠١٥)، وهي تقع في (٤٧ صفحة) من القطع (٢٨ × ٢٢ سم).

يتناول الكاتبُ في هذا العمل موضوع: سلامة البيئة ونظافتها، والرفق بالحيوان، حيث نجده يعالج ذلك من خلال قصةٍ، تقع في أربعة فصولٍ، أبطالها ثلاثة أصدقاء (الراوي وطارق ومروان) كانوا يؤذون الطيور والحيوانات الضعيفة في محيط القرية التي يعيشون فيها، ثم حصل تحوّلٌ إيجابيّ عندهم من هذه الناحية، بعد سلسلة أحداثٍ مرّوا بها، ليصبحوا غبّ ذلك من أكثر الناس رفقًا بالحيوان والطير، والمحافظة على نظافة البيئة ومقدراتها.

تبدأ القصة عندما يهوي أحد طيور الوروار جريحًا مهيض الجناح نتيجة تعرضه لعملية صيد بالبندقية، وهنا يأخذ الأطفال الثلاثة بملاحقته للإمساك به، ولكنه يتوارى في كومة أعشابٍ يابسةٍ قريبًا من سياج إحدى الحدائق، فيقرّر أحدهم (طارق) ويصرّ على حرق هذه الأعشاب، ليخرج الطائر ويتمكن من الإمساك به، وهو ما حصل فعلا، ليمتدّ الحريق بعد ذلك إلى الحديقة المجاورة، ويتسبب في إحداث أضرارٍ بيئيةٍ كبيرة، فيحبس الأطفال على إثر ذلك في سجن البلدية، ثمّ يطلق سراحهم بطلب من صاحب الحديقة. ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحدّ، فقد عوقبوا أيضا بطردهم من المدرسة ثلاثة أيام، كما أصبحوا محل سخرية زملائهم بوصفهم وحوشا يتلذذون بآلام الحيوان

والطير، وأنهم يكرهون الطبيعة النظيفة الجميلة، ويسعون إلى تلويثها وتشويهها..، حيث كانوا يطالعون ذلك كله في مقالات تنشر عنهم في مجلة الحائط المدرسية التي كان يشرف عليها مجموعة من زملائهم الطلبة (شادي ونبيل) ممن يعنون بالبيئة وسلامتها من التلوث، وقد أدى ذلك إلى كرههم لذينك الزميلين والصدام معهم..

أما لحظة التحوّل الإيجابيّ عند أبطال القصة، فتبدأ عندما يعثرون بالمصادفة على طائر الوروار الجريح قابعـًا في تجويف جذع شجرةٍ، ومن هنا يتغير سلوكهم مع هذا الطائر، ليبدأ التعاون بينهم على مداواته من جراحه بإرساله إلى مركز العناية الطبية في دار البلدية، ثم الاعتذار من زملائهم (أصدقاء البيئة)، وانضمامهم إليهم في مشروع المحافظة على البيئة، لتنتهيَ القصةُ غبّ ذلك بشفاء طائر الوروار، وانطلاقه حراً إلى فضاءاته القصيّة.

(٣)

لا جَرَمَ أنّ موضوع (المحافظة على سلامة البيئة ومقدّراتها..) من الأهمية بمحلّ، وقد أصبحت الدول الراقية اليومَ توليه عنايةً فائقةً، وهي عنايةٌ تبدأ مع الطفل في سنّ باكرةٍ، ليظلّ ذلك راسخـًا في فكره وسلوكه مدى الحياة.

أما أبـرز ما يمكن أنْ يفيده الطفل، ويتعلّمه..، من قصة «طائر الوروار»، فهو على النحو الآتي:

- عدم إيذاء الحيوانات والطيور الضعيفة التي تعيش في بيوتنا ومن حولنا كالقطط والكلاب والدجاج والعصافير.. إلخ .

- عدم التهاون في إشعال النار بالأعشاب اليابسة، لأنها قد تمتدّ لتحرق الحدائقَ والغاباتِ المجاورةَ.
- الرفق بالحيوان، بإطعامه ومداواته من جراحه، وعدم تركه ليواجه الموت المحقّق.
- ضرورة منع الصيد الجائر والمضرّ بالبيئة، كصيد السمك مثلا عن طريق المتفجرات.
- المحافظة على سلامة البيئة من التلوّث، وخاصة تلوث الماء والتربة.
- هذا، إلى غير ذلك من القيم والأنماط السلوكية الإيجابية: كالتعاون على البرّ، والوفاء للصديق، والشجاعة في قول الحقّ، والإحساس بالمسؤولية .. إلخ .

(٤)

يُعنى العملُ بتفعيل طاقة التفكير الإبداعيّ لدى القارئ / الطفل، وهو ما يتبدّى جليـًا من خلال الدور الإيجابيّ والمبادرات المهمّة التي قام بها (شادي ونبيل)، من مثل: تخصيص مجلة حائط في المدرسة تُعنى بسلامة البيئة ونظافتها، فتنشر كل ما يتعلق بذلك من مقالات ورسومات.. والمشاركة في حملة لمنع صيد السمك في النهر المجاور لقريتهم عن طريق المتفجرات. وأيضا، فقد كان للمقالة التي كتبها أحدهما تحت عنوان «انتقام الطائر الجريح» دورٌ كبيرٌ، في سياق القصة، في تحوّل زملائهم من أعداء للبيئة إلى أصدقاء لها، إذ كان تأثير هذه المقالة عليهم عظيما .

ولا ريب أنّ مثل هذه المبادرات الذكية تخصّب خيال المتلقي / الطفل، وتدفعه إلى أنْ يفكر بمبادراتٍ ومجالاتٍ إبداعيةٍ أخرى، يخدم بها مجتمعه، والبيئة من حوله .

(٥)

جـاءتْ لغةُ القصّة، سـواء على مستوى المفردات أو الجمل والتراكيب، مناسبةً للفئة العمرية التي يتوجّه إليها الكاتب، فالألفاظ في حدود مستواها اللغويّ والإدراكي، كما أنّ الجمل ليستْ ممتدّة، أو معقدةً. ويمكن التدليل على ذلك، مثلاً، من خلال الفقرة الآتية: «ركـض طـارق لالتقاط الكرة، وركضنا خلفه. وعندما وصلنا إلى المكان الذي استقرت فيه الكرة، وقفنا مدهوشين! فقد كان طائر الوروار، الذي طاردناه منذ أيام، قابعا داخل الفجوة! وكانت الكرة التي قادتنا إليه مستقرة بالقرب منه» (ص: ٢٦) .

كما جاء أسلوبُ القصة من السلاسة والحيوية، بعيداً عن الجمود والتوجيه المباشر الذي ينفرُ منه الطفلُ عادةً ولا يحتمله، إذ اسطاع الكاتبُ أن يقول ما يريد أن يقوله، ويرسّخ ما يريد أن يرسّخه من قيم واتجاهاتٍ سلوكيةٍ حسنةٍ عن طريق تقديم النماذج الإنسانية المجسّدةً لذلك، في بناء قصصيّ أخّاذ، يسهم في إمتاع الطفل، وانفعاله إيجابيا بما يقرأ.. ويقف عليه من شخصياتٍ وأحداثٍ ومواقفَ. وقد سلفت الإشارة إلى ذينك النموذجين من الطلبة: نموذج أعداء البيئة، ونموذج أصدقائها، وما دار بينهما من صراع، لتكون الغلبة في نهاية الأمر إلى

الفريق الثاني، وهو ما يعزّز إعجاب الطفل بهذا الفريق وما يقوم به لصالح البيئة النظيفة، ويشجّعه على الانتماء إليه.

(٦)

حرص الكاتبُ حسن عبد الله على توفير غير قليلٍ من عناصر الجذب والتشويق في هذا العمل القصصيّ، ومن ذلك:

- السرد بضمير (المتكلم)، حيث جرى تقديم القصة على لسان أحد أبطالها، وهو أسلوبٌ محبّب للطفل، إذ يساعده على تقمّص دور البطل، كما يعطيه شحنةً من الشجاعة للحديث عن نفسه.
- تقسيم القصة إلى أربعة فصولٍ قصيرةٍ، شديدة الترابط فيما بينها، حيث ينتهي كل فصلٍ بسؤالٍ تحفيزيّ، يظل معه الطفل حريصا على المتابعة، متشوقاً إلى معرفة ما سيحصل، وإلى ما ستنتهي إليه القصة. فعلى سبيل التمثيل، فقد انتهى الفصل الأول الذي عنوانه (مطاردة)، كما يلي: «وقد تأخر عقابنا على ذلك ما يقارب الأسبوع، فماذا كان هذا العقاب؟» (ص: ١٤). كما انتهى الفصل الثاني (ضحك في ملعب المدرسة) على النحو الآتي: «وكان يمكن لهذه الخصومة أن تشتدّ وتستمرّ، لولا أن طائر الوروار نفسه قد تدخل، بعد أيام، وقلب الأمور رأساً على عقب! فكيف حدث ذلك؟» (ص: ٢٧).
- بناء حبكة القصة على الصراع، حيث نجده هاهنا بين فريقين: أعداءِ البيئة ومفسديها، وأصدقائها ودعاة المحافظة عليها، وهؤلاء وهؤلاء زملاء، تضمّهم مؤسسةٌ تعليميةٌ واحدة.

- توظيف شخصيات من عالم الطير، مثل شخصية (طائر الوروار)، وهذا الضرب من الشخصيات محبّب للأطفال، يستهويهم ويثير اهتمامهم، وخاصةً أنه طائرٌ جميلٌ، وريشه ملوّن.
- استخدام أسلوب الحوار، الذي يزيد من حيوية النصّ، ويسهم في شدّ انتباه الطفل، وطرد إحساسه بالملل.

(٧)

وأخيراً، يتميّز كتاب «طائر الوروار»، على الصعيد المادي والشكليّ: تصميمـًا وطباعةً ورسومـًا وألوانـًا وتجليداً وورقـًا..، بصناعته المتقنة، ومناسبته للمرحلة العمرية التي يخاطبها، وهو ما يساعد على دفع الطفل إلى اقتنائه، وتحفيزه إلى قراءته.

وقد يشار هاهنا إلى لوحة الغلاف الخارجيّ التي راحتْ تجسّد النهاية السعيدة لطائر الوروار بشفائه من جراجه وكسوره، وانطلاقه حراً في السماء إلى غاياته البعيدة..، هذا فضلا عن الرسوم الداخلية الكثيرة التي جاءتْ معبّرةً عن أبرز الأحداث في القصة والمواقف المثيرة فيها، ويلحظ أنها جاءتْ متداخلة مع النصّ، تقابله في صفحاتٍ مستقلة تارةً، وطوراً في تمازج معه بألوانها الزاهية.

ومن المعروف أنّ الأعمال الأدبية للأطفال ليستْ بطاقاتها اللغوية حسب، وإنما هي بإمكاناتها البصرية والطباعية كذلك، وخاصةً مع تطور تقنيات الطباعة والتصميم والإخـراج الفنيّ، وهـو ما جرى استغلاله على نحوٍ واعٍ في إخراج هذا العمل.

***

«ورقة القيقب الحمراء»

لفاطمة شرف الدين

(١)

يقدّم كتاب «ورقة القيقب الحمراء»، الصادر عن (دار تورننغ بوينت للنشر والتوزيع، ببيروت، سنة ٢٠١٥)، للكاتبة والمترجمة اللبنانية (فاطمة شرف الدين)، قصةً مستمدّةً من التراث الشعبيّ الصينيّ، كما يفيد العنوان الفرعي على صفحة الغلاف. وهو يأتي في إطار مشروعها العام الذي تطمح من خلاله إلى إغناء مكتبة الطفل العربية، لتصبح في ثروتها كغيرها من المكتبات الأجنبية، في اشتمالها على كتبٍ ذات قيمةٍ أدبية جيدة، وأسلوبٍ أخّاذ، لتشجيع الطفل على القراءة باللغة العربية.

ولعلّ من المناسب أنْ نذكر هاهنا أنّ الكاتبة شرف الدين قد تفرّغتْ تفرّغـًا كاملاً لهذا المشروع منذ عام ٢٠٠٠، مما جعل نتاجها في ميدان الكتابة للأطفال من الغنى والتنوّع، لتربوَ أعمالها المنشورةُ حتى الآن على (١٠٠ كتاب)، ومن ذلك، على سبيل التمثيل:

- أسبح كالسمكة، ٢٠٠٧.
- أرنب سعيد، ٢٠٠٨.
- في مدينتي حرب، ٢٠٠٨.
- أشغال ومهن، ٢٠٠٩.

- لو كنت طائرا، ٢٠٠٩.
- العصفورة أم الأخبار، ٢٠١٠.
- فاتن، ٢٠١٠.
- حذاء العيد، ٢٠١٠.
- هكذا أمور تحصل، ٢٠١٢.
- جدتي لا تسمعني، ٢٠١٢.
- أبجد هوز، ٢٠١٣.
-أصدقاء إلى الأبد، ٢٠١٣.
-حورية والأمير، ٢٠١٣.
- ليلى والحمار، ٢٠١٦.
- الروزانا، ٢٠١٧.
- كابوتشينو، ٢٠١٧..، وغيرها.

(٢)

«ورقة القيقب الحمراء»: قصة حبّ رومانتيكية، موجّهةٌ لأطفال المرحلة العمرية المتأخرة من (١٠ - ١٤ سنة)، بطلها شابّ وسيمٌ شجاعٌ، اسمه (ليان)، يعيش مع أمه في بيتٍ ريفيّ..، وفي يومٍ من الأيام يقع في غرام غادةٍ حسناء اسمها (يوجاي)، فيقرران الزواج والسكن في بيته مع أمه، ولكن زوجته مع الزمن لا تحتمل كثرة انتقادات أمه لها فتخبر زوجها، فيقرر مباشرة أن يترك بيت الوالدة ويرحل مع حبيبته،

وفي الطريق يمران على حديقة زهور حمراء ونهر أحمر فتشرب يوجاي منه فتنتعش وترتاح بسرعة، فيتعجب ليان ويشعر أن المكان مسحورٌ، فيقرر الرحيل عنه، وفي الطريق يستريحان في بيت امرأةٍ عجوز تحسن معاملتهما، ولكنها عندما تسمع قصتهما، وأن يوجاي شربت من ماء النهر تحزن حزنا شديدا، لأنّ معنى ذلك أنهما سيفترقان بسبب رجل الجمر الذي يخرج من ورقة القيقب الحمراء في فصل الخريف ويخطف كل فتاةٍ جميلة شربت من النهر، (بسبب أنه كان قد أحبّ امرأةً جميلة لم تكنْ تحبه وولتْ هاربةً منه عن طريق هذا النهر). وهو ما حصل فعلاً عندما حلّ الخريف، فيقرر ليان أنْ يخاطر ويغامر لتخليص حبيبته من هذا الرجل الشرّير الساحر، الذي يسكن في كهفٍ في عمق الجبل الأحمر، وفي خلال ذلك يتعرض ليان لمصاعبَ شتّى مثل الحبل الذي يتحول تنينـًا ينفث ناراً حامية، ومن ذلك أيضا عندما يخلق الساحر فتاتين تشبهان حبيبته، ليموّه عليه ويخدعه، ولكنه يتجاوز ذلك كله، ويعرف حبيبته من خلال آثار الحزن البادية على محيّاها، فيأخذها ويهرب بها بعيدا عن رجل الجمر، لتنتهيَ الحكاية بالعودة إلى بيت المرأة العجوز «التي كانت كالأم لهما،.. وأصبحتْ كالجدة لأطفالهما فيما بعدُ».

(٣)

من الواضح أنّ موضوع القصة يتناسب مع المرحلة العمرية المقدّم لها، وهي مرحلة الطفولة المتأخرة، إذ كان الطفل في هذه المرحلة ميّالاً إلى هذا النوع من القصص التي تبنى على المثالية، وتمتزج فيها المغامرة مع العاطفة.

أما أبرز ما يمكن أنْ يستخلصه الطفلُ من هذه القصة، فهو أن يكون وفيًا لمن يحبّ، حريصا على التضحية من أجله، وأنْ لا يستسلم لعدوّه، مهما كان حجم القوة التي يملكها ويهدّد بها، إذ على المرء أنْ يكون من الشجاعة والصبر وحبّ المغامرة إلى أبعد الحدود.

(٤)

كتبت القصةُ بلغةٍ رشيقةٍ، وأسلوبٍ جذّابٍ.. يُغري الطفل بالقراءة والمتابعة، فألفاظها مناسبةٌ لا تحوج الطفل إلى استعمال القاموس أو تقطع عليه متعته في متابعة الحكاية بسببٍ من عدم معرفته بعض الألفاظ الغريبة. كما جاءت الجمل أيضًا في حدودٍ مناسبة.. ومترابطة، لا تشتّت ذهن الطفل، ولا تتعبه في عملية الفهم.

وأيضا لم تقتصر القصةُ على السرد والإخبار، بل نجدها تهتمّ بالحوار الذي يسهم في الكشف عن عالم الشخصية وتفاعلاتها الجوّانية، وهو أسلوبٌ محبّبٌ للقارئ / الطفل. كما عُنيتْ القصة بأسلوب الوصف، الذي يؤدي دوراً مهمّاً في تفعيل مدركات الطفل وتوسيع خياله، وقد جاء ذلك في حدود ضيقة، بحيث لا يباعد بين أجزاء الحكاية، أو يعقّد فهمها.

وهنا يمكن أن نمثّل على ذلك بهذا المقطع الدال (ص: ١٣ ـ ١٤):

(اضطرب ليان كثيراً وحار بما عليه فعله كي يخلص حبيبته. فكر بعض الوقت ثم قرّر: «سألحق به لأعيد يوجاي» .

«لا تذهب للبحث عنها، فهو سوف يقتلك»، أجابته المرأة بصوت حزين.

«لا أقدر أن أعيش من دون حبيبتي، ولن أعود إلا معها».

حين أصر على الرحيل، أعطته المرأة سكينا، فهو قد يحتاج إليه للدفاع عن نفسه، ثم أوصته: «اذهب إلى كهف في عمق الجبل الأحمر. يوجاي موجودة معه هناك». انطلق ليان على حصانه القوي، وبسرعة هائلة عبر الجبل الأول ثم الثاني، وهو يقفز فوق الصخور الكبيرة ويجتاز أشجار الغابات الكثيفة، إلى أن وصل إلى قمة الجبل الأحمر).

ومن أبرز عناصر التشويق التي نجدها تشدّ الطفل إلى قراءة هذه القصة ومتابعتها:

- استهلالها بعبارة «كان يا ما كان في قديم الزمان..».
- توليد مجموعة من القصص الفرعية في إطار القصة الرئيسة.
- حبكتها التي تقوم على تصوير الصراع بين الأخيار والأشرار، وهو ما يجعل الطفل مستثاراً طوال القصة، متفاعلاً معها، حريصـًا على متابعة أحداثها.
- استخدام المفارقات التصويرية لتعميق ما يُريغ النصّ إيصاله إلى المتلقي / الطفل وتقديمه على نحوٍ أوضـح، كما نجد ذلك في تقديم صورتين مختلفتين للأم، (أم ليان والأم التي آوى إلى بيتها مع زوجته)، وكذلك في تقديم صورتين للزوج / العاشق (ليان من ناحية، ورجل الجمر / الساحر من ناحية أخرى).
- شحذ حواس الطفل وإيقاظ خياله من خلال بعض الصور الوصفية (على مستوى المفردات)، والمغامرات المثيرة، ورسم الأشكال الغريبة.

- هذا، فضلا عن عناصر التشويق البصرية من خلال الطباعة والألوان واللوحات الداخلية المعبرة عن الأحداث وملامح الشخصيات وحركتها.

(٥)

مما يلحظ أنّ العملَ يحاول أنْ يفيدَ من تراث الأمم الأخرى (التراث الشعبي الصيني هنا)، ولا بأس في ذلك.. وكثيراً ما يغني ويفيد، ولكن كان أحرى، في رأيي، أن يجريَ التنبّه إلى بعض ما يتعارض مع قيمنا وثقافتنا..، فنعمد إلى (التصرّف) في أرومة النصّ الأجنبيّ وفق ما نهدف إلى غرسه في أطفالنا، وما نسعى إلى تنشئتهم عليه، لأن الهدف ليس تسلية الطفل وإمتاعه، على أهمية ذلك، وإنما التنشئة السليمة، في نهاية الأمر.

ومن هنا أرى أنّ القصة من النجاح في مستواها اللغوي والفني، ولكنها ليست كذلك في جانب المضمون أو بعدها التربوي. فعلى الرغم من أنها تسعى إلى ترسيخ قيم: الحب، والوفاء للحبيب، والتضحية من أجله، وأن يعيش الإنسان حرا في هذه الحياة، شجاع الرأي، قويّ العزيمة، لا يستسلم للمصاعب..، فإن ثمة بعضَ المواقف والأحداث في أصل الحكاية التي يتأسس عليها العمل ربتما يكون مردودها سيئًا على الطفل الذي نخاطبه، ومن ذلك على سبيل التمثيل:

- عندما تَرَكَ الابنُ والدته تعيش وحيدة في البيت، دون مصدر رزق يكفل لها العيش، إذ كان هو الذي يزرع ويحصد، ثم يبيع ذلك في السوق (ص: ٢).

- عندما اتخذ الابنُ قرار رحيله عن أمه بشكلٍ سريع، استجابةً لرغبة زوجته ، دون أن يتأكد من صحة كلامها على أمه وشكواها من معاملتها لها، حين قالت له: «أمك تعاملني بقسوة وتصفني بكلمات جارحة» (ص: ٥). لأن ذلك لا يدلّ عليه كلام الأم حين كانت تقول للزوجة مثلا: أنتِ لا تحسنين صنع الطعام، أو أنّ غسيلك لا يزال متسخا، أو اكنسي البيت مرةً أخرى.. إلخ (ص: ٢). إذ كان أخلق به أن يتريث قليلا، ويقف على جلية الأمر، لا أنْ تكون ردة فعله سريعة «.. نترك البيت الليلة ونرحل بعيداً» (ص: ٥). والغريب أنه يرحل عن أمه دون أن يحاورها حول أصل المشكلة أو يستأذنها، فقد جرى رحيلهما بشكلٍ سري كما تدل عليه عبارة: «عند منتصف الليل، تسلل ليان ويوجاي إلى خارج البيت على حصاني ليان الهزيلين، وانطلقا في عتمة الليل من دون وجهة معينة»!! (ص: ٦).

- عندما عمد رجل الجمر / الساحر إلى خلق فتاتين يشبهان يوجاي، ليموّه على ليان، ولعل من شأن ذلك تشويش إيمان الطفل العربي بالله سبحانه وتعالى، أو تعميق إيمانه بفعل السحرة . هذا إلى غير ذلك من من أعمال السحر والخرافات التي يجدها الطفل في خلال القصة، كتحول ورقة القيقب إلى رجل الجمر وقصة التنين الناري، الأمر الذي قد يضر بعقل الطفل، فيؤمن بالخرافات على حساب الربط بين الأسباب والمسببات، وهي القاعدة الأساسية التي يتأسس عليها التفكير السليم و الحضارة الإنسانية.

***

«الحقيبة العجيبة»

لأميمة عزّ الدين

(١)

للكاتبة المصرية (أميمة عز الدين) أكثر من عشرة أعمالٍ قصصية في مجال أدب الأطفال. وقد جاءت قصتها الحالية الصادرة عن (دار الساقي، ببيروت، سنة ٢٠١٥) في إطار عنايتها، بصورةٍ عامة، بمشكلات الطفولة المختلفة، كمشكلة الفقر، مثلا، كما في هذه القصة، ومشكلة الإعاقة، كما في قصتها «أحلام مريم»، ومشكلة العمى، كما في قصتها «أصابع زينب»، ومشكلة السخرية من العيوب الخَلْقية، كما في قصتها «أنفي كبير» ، ومشكلة الخوف بأنواعه، كما في قصتها «الأسوار البيضاء».. إلخ.

وهي إلى ذلك تكتب الرواية لجمهور الكبار، ولها في مجال هذا النوع الأدبيّ ثلاثة أعمالٍ منشورة هي:

- الحرير المخملي، ٢٠٠٧.
- نصف ساعة بالممر، ٢٠٠٨.
- الكاتبة، ٢٠١٣.

(٢)

عالجت المؤلّفةُ مشكلة الفقر في هذا العمل من خلال قصةٍ بسيطةٍ، تبدأ زمنيـًا مع اقتراب العام الدراسي الجديد، الذي أخذ يؤّرق الطفلة (ليلى) بسبب حقيبتها القديمة الممزقة، «التي ستجعل منها في المدرسة أضحوكة رفاقها وموضع سخريتهم»، ولكنها تحاول التغلب على هذه الهواجس بتذكار كلمةٍ لمعلمة مادة العلوم كانت تكررها كثيراً، وهي أن الأشكال والمظاهر لا قيمة لها، وإنما قيمة الإنسان بقلبه المملوء بالحب والخير ..

وفي الغرفة المقابلة كانت أم ليلى هي الأخرى تبيت ليلها في أرقٍ وقلقٍ، بسبب هذا الموضوع، ولكنها كانت طوال الوقت تشحذ فكرها في حلٍ هذه المشكلة، وقد تهدّتْ أخيراً إلى فكرة صناعة حقيبةٍ جديدة لابنتها تصنعها بيديها، وفي هذه اللحظة تتذكر أمَّ خوخة العجوز التي تبيع صوف الأغنام بثمنٍ زهيد (بضع حبات من التمر). وفعلاً راحت تقايضها لأجل الحصولٍ على قليلٍ من الصوف، لتستمرّ القصة بعد ذلك في أكثر صفحاتها مع أم ليلى في مراحل صنع الحقيبة، بدءاً من مرحلة تنظيف الصوف حتى لحظة مفاجأة ابنتها بحقيبتها المدرسية الجميلة،التي وصفتها بقولها: «إنها..أجمل من كلّ الحقائب التي يحملها رفاقي» (ص: ٢١)، وتنتهي القصة حين تضمّ ليلى أمَّها بفرحٍ شديد قائلة: «سوف أضع في هذه الحقيبة أحلاميَ المكتوبة ورسوماتيَ الملونة» (ص: ٢١) .

(٣)

لا ريب في أنّ مشكلةَ الفقر من المشكلات الاجتماعية الخطيرة، التي لها آثارها السيئة على نفسية الأطفال والتلاميذ خاصةً، وربّتما ظلّت هذه الآثار ناشبةً في شخصياتهم وسلوكياتهم أمداً طويلاً.

ومن هنا تكتسب هذه القصةُ أهميتها من حيث محاولتها التقليلَ من شأن هذه المشكلة، وتقديم بعض الحلول لها، بالاعتماد على الذات، وضمن الإمكانيات المادية المتاحة، وهو ما يتمثل بدور (الأم) الفقيرة، التي استطاعتْ أن تصنعَ حقيبةً مدرسيةً جديدةً لابنتها، بدلاً من حقيبتها القديمة المهترئة، مما أدخل السرور إلى نفس الطفلة، وجعلها تستقبل عامها المدرسيّ الجديد بكلّ ثقةٍ وفرحٍ ونشاطٍ .

ومما يُلحظ خيال الأم الواسع في تشكيلها الجماليّ لحقيبة ابنتها، فهي لم تقف في صنعها عند حدود وظيفة الحقيبة النفعية، بل راحت تجتهد في تزيينها وتزويقها..، ولا شك أن من شأن ذلك أن يلفت انتباه الطفل إلى أهمية هذا البعد في حياته، فيرهف من ذوقه وإحساسه. وفي هذا الجانب نقرأ: «وأخيراً خاطت عليه أزرارا ملونة كانت تحتفظ بها في صندوق خشبي. ثم بخيطان الصوف الصفراء خاطت هلالا أصفر وسط الحقيبة. وعلى جانب الحقيبة، لم تنس أن تخيط وردة جورية حمراء! الوردة المفضلة لدى ليلى» (ص: ١).

وليس يخفى ما ترمي إليه القصةُ كذلك من تعليم البنات في هذه المرحلة فنّ غزل الصوف ونسجه، الذي من شأن تعلّمه وإتقانه أن يخفف غير قليلٍ من معاناة الأسر الفقيرة، ليس في مجال توفير الحقائب

المدرسية حسب، وإنما كذلك في توفير الملابس التي هي الأخرى كثيراً ما يبهظ شراؤها ربَّ الأسرة العائل، ويحمّله من العبء ما لا يطيق.

(٤)

افتتحتْ الكاتبةُ أميمة عزّ الدين قصتها بالقول: «لم تنمْ ليلى تلك الليلة. بقي يومانِ على بداية العام الدراسي، وحقيبتها المدرسية القديمة أشبه بالغربال..» (ص: ٢).

وهي بدايةٌ مشوقةٌ، تشدّ االقارئ إلى متابعة حكاية ليلى وحقيبتها المدرسية البالية، وخاصةً في لحظةٍ مؤرقةٍ للأطفال، وهي بدء العام الدراسيّ، ولقاء الطلبة والمعلمين .

بعد ذلك تقدّم الكاتبة لقطتين متزامنتين:

الأولى، تصوّر مشاعر القلق والتوتر عند الطفلة ليلى، مع اقتراب العام الدراسي الجديد، بسبب حقيبتها البالية التي تسبب لها الشعور بالخجل أمام الناس، وخاصة أمام زميلاتها في المدرسة.

والثانية، تصوّر مشاعر القلق والألم عند الأم، لعدم قدرتها على شراء حقيبةٍ جديدة لابنتها الحبيبة، بسبب قلة ذات اليد ومطالب الحياة الكثيرة.

ثم تنتهي القصة بحلّ المشكلة وتجاوزها، فقد استطاعت الأم، بذكائها وإبداعها الـذاتي، أن تصنع حقيبةً جديدةً لابنتها في حدود إمكاناتها المادية البسيطة، بعيداً عن سؤال الناس أو الاقتراض منهم.

ومما يشار إليه هاهنا إسهاب الكاتبة في الجزء المتعلق بمراحل غزل الصوف وصنع الحقيبة، ولعل هذا الإسهاب يهدف إلى أمرين:

الأول، بيان الجهد الكبير الذي بذلته الأم في صنع الحقيبة وتجهيزها، مما يعزز لدى المتلقي/ الطفل إحساسه بعظمة الأم ودورها الأساسيّ في تربية أبنائها وتعليمهم ورعايتهم.

والثاني، تعليم البنات فنّ غزل الصوف ونسجه بطريقةٍ يدويةٍ، لأهمية ذلك في التغلّب على المشكلات المالية التي تواجهها بعض الأسر هنا وثَمّ، وهو أمرٌ كثيراً ما يستهوي البنات في هذه المرحلة العمرية، كما يعدّ أيضا مجالاً واسعـًا للتنافس بينهنّ وإظهار قدراتهنّ على الإبداع.

(٥)

لقد سعت الكاتبةُ إلى إيصال رسالتها التربوية والتعليمية بطريقةٍ فنيةٍ، من القدرة على اجتذاب الطفل، والتأثير فيه، وهنا يمكن الإلماع إلى النقاط الاتية:

- استخدام المفردات السهلة والجمل القصيرة، التي لا تتعب الطفل في قراءتها أو تعيق فهمه.
- الاستعانة بالصور الفنية، كما في قول المؤلفة: «وحقيبتها المدرسية القديمة أشبه بالغربال» (ص: ٢). وأيضا «أما الكتب فكانت تمدّ برأسها خارج الثقوب بفضول كبير» (ص: ٣). وكذلك «أخذت كمية من خيطان الصوف الملونة كقوس قزح» (ص: ١٨).
- استعمال تقنية تيار الوعي (من حديثِ نفسٍ وتداعي ذكرياتٍ.. إلخ)،

ومن أمثلة ذلك: «أفكار كثيرة تدور في رأس ليلى: سيضحك رفاقي على حقيبتي العجيبة! سيكون منظري مثيرا للسخرية. لكنها سرعان ما تذكرت وجه معلمة مادة العلوم الجميل، وهو يبتسم بحب وحنان، ورنّت في أذنها جملة المعلمة الشهيرة: تذكروا يا أحبتي.. إلخ» (ص: ٤-٥).

- تفعيل حواسّ الطفل، وأكثر ما نجد ذلك في الجزء التعليميّ، الذي استطردتْ فيه المؤلفةُ استطراداً ظاهراً، وهو الجزء الذي يتعلّق بمراحل صنع الحقيبة، بدءاً من مرحلة غسل صوف الأغنام إلى استوائها حقيبةً جميلة، أصابت ابنتها بالدهشة، وأدخلت إلى قلبها الفرح.
- احتواء الكتاب على العديد من الرسوم المناسبة في تشكيلها وألونها للفئة العمرية الموجّه إليها، وأغلب هذه الرسوم جاءت توضيحا لمراحل صنع الحقيبة التي صنعتها الأم الفقيرة لابنتها الصغيرة، تلميذةِ المدرسة.

***

«بلا قبّعة»

للطيفة بطي

(١)

(لطيفة بُطي) مبدعةٌ كويتيةٌ، من مواليد سنة ١٩٦٦، استهلّتْ حياتها الأدبية بإصدار مجموعتين قصصيتين للكبار، هما: «عروس البحر»، وقد صدرتْ عن (شركة المختلف، بالكويت، ١٩٩٩)، «وبلدي انينكايو»، وهي من منشورات (دار علاء الدين، بسوريا، ٢٠٠١). ثم تحرّفتْ منذ سنة ٢٠٠٢ إلى ميدان الكتابة للأطفال، ويبدو أنها قد وجدتْ ذاتها في هذا الميدان، إذ انصرفتْ إليه بكلّيتها، فلم يفترْ لها نشاطٌ، ولم تضعفْ لها همّة، وهو ما جعلها تتسنّم مكانةً مرموقةً، وتحقّق حضوراً أدبياً بارزاً، سواء على مستوى الكويت، حيث تعدّ تجربتها من التجارب الرائدة في هذا البلد، أو على مستوى الوطن العربيّ.

نشرتْ بُطي في ميدان أدب الأطفال الجمَّ الغفيرَ من الأعمال الإبداعية (النثرية)، وخاصّة في مجال القصّة والمسرحية، وأكثر ما لها من هذه الأعمال قد صَدَرَ عن (دار سيدان ميديا، بالكويت)، و(دار الهدهد للنشر والتوزيع، بدُبي). وممّا نشرته هذه الأخيرةُ، على سبيل التمثيل، لا الحصر:

- الآنسة دجاجة، ٢٠١٦.

- قريقعان والكنغر، ٢٠١٧.
- الجرو سلوقي، ٢٠١٧.
- سلوقي والسلطة، ٢٠١٨.
- نام اليربوع الصغير، ٢٠١٨.
- سلوقي والطقس، ٢٠١٨.
- سلوقي وكرة الجوارب، ٢٠١٨.
- سلوقي في رحلة برية، ٢٠١٨.
- حفل عشاء من أجل هالي، ٢٠١٨.

كما أعادتْ الكاتبةُ صياغة العشرات من الحكايات الشعبية الكويتية وتقديمها بصورةٍ جديدةٍ تناسبُ جمهورَ الأطفال والناشئة، ولعلّ أبرز ما أخرجته في هذا المجال مجموعة قصصية، تحت عنوان «الشيخ سلمان وبنت الرمان»، صدرتْ عن (دار النخبة، بلبنان)، باللغتين العربية والإنجليزية.

وقد حصلتْ بُطي في ميدان الكتابة للأطفال على عدّة جوائزَ عربيةٍ، ومحليةٍ (كويتية)، منها: جائزة الشيخ زايد للكتاب (فرع أدب الطفل والناشئة (في دورتها الحادية عشرة (٢٠١٦ _ ٢٠١٧) عن كتابها الحالي « بلا قبعة »، وجائزة المركز الأول في مسابقة التأليف المسرحي لأطفال المرحلة الابتدائية والمتوسطة على مستوى دولة الكويت عن مسرحيّتها «الصياد صالح» سنة ٢٠٠٩، وكذا جائزة المركز الثاني في مسابقة التأليف المسرحيّ للأطفال على مستوى الوطن العربيّ التي

أقامها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في دولة الكويت سنة ٢٠١٣ عن مسرحيتها «أميرة البحر سالمة»، التي نشرتْ فيما بعد بضميمة كتابها «ديدمونة الصغيرة» مع مسرحيّتين أخريين.

(٢)

«بلا قبعة»: قصةٌ خياليةٌ رمزيةٌ ممتعةٌ، موجّهةٌ إلى أطفال المرحلة العمرية المتوسطة من (٦ – ٩ سنوات)، صدرتْ عن (دار سيدان ميديا، بالكويت، سنة ٢٠١٥)، وهي تقعُ في (١٦ صفحة)، من القطع (٢٤ × ٢٠ سم).

بطلة هذه القصة طفلةٌ ذكيةٌ، تولد بقبّعةٍ تغطّي وجهها ورأسها، كغيرها من أفراد مدينتها التي تدعى «مدينة القبّعات»، فلا ترى غيرَ لون الظلام، ولا تسمع غير السكون، ولا تشمّ غير رائحة القبّعة التي تتنفّسها!!

وعندما تكبر قليلاً، تبدأ تفكّر وتتساءل في نفسها عمّا وراء هذه القبّعة من عوالمَ جديدةٍ مختلفةٍ عن عالمها الضيّق المحدود؟ فكّرتْ أن ترفع قبّعتها بنفسها لترى العالمَ الخارجيّ، ولكن سرعان ما خطر لها خاطرٌ مزعجٌ جعلها تتريّث قليلاً، وهو أنْ يكون ثمة شيءٌ مخيفٌ خارج القبّعة، بيدَ أنها سرعان ما تردّ على هذا الخاطر بقولها: ولكنّ الشيء المخيف سيكون موجوداً حتى لو كانت القبّعة على رأسها، وقد لا يوجد شيءٌ من هذا القبيل أصلاً، ومن هنا تتشجّع.. وتحاول أن تجرّب رفع قبّعتها، ولكن ببطءٍ وحذرٍ شديدٍ..، وعندها تكون المفاجأة، فقد رأتْ عالمـًا مختلفـًا (.. شمّت رائحة الورود والحشائش.. ورأت القمر

والنجوم تتلألأ راقصة في السماء.. وسمعت حفيف الشجر يحركه نسيم الهواء، كما سمعت صوت الطيور تتحرك في أعشاشها.. إلخ)، فتصيح في دهشٍ وفرحٍ: واووو.. يا له من عالم جميل! فيعرف سكانُ المدينة أنها خلعتْ قبّعتها، وأنها صارتْ مختلفةً عنهم، فيطلبون منها أن ترحل عن مدينتهم، « مدينة القبعات »، فتحزن الطفلة.. لأنهم لا يعرفون هذا العالم الطبيعيّ الجميل الذي اكتشفته بمجرّد رفع قبّعتها، فتطلب منهم أنْ يسمحوا لها بالبقاء ريثما تصنع لنفسها قبّعةً جديدةً، فيفكّرون قليلاً.. ثمّ يعلنون موافقتهم على ذلك، فتنسج لها قبعةً مختلفةً، لا تحرمها رؤية العالم الخارجيّ الجميل الذي رأته، فلمّا فرغتْ من صنعها طلبتْ منهم أنْ يجرّبوها..، فجرّبوها، فدهشوا لِما رأوا من روعةٍ وجمالٍ ونورٍ..، «ومنذ ذلك اليوم، لم يعدْ يولد طفلٌ وعلى رأسه قبّعةٌ، وصار أهل المدينة يحتفلون بتطيير القبّعات، تحيةً لـ (بلا قبّعة) التي بفضل شجاعتها، عرفوا عالمـًا جميلاً ملوّنا» (ص: ٣٣) .

(٣)

ترمي هذه القصةُ إلى خلق جيلٍ عربيّ مبدعٍ، يفكّر ويسأل ويبحث ويجرّب..، لأجل اكتشاف الجديد من المعارف والعوالم، وتغيير الواقع المعيش نحو الأفضل، سواء على مستوى الفرد أو المجتمع .

وهو ما يفيده المتلقي / الطفل من قراءة هذا العمل ويخرج به، إذ استطاعت الطفلة (بلا قبّعة)، بطلة القصة، في نهاية المطاف، أنْ تنقذ المجتمع الذي تعيش فيه، وأنْ تخرجه من الظلمات إلى النور، وذلك حين راحتْ تفكّر فيما وراء واقعها المألوف، وتتساءل..، وتغامر في

البحث والتجريب، فانتهتْ إلى ما انتهتْ إليه من حلّ مشكلة القبعة التي ولدتْ بها كغيرها من أفراد مجتمعها، فحرمتها كما حرمتْ غيرها من تفعيل طاقة الحواسّ، ومن الانفتاح على الفضاء الخارجيّ الرحيب، والاستمتاع بمناظر الطبيعة الأخّاذة .

وليس يخفى أنّ القصة تعلّم (المنهجية العلمية في البحث)، بدءاً من الإحساس بالمشكلة وتحديدها، إلى طرح الأسئلة أو وضع الفرضيات، ثم الوصول إلى النتائج أو الحلّ. وقد تجلّتْ هذه الخطواتُ ضاحيةً فيما قامتْ به الطفلة / البطلة، فكان على يديها إنقاذ سكّان مدينتها، ونقلهم من ضيق القبّعة، إلى دنيا أوسع، وعالمٍ أجمل وأمتع.

كما تدعو إلى أنْ يكون الباحثُ العلميّ واثقًا من نفسه، شجاعًا، وأنْ يدير اختلافه مع الآخرين بطريقةٍ هادئةٍ ذكيةٍ، تقوم على أساس المحاورة والإقناع، وليس على أساس الصدام والعنف. وهو ما يتبيّنه القارئ / الطفل، بطريقةٍ غير مباشرةٍ، من سلوك بطلة القصة، عندما طلب منها قومُها أن تزايلَ مدينتهم على الفور، لأنها أصبحتْ مختلفةً عنهم بخلع قبّعتها التي ولدتْ بها، فقد طلبتْ منهم أنْ يسمحوا لها بالبقاء قليلاً ريثما تصنع لنفسها قبّعةً جديدةً، وبذا أوهمتهمْ أنها رضختْ لهمْ، وتنازلتْ عن نتائج بحثها..، ولكنها حين تصنع قبّعةً جديدةً لنفسها، فإنها لا تصنعها قبّعةً تقليديةً على شاكلة قبّعات قومها، التي تغطّي رؤوسهم ووجوهم، ولا تسمح لهم برؤية شيءٍ من الفضاء الرحب، والطبيعة الساحرة، بل تصنعها على نحوٍ مختلفٍ عن هذا الضرب الشائع من القبعات، بحيث تأتي ملائمةً لنتائج بحثها، واكتشافاتها المهمّة التي توصّلتْ إليها، ولا يمكن أن تفرّط بها مهما كان الأمر، فقد

صنعتْ لنفسها قبّعة «ترى منها نورَ القمر وضوءَ الشمس، وتسمع خريرَ الماء وغناءَ الطيور، وتشمّ رائحة الورود والزهور» (ص: ٢٥).

وهي لم تتوقفْ عند هذا الحدّ، بل كانتْ من الشجاعة والدهاء، بحيث طلبتْ من أفراد مجتمعها أن يجرّبوها..، ليشاهدوا بأعينهم ما شاهدته هي خارج عالم القبّعة الضيق. وهكذا استطاعتْ أن تقنعهم بخلع قبّعاتهم التي ولدوا بها، بشكلٍ نهائيّ، لينفتحوا على آفاق الدنيا الواسعة، ويستمتعوا بجمال الطبيعة من حولهم.

(٤)

جرى سردُ الأحداثِ في هذا العمل بطريقةٍ مشوّقةٍ للقارئ / الطفل..، حيث تستهلّ الكاتبةُ بطي قصّتها على النحو الآتي: «في مدينة القبّعات.. كان الناسُ يولدون بقبّعاتٍ تغطّي رؤوسهم ووجوههم. قبّعاتٍ بأشكالٍ وألوانٍ وأحجامٍ مختلفة» (ص: ٢).

وهي بلا شكّ بدايةٌ جذّابةٌ، ومن القدرة على استفزاز القارئ / الطفل، ليتابعَ.. ويعرف المزيد من شأن هذه المدينة الغريبة العجيبة، وشأن سكانها الألى يختلفون في طبيعة خِلقتهم وحياتهم عن سائر البشر في هذه المعمورة.

ثم تبدأ أحداث القصة تتطوّر شيئًا فشيئًا مع مولد بطلة القصة، وهي طفلةٌ ذكيةٌ، لا ترضى بواقعها الضيّق المملّ، ولا تستسلم له، بل تغامر بذكاء في تجربة الخروج من ظلمات هذا الواقع، والتفلّت من أوهاقه، فتنجح في اكتشاف عالمٍ جديدٍ، مليء بالألوان والروائح والصور الجميلة الرائعة التي لا تعرفها في عالمها الضيّق المظلم/ عالمِ القبّعة،

فتفرح فرحـًا شديداً لهذا الاكتشاف المذهل، ولكنها ليستْ إنسانةً أنانيةً، إذ نجدها تمتلئ حزنـًا، لأنّ قومها لا يعلمون بهذا العالم الجميل خارج قبّعاتهم، ممّا يدفعها إلى أنْ تصنع قبعةً جديدةً، لا تحول دون رؤية هذا العالم الذي اكتشفته، ثم تطلب منهم أن يجرّبوا لبسها، فلما فعلوا ذلك، وشاهدوا ما شاهدوا..، انتابهم الدهشُ والفرح، فسرعان ما خلعوا قبّعاتهم التي ولدوا بها وألفوها، بل صاروا يحتفلون بتطيير القبّعات، تحيةً لهذه الطفلة المبدعة، التي صارت تعرف في مجتمعها باسم (بلا قبّعة)، إذ لولا ذكاؤها وشجاعتها، ما عرفوا هذا العالم الجميل المفعم بالحيوية والألوان.

(٥)

كُتبت القصة بلغةٍ تناسب مستوى أطفال المرحلة العمرية المستهدفة، وهي منتقاةٌ بعنايةٍ، حيث جاءتْ من السهولة والبساطة والرشاقة، سواء على مستوى المفردات أو المركبات، فليس ثمّة ما يعيق المتلقي / الطفل في فهمها أو متابعة قراءتها..، ومن الأمثلة الدالة على ذلك قول المؤلفة: « حزنتْ (بلا قبّعة)، لأنهم لا يعرفون أن هنالك عالمـًا جميلاً خارج قبعاتهم. طلبت منهم أن يسمحوا لها بالبقاء، لأنها ستصنع لنفسها قبعةً جديدةً. فكّروا قليلاً، وقالوا: موافقون» (ص: ٢٣).

كما جاء الأسلوب جذّابـًا، إذ يمتلك قدرةً كبيرةً على إثارة فضول القارئ/ الطفل بحيث يظلّ مشدوداً إلى النصّ، حريصـًا على إكمال الحكاية حتى النهاية، لكيما يعرف مصير الطفلة / بطلة القصة في خلافها مع المجتمع الذي تعيش فيه، (مجتمع القبّعات)، وخاصةً

غبّ اكتشافها، بذكائها وجرأتها، عالمـًا جديداً أخّاذاً وراء هذه القبّعات التي تغطّي رؤوسهم ووجوههم، فتحول دون وعيهم بالعالم الخارجيّ الواسع، والاستمتاع بفضاءاته وألوانه وروعته.

ويكفي الإلماعُ هاهنا إلى عدة تقنياتٍ لغويةٍ وفنيةٍ استعانت بها الكاتبة، وكان لها دورها الفاعل في تحقيق جاذبية النصّ القصصيّ، وزيادة حيويته، ومن ذلك تقنية (السؤال) التي تجعل القارئ يتشوّق إلى معرفة الجواب واستبانة جليّة الأمر، كما في قولها: «ماذا يوجد خارج القبعة؟ هل يوجد لون غير لون الظلام الذي أراه تحت القبعة؟ وهل يوجد صوت غير صوت السكون، يمكنني أن أسمعه؟ وهل يوجد رائحة غير رائحة القبعة التي أتنفسها؟» (ص: ٧).

ومن ذلك أيضـًا تقنية (الحوار)، بنوعيه: الداخلي / مع الذات، والخارجي/ مع الآخر، ومن أمثلته: «قالت لنفسها: إذا لم يوجد شيء، فسيكون هنالك قبعةٌ كبيرةٌ تغطي كلّ شيء. سأرفع قبعتي قليلا لأرى.. فكرت قد يوجد شيءٌ مخيفٌ خارج القبعة..» (ص: ٨ – ١٠). وأيضـًا: «عرف الجميع بأنها صارت بلا قبعةٍ، فصاحوا بها: أنتِ أصبحت مختلفة عنّا! ارحلي عن مدينة القبعات» (ص: ٢٠).

ومن الأساليب المحبّبة للقارئ / الطفل التي نجدها في القصة كذلك أسلوب (التعجّب)، الذي يكشف عن انفعالٍ شديدٍ تعيشه الشخصية في لحظةٍ ما، مما يجعل الطفلَ يتفاعلُ مع هذه الشخصية، ويشاركها مشاعرها في سياق أحداث القصة، ومن ذلك قول الطفلة / البطلة، عندما خلعت قبّعتها أول مرةٍ: «يا له من عالم ملوّن وجميلٍ» (ص: ١٨). ومثل ذلك عبارة «يا لها من قبّعة» (ص: ٢٨ – ٢٩)، التي

تكرّرت على ألسنة أبناء مدينة القبعات، وهم يجرّبون لبس القبّعة الجديدة التي صنعتها لهم الطفلة البطلة، وتختلف في هيئتها عن قبّعاتهم القديمة، تعبيراً عن دهشتهم وفرحهم بما شاهدوه من خلالها من مناظرَ خلّابةٍ، لا عهد لهم بها من قبلُ.

ومن هذه الأساليب التي تستهوي الطفل أيضـًا أسلوب (التكرار)، كما في قول الكاتبة: «رفعتْ ذاتُ القبعةِ قبّعتَها قليلاً قليلاً، فشمّتْ رائحة الـورود والحشائش، وشمّتْ رائحة الأرض المبتلّة بالماء . رفعتْ قبّعتها أكثر، فـرأتْ قمراً منيراً، ورأت حولها نجوما تتلألأ راقصة في صفحة السماء. رفعت.. القبعةَ عن رأسها تمامـًا، فسمعتْ حفيفَ الشجر يحركه نسيم الهواء، وسمعتْ صوتَ الطيور تتحرك في أعشاشها» (ص: ١٢ و١٥).

وواضحٌ هاهنا دلالة هذا التكرار في سياق القصة، ولا سيما تكرارُ أفعال الحواسّ (شمّتْ، رأتْ، سمعتْ)، وارتباط ذلك برفع القبعة عن الوجه والرأس، وبداية تعرّف الطفلة إلى عالمها الجديد، الذي كان لبس القبعة يحول دون الوقوف عليه، والوعي به.

ولكن قد يُؤخذ على النصّ، في بعض الأحيان، التكرار الزائد على الحدّ، الذي ربّتما أدّى بعضه إلى ضربٍ من المعاظلة اللفظية، ممّا يجعل النطق ثقيلاً على لسان الطفل، وأكثر ما نجد ذلك بسبب تكرار كلمة (قبّعة) تحديداً. ومن أمثلة ذلك تكرارُ هذه الكلمة (١٠ مرات) في صفحةٍ واحدةٍ، تتألّف من (٦ سطورٍ) قصيرةٍ، حيث نطالعُ: «وكلما أدخل أحدهم القبعة تحت قبعته، يقوم بنزع قبعته عن رأسه.. وبالقبعة الجديدة كان يرى عالما ساحرا ومضيئا، فيهمس: يالها من قبعةٍ! قبعة

(بلا قبعة).. يالها من قبعة! قبعة (بلا قبعة)» (ص: ٢٨). ونطالع في صفحةٍ أخرى كذلك: «تشوّق الجميع لتجربة القبّعة. فقالت لهم (بلاقبّعة): تحت قبعاتكم توجد قبّعة مثل قبّعتي. رفعوا قبّعاتهم قليلاً قليلاً حتى صاروا بلا قبّعات» (ص: ٣٠).

(٦)

من اللافت للنظر في هذا النصّ القصصيّ عدم تسمية الطفلة / البطلة، حيث نجد المؤلفة تكتفي بالدلالة عليها بالوصف، الذي كان (ذات القبعة)، ثم أصبح بعد ذلك (بلا قبّعة).

ويبدو لي أن هذا لم يكن عبثًا، أو من باب المصادفة، بل كان عن وعيٍ وقصدٍ، إذ كان من السهولة إطلاق اسم مثل (رؤى أو أحلام أو نجاح..) على هذه الطفلة المفكّرة المبدعةً، ولكن استخدام تينك الصفتين الدالتين على مرحلتين مختلفتين في مسيرة الطفلة الحياتية ربّتما كان أبلغ، ليظلّ القارئ على ذُكْرٍ من أهمية الفعل الجريء الذي قامتْ به الطفلة، وهو خلع القبعة، ودوره في ذلك التحوّل الإيجابيّ العظيم في حياتها ثم في حياة جميع أفراد مجتمعها.

وبذلك نتبيّن مدى قدرة الاسم الذي صارتْ تعرف به الطفلة في أرجاء مدينتها، وهو (بلا قبّعة)، في تكثيف فكرة القصة الأساسية، وما تُريغ إيصاله إلى المتلقي/ الطفل، وليس أدلّ على ذلك من اصطفائه عنوانًا للعمل برمّته، ومن المعروف أنّ عناوين الكتب والمصنّفات على تنوّعها لا تأتي عفو الخاطر، بل هي تأتي بعد تأمّلٍ وطول نظرٍ، لحرص المؤلّف، في أغلب الأحيان، على أنْ يكون العنوان دالاً على محتوى عمله، أو مشعّاً بفكرته الجوهرية.

(٧)

أما على المستوى الطباعيّ والبصريّ، فقد جاء الكتاب، بشكلٍ عام، فائقَ الجودة والجمال، ومن المعروف أنّ هذا الجانبَ لا يقلّ أهميةً عن النصّ اللغويّ في معظم الأعمال التي تقدم لجمهور الأطفال، وخاصةً في المراحل العمرية الباكرة، ممّا يرجع إلى فاعليته في إيقاظ حواسّهم المختلفة، وتقريب معطيات النصّ اللغويّ الدلالية والإيحائية.

وحسبي أنْ أومئ هاهنا إلى النقاط الآتية:

- كتابة القصة بخطّ كبيرٍ وواضحٍ، لتسهيل قراءتها على المتلقي / الطفل، ومتابعتها.
- تقسيم النصّ إلى فقراتٍ قصيرةٍ، موزّعةً توزيعًا ملائمًا ومريحًا على صفحات الكتاب.
- اشتمال العمل على العديد من الرسوم واللوحات الملونة الجميلة، التي من شأنها توضيح أحداث القصة، وإغناء خيال الطفل، وزيادة تفاعله مع النصّ المكتوب.
- التنويع في ألوان الصفحات والرسوم واللوحات الداخلية، ممّا يساعد على جذب الطفل، وشدّ انتباهه.
- العناية بصفحة الغلاف الخارجيّ، من خلال كتابة عنوان القصة بطريقةٍ لافتةٍ، واشتمالها على لوحةٍ تشكيلية غزيرة الدلالة على مضمون القصة، تتمثل برسم قبعةٍ سوداء كبيرة، يطلّ منها إلى النور وجهُ الطفلة / بطلة القصة، وهي لحظة التحوّل الأهمّ الذي كان في

حياة هذه الطفلة، ثمّ في حياة جميع أفراد مجتمع المدينة التي تعيش فيها.

- إبراز بعض الكلمات والعبارات المحورية في سياق القصة، مثل عبارة «يا له من عالمٍ جميل» (ص: ١٩)، التي وردتْ على لسان الطفلة / بطلة القصة، حينما شاهدت الفضاء الخارجيّ أول مرةٍ، وانتشتْ بجمال الطبيعة من حولها، بعد أن رفعتْ القبعةَ التي ولدتْ بها عن وجهها..، أو كلمة «موافقون» (ص: ٢٣)، التي ردّ بها مجتمع «مدينة القبعات» على الطفلة، عندما طلبت منهم أن يسمحوا لها بالبقاء، لأنها ستصنع لنفسها قبعةً جديدةً..، أو كلمة «جرِّبوها» (ص: ٢٧)، التي قالتها لهم عندما انتهتْ من صنع هذه القبعة الجديدة، وكان لها أثرها الإيجابيّ العظيم في حياتهم - حيث نجد مثل هذه الكلمات والعبارات مرقونةً على الصفحة بشكلٍ متميّزٍ، كما يتبدّى ذلك من تخطيطها تخطيطاً يدوياً باللون الأزرقِ، خلافاً لسائر النصّ الذي جاء مرقوناً على (الحاسب الآلي) باللونين الأبيض والأسود، الأمر الذي يشوّر بصرياً إلى أهميتها ومركزيتها في سياق الأحداث، للفت نظر القارئ / الصغير إليها.

(٨)

وأخيراً، فإن كتاب «بلا قبّعة» لمؤلّفته الأديبة الكويتية (لطيفة بُطي) من الأعمال الإبداعية (القصصية) المتميّزة في نطاق ما يقدّم للطفل العربيّ، في حدود المرحلة العمرية المستهدفة، وهي المرحلة المتوسطة من (٦ - ٩ سنوات).

ولعلّه قد تبيّن ممّا سَبَقَ، كيف اسطاع العملُ أن يحقّق أهدافه، وأن يبلّغ رسالته التربوية والتعليمية إلى المتلقي / الطفل بطريقةٍ فنيةٍ، أي من خلال قصّةٍ خياليةٍ رمزيةٍ ماتعةٍ، غنيةٍ بطاقة الجذب.. وعناصر التشويق، سواء على مستوى النصّ اللغويّ أو التشكيل البصريّ.

***

«حفلة شاي في قصر ساندريلا»

لأروى داود سليمان خميّس

(١)

تحمل السعوديةُ (أروى داود سليمان خميّس) درجة الدكتوراه في تخصّص «تاريخ الأزياء والنسيج» من كلية الاقتصاد المنزلي والتربية الفنية في جامعة الملك عبد العزيز بمدينة جدة منذ سنة ٢٠٠٨، وهي تعمل أستاذةً في الجامعة نفسها منذ حصولها على الدرجة العلمية، ولها عدّة بحوثٍ ودراساتٍ منشورة في نطاق تخصّصها الأكاديميّ.

وفضلاً عن ذلك، فإنّ لخميّس حضوراً بارزاً ومشاركاتٍ جمّةً ومؤلفاتٍ كثيرةً في مجال أدب الطفل والناشئة، ولا سيّما الفنّ القصصيّ، ويكفي أن يشار هاهنا، على سبيل التمثيل، إلى أعمالها الأدبية الآتية:

- سرّ الصباح، ٢٠٠٣.
- زياد والقمر، ٢٠٠٤.
- مساء بدون أمي، ٢٠٠٤.
- عربة سديل ودميتي، ٢٠٠٥.
- عشرة وجوه ضاحكة، ٢٠٠٦.
- بالوناتي التي طارت، ٢٠٠٦.
- هيا بنا نقطف النجوم، ٢٠٠٦.

- مخلوق مخيف وخطير، ٢٠٠٧.

- خذها يا عيد، ٢٠٠٧.

- فاطمة الحالمة، ٢٠٠٩.

- كوب قهوة في جزيرة الكنز، ٢٠١٩.

(٢)

«حفلة شاي في قصر سندريلا»: قصةٌ موجّهةٌ إلى جمهور الناشئة (١٥- ١٨ سنة)، صدرتْ طبعتها الأولى عن (دار أروى العربية للنشر والتوزيع، بالسعودية، سنة ٢٠١٥)، وهي تقع في (١١١ صفحة)، من القطع الصغير (١٩ × ١٣ سم).

يقوم العمل على محاورة أبطالِ عددٍ من القصص الخيالية الأوروبية الذائعة، وذلك من منظورٍ جديدٍ، هو منظور ذلك الطفل الذي كبر، واتسعت ثقافته ورؤيته، وصار يقرأ الأحداث والناس قراءةً واقعية، ومن زوايا عدّةٍ..

تقول الكاتبة أروى خميّس موضّحةً ذلك: «أعرف أنني كثيرا ما ألقي أسئلةً يمنةً ويسرةً، وحين أفعل ذلك فأنا أفكر دون أن أنتظر إجابة على كل سؤال، وهذا ما فعلته مع أبطال كتبي القديمة، أنا أفكر فيهم بعقل ناضج وأطرح عليهم كثيرا من الأسئلة وأحاول استنطاقهم.. وأنا متأكدة أنني لن أحصل على أي إجابات.. أنا فقط أعيد تعريفهم في وجداني من جديد» (المقدمة، ص: ١١).

وهذه القصصُ التي اختارتها الكاتبة لمحاورة أبطالها، وأغلبها من تراث القرن التاسع عشر، هي: «سندريلا» و«ليلى والذئب» لتشارلز بيرو من مجموعته «حكايات أمي الأوزة»، و«بياض الثلج» و«رابونزل» و«القدر السحرية» و«الجنّيان الصغيران والحذّاء» للأخوين جريم من مجموعة «حكايات الأطفال والبيوت»، و«بيتربان» رواية الكاتب جيمس ماثيو باري، و«أليس في بلاد العجائب» للويس كارول، و«علاء الدين والمصباح السحري» كما وردت في ترجمة كتاب ألف ليلة وليلة الفرنسية لأنطون جالان، وأخيراً، قصة «الأميرة وحبة الفول» لهانس كرستيان أندرسون.

وقد جاء ذلك من خلال بناءٍ قصصيّ بسيطٍ، يقوم على تخيّل زيارة قامتْ بها إلى قصر سندريلا، وغبّ الفراغ من محاورتها في بعض ما جرى معها من أحـداث..، تستأذنها أن تدعوها إلى حفلة شاي في قصرها، وأن تدعو معها كذلك أبطال قصصها الآخرين، كبيتربان ورابنزول وأليس.. إلخ، (ممن سبقت الإشارة إليهم قبل هنيهةٍ)، فتوافق سندريلا على ذلك وترحّب، ثم تأخذ الكاتبة في محاورة أبطال قصصها القديمة، وإلقاء أسئلتها عليهم، واحداً تلو الآخر.

(٣)

يسعى العملُ إلى تحقيق جملةٍ من المقاصد، أوجزها على النحو الآتي:

- تشجيع الناشئة على إعادة قراءة الأشياء (من قصصٍ وكتب وأحداث وشخصيات..) من جديدٍ، ومن زوايا مختلفةٍ، وعدم الاستسلام

للكسل العقليّ، أو معطيات الفهم القديمة، ولا سيما تلك التي ترسّبتْ من عالم الطفولة وسذاجتها.

- حثّ الناشئة على التفكير النقديّ البناء.

- تعليم الناشئة ملكة الحوار مع الآخرين، وتفعيل طاقة السؤال لديهم،

- بيان أن لكلّ مرحلةٍ عمريةٍ مستواها المعرفيَّ وأسئلتها ومؤلفاتِها الخاصةَ بها .

- دعوة الناشئة إلى أن يعيشوا واقعهم، وأن يحلّوا مشكلاتهم بأنفسهم، وأن يأخذوا بالأسباب المؤدية إلى النُّجح، بعيداً عن عالم الخرافة والسحر والمصادفات. ومن أمثلة ذلك قول المؤلفة: «وأنت يا رابونزل، أحقا أحببت الأمير؟ أم لأنه كان الرجل الوحيد الذي صادفك وأنقذك؟ ماذا لو لم يمرّ الأمير ويسمع صوتك وأنت تغنّين ويقرر إخراجك من برجك؟ هل كنت ستتصرفين أو تفعلين أي شيء للخروج؟ ما معنى الحبّ يا رابونزل؟ ما معناه؟» (ص: ٤١). وقولها أيضا في حوارها مع علاء الدين: «هل تعرف نفسك؟ هل تعرف ما الذي تجيده وتحبه؟ هل تعرف إن كنت قائدا جيدا أو متحدثا أو كاتبا أو عالما أو مدرسا أو تاجرا؟ أنت لم تجربْ أي عمل فكيف تشعر بطعم النجاح ولذة الإنجاز بعد التعب؟ أنت لا تعرف كيف يقوّينا السقوط وكيف تمنحنا الخيبات حصانة وإلى أي مدى يتألم أحدنا كي يتعلم وما معنى أن يكون الإنسان صاحب تجربة» (ص: ٥٧).

(٤)

يتميّز النصّ بتدفّق لغته، وما يمتلكه من طاقةٍ حوارية هائلة، وكذا قدرته على تقديم قـراءات أخـرى للأشياء تتجاوز تخوم المألوف والسائد. ويكفي أن أشوّر هاهنا إلى النصّ الآتي: «قابلتُ حفيد الذئب ذات مرة يا ليلى وسمعتُ منه رواية أخرى مختلفة عن قصتك، كان يدافع فيها بشدة وحرقة عن جدّه الذي تشوّهت سمعته، كان يقول إنك أنت الشريرة التي كنت تقطفين زهور الغابة وتعبثين بنباتاتها وأن جدّه الذئب ذهب لجدتك كي يشكوك لأن الحفاظ على الغابة وزهورها كان أمرا يهمّه كأحد سكان الغابة الصالحين ولأنه كان بالأصل نباتيا.. لا أعرف تتمة قصته ولكن ألا تظنين أنه من حق الذئب أن يقص قصته من وجهة نظره لمرة على الأقل؟» (ص: ٥٠).

ومما يسجّل للعمل اعتماده تقنية (السؤال) في تقديم رؤيته الخاصة، وهي تقنيةٌ لها أهميتها في التعبير عن وجهة النظر، وفي تحصيل المعارف واكتشاف الجديد، ومن الضروريّ أن يُعنى بها الإنسان في مراحل حياته كلها، فيجيد استخدامها والتعامل معها .

هذا، وقد أحسنت الكاتبة إذ راحتْ تصدّر كلّ قصةٍ، قبل التولّج في محاورتها، باقتباسٍ مختصرٍ دالّ من النصّ التراثيّ، وهو أمرٌ له أهميته بلا ريبٍ، إذ يعين القارئ المعاصر على استدعاء القصة القديمة (التي سبق له قراءتها في مرحلة الطفولة)، ليكون قادراً على الربط والمتابعة بعد ذلك.

(٥)

يُؤخذ على القصةِ، في رأيي، ضعف حبكتها، وافتقارها إلى عنصر التدرّج، فالسرد يتوقف منذ الصفحات الأولى، وتحديداً (ص: ٢٢)، عند قولها: «أزعم أنها ستكون حفلة شاي جميلةً، وسأكون سعيدة جدا بمقابلة كل أصدقائك { تخاطب سندريلا } الذين هم أصدقائي» (ص: ٢٢). ثم تشرع الكاتبة بعد ذلك بمحاورة أبطال قصصها العشر، كلّ على حدته، مما جعل العملَ يغدو أشبه بأجزاء متفرّقة لا رابط بينها.

كما يؤخذُ على النصّ، فضلاً عن وَهْي حبكته، المبالغة والإفراط في استخدام أسلوب (السؤال) مما يجعل المتلقي / الناشئ يحسّ بالملل، أو يشعر بصداعٍ شديدٍ في رأسه! صحيحٌ أن الأسئلة متنوّعة بتنوع القصص بيد أنّ الاعتماد على هذه الوسيلة دون غيرها من أول الكتاب إلى آخره، من شأنه أن يجعل قراءة العمل مملّةً، وأن يصيب القارئ بالإرهاق الذهني، وقد لا يستطيع أن يكمل قراءته. ومما زاد الأمرَ ضِغثًا على إبّالة حرص الكاتبة على نوعٍ آخر من الرتابة، وهو تخصيص صفحةٍ مستقلة تحت عنوان «بقي سؤالٌ واحد» تنهي بهذا السؤال حوارها مع بطلها! وكأنّ المتلقي ما زال في حاجةٍ إلى المزيد! مما يجعل هذه الصفحة تؤدّي وظيفةً عكسية ولا بدّ.

وقد يؤخذ على العمل كذلك، محدودية قرائه، إذ كانت تلك النصوص القصصية العشرة خلفيةً لا بدّ من أنْ تكون حاضرةً في أذهان القراء، لأجل فهم النصّ الحالي، والإفادة منه على الوجه الأكمل، بما يطرحه من أسئلةٍ جديدةٍ، تعيد تقييم قصص الطفولة ومواقف أبطالها،

بعد أن كبر أولئك القراء الذين تلقوها في مراحل الطفولة، وصاروا أوسع ثقافة، وأشمل رؤيةً، وأعمق تفكيراً .

وأخيراً، لا بدّ أن يشار هاهنا إلى الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية والطباعية، الواردة في النصّ، ومما يؤسف عليه أشدّ الأسف أنها جاءت من الكثرة، فلعل الكاتبة تستدرك ذلك في طبعةٍ قادمة إن شاء الله، ومن أمثلتها:

- «إلى الأطفال الذين هم في الأصل كباراً» (ص: ٧). والصواب: كبارٌ.
- «ظهر كتاب الأخوان جريم» (ص: ٩). والصواب: الأخوين.
- «هل تريدين كل يوم فستانًا أزرقًا» (ص: ١٦). والصواب: أزرقَ. وقد تكرر ذلك (ص: ٦٠).
- «ألم تشتاق لصديقتك..» (ص: ٣١). والصواب: تشتقْ.
- «ترتدي فستانا مزبرقا وكعبا عالٍ» (ص: ٣٧). والصواب: عالياً.
- «ارتداء الملابس عالموضة» (ص: ٣٧) . والصواب: على الموضة.
- «كم هو متعب غسل وتمشيط وتصفيف شعرٍ بهذا الطول» (ص: ٣٩). والصواب: غسل شعر بهذا الطول وتمشيطه وتصفيفه.
- «تبدو كل الأمور من حولك غريبةٌ عجيبةٌ» (ص: ٧٦). والصواب: غريبةً عجيبةً.
- «ما أجمل ذك وما أسهله» (ص: ٨٦ . والصواب: ذاك أو ذلك.
- «كي تصنعان حذاء» (ص: ٩٧). والصواب: تصنعا.

- «أليسَ ذلك نوع من الاستغلال» (ص: ٩٨). والصواب: نوعـًا.
- «ولا يدركان معانٍ ومفاهيم» (ص: ٩٨). والصواب: معانيَ، وتكرر ذلك (ص: ١٠٦).
- «إلا أنّ هناك معنى أبيضاً» (ص: ١٠٨). والصواب: أبيضَ.
- «إنهم الأقزام السبعة الذي..» (ص: ١٠٨). والصواب: الذين.
- «ألأنهم أقزام ومختلفين شعروا أنهم هوامشُ خارجين». (ص: ١٠٨). والصواب: مختلفون.. خارجون.
- «لا زالت هناك أكواب شاي لم يأتِ أصحابها» (ص: ١١٠). والصواب: مازالت..إلخ.

(٦)

جاء الكتابُ في إخراجه الطباعيّ وصورته المادية مناسبـًا للفئة العمرية المستهدفة، وهي فئة/ الناشئة. وممّا يحسب له، في هذا الجانب، اختيار نوع الورق الذي جاء من النوع الأصفر المقوّى، كما يحسب له أيضا اشتمال صفحاته الداخلية، فضلاً عن صفحة الغلاف الأمامية، على بعض الرسوم المائية المعبّرة، وذلك من خلال اختيار بعض العناصر الدالة على طبيعة القصة التي يجري الحديث عنها أو الحوار مع بطلها، ومن أمثلة ذلك: لوحة (المشط) في رابونزل، ولوحة (الذئب) في قصة ليلى والذئب، ولوحة (الحذاء) في قصة الحذّاء والجنّيات.. إلخ.

ولا ريب أنّ احتواء كتب الأطفال والناشئة على بعض الرسوم واللوحات الفنية المستوحاة من طبيعة العمل، يتيح للقارئ نوعـًا من المتعة البصرية، تشدّه إلى متابعة المادة اللغوية التي يطالعها، وخاصةً بعد أن أتاحتْ له هذه اللوحاتُ أنْ يستريح، ولو للحظاتٍ..، من عناء القراءة والتفكير.

***

«المنزل الأزرق»

لسماح أبو بكر عزّت

(١)

للكاتبة المصرية (سماح أبو بكر عـزّت) نشاطٌ واسـعٌ ومتنوّعٌ في ميدان أدب الأطفال وثقافتهم، فهي تؤلّف القصصَ والأفـلامَ والمسلسلاتِ والفوازيرَ وكتب التاريخ..، كما نجد لها عنايةً ظاهرة بإقامة ورش الحكي الخاصة بهذه الفئة العمرية، وقد تعدّى نشاطها في هذا الفنّ الذي تجيده حدودَ موطنها مصر إلى العديد من الأقطار العربية، كالمغرب والكويت والإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان وغيرها.

أما ما ترمي إليه الكاتبةُ من خلال ذلك كله، على حدّ تعبيرها، فهو « تقويم سلوك الأطفال ونشر القيم والمبادئ بينهم بأسلوب غير مباشر ومبسط». ومن أعمالها المنشورة في هذا الميدان، على سبيل التمثيل:

- كتاب «تاج الربيع» ، ٢٠٠٥.
- كتاب «توته توته.. بدأت الحدوتة» ، ٢٠١٠.
- كتاب « في جيبي قلعة ومعبد»، ٢٠١١.
- كتاب «أشياء في حياة العلماء»، ٢٠١٢.
- قصة الثعلب والأرنب المحتال»، ٢٠١٣.

- قصة «رحلة العصفور الأخضر»، ٢٠١٥.

- قصة «مصنع الأحلام»، ٢٠١٥.

- قصة «شموس في الظل»، ٢٠١٥.

- قصة «حبيبة وسرّ الحقيبة»، ٢٠١٦.

- قصة «جميلة والشقيقات الثلاث»، ٢٠١٦.

(٢)

«المنزل الأزرق»: كتابٌ موجّهٌ إلى أطفال المرحلة العمرية (٦ - ٩ سنوات)، يتناول مشكلة إدمان الأطفال على تطبيقات الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، ولا سيّما (الفيسبوك). وهو من إصدارات (دار البنان للطباعة والتسجيل والنشر والتوزيع، ببيروت، سنة ٢٠١٦).

عالجت الكاتبةُ هذا الموضوعَ من خلال نصّ قصصيّ، بطله طفلٌ اسمُه (حسام)، يُهديه أبوه هاتفًا ذكيًّا قبل عام، ومنذ ذلك الحين وعيناه في أغلب الوقت تحدّقان في شاشته.. لا يفارق (منزله الأزرق) أو الفيسبوك، فلم يعدْ يستمتع بتغريد العصفور على شباك غرفته كل صباح، ولم يعدْ يعتني بأشجار حديقة البيت، ولم يعد يلعب بالكرة مع أصدقائه..، كل شيء تغيّر في حياة حسام، وكأنه يعيش في عالمٍ آخر، حتى في المدرسة، فإنه يعيش مع رفاقه ومعلميه بجسده حسبٌ، أما ذهنه، فهو متعلقٌ بهاتفه، يتمنّى أن يمرّ الوقت وشيكًا، ليعود إليه وإلى (منزله الأزرق).

ولكنّ الأمر لا يستمرّ على هذه الحال، إذ يحدث تطوّرٌ مهمّ في حياة حسام، وذلك حين تنزلق قدمُه عند مدخل بيته أثناء عودته مسرعـًا من المدرسة ويسقط على الأرض، فينقل إلى المستشفى، حيث يطلب الطبيبُ منه أن يستريح مدة ثلاثة أيـام. وفي البيت يحاول حسام أن يشغّل هاتفه فيجده معطّلاً، فيبيت ليلته تلك على ألمين: ألم رجله، وألم تعطّل هاتفه، ولكنه حين يستيقظ في الصباح يدهشه صوتٌ جميلٌ ينبعث من عصفورٍ على شباك غرفته، فيطرب له أشدّ الطرب، ثم يزوره أصحابه ويهدونه باقة ورد وكيسـًا فيه كرة، فيحسّ باشتياق عظيم إلى اللعب بالكرة في الهواء الطلق وإلى الركض والقفز، وفي هذه الأثناء يدخل أبوه، ويقدم له هدية، وهي هاتف ذكيّ جديد، فيشكر حسام والده، ثم تنتهي القصة بقوله، بعد أن تبيّن له الفرق بين العالم الواقعيّ والعالم الافتراضيّ: «منذ الآن لن يكون الهاتف صديقي، ولا منزلي، بل سيكون وسيلة للاتصال والتواصل، فأنا سأعيش حياتي مع الطيور والورود والأشجار والرفاق والأهل» (ص: ٣٤).

(٣)

تُعنى القصةُ بمعالجة مرضٍ خطيرٍ، بدأ يتفشّى بين الأطفال في عصرنا الراهن، وهو انعزالهم عن واقعهم وعن مجتمعهم، وتقصيرهم في دروسهم.. بسبب الانهماك الزائد في استخدام وسائل التواصل الاجتماعيّ، ولا سيّما (الفيسبوك).

فالأصل أنْ يتحكّم الإنسان بهذه الوسائل لا أنْ يكون عبداً لها، لا يستطيع الفكاك من أوهاقها، والخروج من سجنها. ولعل الكاتبة، قد

أوضحتْ ذلك في إحدى محاضراتها في هذا الموضوع، حيث تقول، مخاطبة مجموعةً من طلبة المدارس: «لا تهربوا من الفيسبوك، ولكن إياكم أن تغرقوا فيه. شغّلوا عقولكم، ونمّوا قدراتكم كي يكون العقل هو المتحكم بكل السلوكيات». (انظر: سماح أبو بكر عزت تطلق قصتها الجديدة «المنزل الأزرق»، على شبكة الانترنت).

(٤)

بـدأت الكاتبةُ (سماح أبو بكر عـزّت) قصتها بتقديم صورتين: صورة للمنازل الحقيقية التي نسكنها، إذ خلف « أبوابها نشعر بالسكينة والأمان. نوافذها تصافح أشعة الشمس كل صباح، وتتلألأ حين يلمسها ضوء القمر كل مساء»(ص: ٢). وصورة أخرى مختلفة، وهي صورة (المنزل الأزرق) أو الفيسبوك، فهو منزل «من دون أبوابٍ، يسع آلافـًا من السكّان، قد يدخلونه بدقائق، ويغادرونه بثوانٍ، نوافذه لا تفرق ما بين أشعة الشمس الذهبية أو ضوء القمر الفضيّ، فهي لا تعرف سوى اللون الأزرق» (ص: ٥).

بعد ذلك تأتي حكاية الطفل (حسام) الذي راح يسكن هذا (المنزل الأزرق) ، ويطيل الغياب بين جدرانه، ليحرم بسبب ذلك من أشياء كثيرةٍ، كالإحساس بجمال الطبيعة، ومتعة اللعب مع الأصدقاء في الهواء الطلق، والقدرة على الانتباه والتركيز في المدرسة..، إلى أن حدث ماحدث معه..، من انزلاق قدمه ودخوله المستشفى وتعطّل هاتفه أثناء استراحته في البيت، مما جعله بعد ذلك يكتشف بنفسه كم كان محرومـًا من متعٍ ونعمٍ كثيرة، بسبب مبالغته في تعلّقه بالهاتف الذكيّ، وقضاء معظم وقته منشغلاً بألعابه، وغارقـًا في عوالمه الافتراضيّة المختلفة.

(٥)

من أظهر ما يميّز هذا العمل من جوانبه اللغوية والأسلوبية، ويسهم في إغناء طاقته الجمالية، وقدرته على اجتذاب المتلقي/ الطفل، ما يلي:

- ملاءمة لغة النصّ للفئة العمرية المستهدفة، وهي فئة الأطفال من (٦ – ٩ سنوات)، فالمفردات لا تخرج عن حدود معارف الطفل وخبراته ومعجمه الإدراكـيّ، من مثل (المنزل، الشمس، القمر، الهاتف المحمول، الفيسبوك، العصفور، شجيرات الورد، الكرة، المدرسة، المستشفى، الطبيب.. إلخ). كما جاءت الجمل والتراكيب قصيرةً وبسيطةً، مما يساعد المتلقي / الطفل على فهم النص الذي يطالعه ويغريه بمتابعته، إذ كان الطفل شديد النفور من النص الذي لا يفهمه، ومن أمثلة ذلك: «ودخل والد حسام. سلّم على الرفاق، ثمّ قدّم هديةً لابنه. فتحها حسام، وهتف: هاتف جديد.. شكراً يا والدي شكراً» (ص: ٣٤).
- استخدام أسلوب (الحوار)، بنوعيه: الخارجيّ والداخليّ، وهو أسلوبٌ من شأنه أن يزيد من حيوية العمل القصصيّ ويسهم في شدّ انتباه الطفل وتفاعله مع الشخصيات والأحداث. ومن أمثلته: «فتح حازم الكيسَ، وتناول منه كرةً، وقال: لقد اشتاقت إلينا الكرةُ يا حسام. عندما تتعافى سنلعب معا بالكرة. فردّ حسام: وأنا اشتقتُ إلى الكرة، إلى اللعب في الهواء الطلق، إلى القفز، إلى الركض» (ص: ٣٣).

- استخدام (الصور التشخيصية)، التي تُضفي بعداً إنسانيّاً على عناصر البيئة الطبيعية من نباتٍ وحيوان وجماد، وقد كان لذلك دوره في قدرة النصّ على تجسيد واقع الطفل / حسام الذي أصبح منعزلاً عن مضطرب الحياة من حوله بسبب مكوثه الطويل في (منزله الأزرق). فالعصفور الذي تعوّد أن يزور شباكه كل صباح، على سبيل المثال، نجده يحزن لهذه الحالة الانعزالية التي صار يعيشها حسام، قائلا في نفسه: «كان تغريدي أول صوتٍ يلامس أذنيْ حسام، ومع شروق الشمس كنتُ أهديه لحناً جديداً يمنحه السعادة والنشاط.. ماذا حلّ به الآن؟ « (ص: ٩). كما نجد هذا الشعور عند كرته، التي أصبحت «في زاوية الحديقة وحيدة، تشتاق لضحكات حسام وأصدقائه»، فهذه الكرة تتنهد قائلة: «كان حسام وأصدقاؤه يلعبون بفرحٍ وأنا بين أقدامهم.. ولحظة أستقرّ في المرمى وتتعالى الهتافات أطيرً فرحاً. الآن صار حسام يلعب لعبة الكرة على الهاتف، يجلس لوقتٍ طويل، أمام الشاشة، فزاد وزنه، وفقد لياقته. ماذا حلّ به الآن؟» (ص: ١٤). ومع ذلك نجد هؤلاء (الأصدقاء) لا ييأسون من عودة حسام إلى حياة طبيعية سليمة، مما يدلّ على عميق معرفتهم به من ناحية، وحبّهم له وتعاطفهم معه من ناحية أخرى: «قال العصفور: سيأتي يومٌ يعرف فيه حسام سرّ وردةٍ تُهدي عطرها الفواح.. وقالت شجرة البرتقال: سيأتي يومٌ يعود فيه حسام إلى الكرة، يلعب مع رفاقه، فتفرح الدنيا لنشاطهم وضحكاتهم. وقالت الكرة: سيأتي يومٌ يعود فيه حسام إلى الحديقة، ويستمتع بتغريد الطيور» (ص: ١٧). ولا شكّ أن هذا النوع من الصور يستهوي الأطفال، كما يثيرهم ويؤثّر بهم كثيراً.

- استخدام أسلوب (التكرار)، ومن أوضحه في النصّ تكرار عبارة «ماذا حلّ به الآن؟»، التي تكررت على لسان (العصفور، وشجيرات الورد، وشجرة البرتقال، والكرة)، وكتبت بخطّ كبيرٍ، وبلونٍ يميّزها في نهاية الصفحة عن بقية الكلام الذي سبقها. وواضحٌ أهمية هذه العبارة وتكرارها في الكشف عن مدى استنكار هؤلاء لحالة الضياع والموات والانعزالية التي صار يعيشها حسام، بعد أن كان مرهف الإحساس، يتدفّق حيويةً ونشاطًا وإنجازاً .

(٦)

جاء الكتابُ في إخراجه الطباعيّ وفق المعايير الخاصة بكتب الأطفال الموجّهة إلى مراحل الطفولة المبكرة، ومن المعروف أن هذا الضرب من الكتب يجب أن يكون على المستوى البصريّ والطباعيّ من القدرة على شدّ انتباه الطفل وإغرائه بالقراءة. ومما يحسب للعمل في هذا الجانب مايلي:

- كتابة النصّ بخطّ كبيرٍ واضحٍ، ويختلف في لونه من صفحة إلى أخرى.
- توزيع فقرات النصّ على صفحات الكتاب توزيعًا مريحًا، مع تباعدٍ بين الأسطر، بحيث لا يكون هناك تداخلٌ يربك القارئ / الطفل أو يُشكل عليه.
- الورق المصقول الملوّن.
- الرسوم واللوحات الكثيرة المعبرة، التي يجدها الطفل داخل صفحات الكتاب، حيث تسهم في توضيح النصّ اللغويّ وإغناء دلالاته وإشاراته.

- العناية بصفحة الغلاف الخارجي (الأمامية)، التي جاءت باللون (الأزرق)، وعلى جانبها الأيمن لوحة دالة، تصوّر الطفل (حسامًا)، وهو يحمل هاتفه الذكيّ، ورأسه في داخل قفصٍ حديديّ، في إشارة رمزية إلى انعزاله عن الناس والواقع بسبب انهماكه الزائد في تصفّح (الفيسبوك) والعيش في عوالم الهاتف الافتراضية.

***

«قصر الأميرة بُهرج»

لأحلام بشارات

(١)

جاء كتاب «قصر الأميرة بهرج» (٢٠١٦) للكاتبة الفلسطينية (أحلام بشارات) ضمن مشروع « نحن نحبّ القراءة بصوتٍ عالٍ» الذي يهدف إلى إغناء قيمة القراءة للأطفال بصوتٍ مرتفعٍ، وتنفذه «ورشة فلسطين للكتابة» بالاشتراك مع مجموعةٍ من المؤسّسات العربية والأجنبية (انظر: الصفحة الأخيرة من الداخل). وهو يقع في (٢٤صفحة)، وموجّهٌ إلى أطفال المرحلة العمرية المتوسطة من (٦ – ٩ سنوات).

(٢)

تتناول المؤلفةُ في هذا العمل موضوع تعزيز شعور الطفل بشخصيته وإمكاناته..، من خلال حبّ الآخرين له، وإعجابهم به. وقد عالجتْ ذلك من خلال حكايةٍ خياليةٍ مسليةٍ، بطلتها طفلةٌ اسمُها (بهرج)، كلّ شيءٍ من حولها يحبّها، لأجلها تكتسي الأرض بالعشب، وتنهمر السماء بالأمطار التي تجدّد الحياة من حولها.. ولأجلها تتدفق عيون الماء، لتصنعَ لها حديقةً واسعةً غنّاء، تسرح فيها وتمرح.. وتستمتع بجوّها الجميل.

تبدأ الأحداث بالتطوّر عندما يرى الأميرُ (سلطانُ) ذات يوم بهرجَ، وهي في حديقتها تمشّط جديلتيها اللامعتين ، فيقع في حبّها، ثم يكبر

هذا الحبّ في نفسه، فيبني قصراً عجيباً بين الجبال، طوبُه من التراب المعجون بالزيت، وله (٣٦٠ نافذة)، ثمّ يأمر عمّاله أن يضعوا هذا القصر في صندوق كبير مرصّع بالذهب والفضة والماس ويجرّوه إلى حيث حديقة بهرج لأجل إحضارها إلى قصره، وعندما يصلون.. بعد رحلة جبليةٍ صعبةٍ، يصبح الأميرُ سلطان حبيبَها الأبديّ.

ثم تنتهي القصة بإطلالة الأميرة بهرج في اليوم التالي من شرفة القصر المنيف، فترى البيوتَ والناسَ والأشجارَ في السفوح صارتْ صغيرةً مثل نقطةٍ، فتمدّ أصبعها لتغطي هذه النقطة، لكنها سرعان ما ترى ضوءاً ضئيلاً ينعكس من ثَمّ، ثُمّ يبدأ يكبر هذا الضوء حتى يغطّى كلّ شيء حولها، ليتكشّفَ بعد ذلك أنّ هذا الضوء كان «لجدائلَ صغيرةٍ، بدأت تتفتّح في سفوح الجبال، وينعكس مرةً أخرى على أعاليها».

(٢)

ترجع أهميةُ موضوع هذا العمل إلى ارتباطه بمرحلةٍ شديدة الحساسية في مسيرة الطفل الحياتية، وهي مرحلة (دخول المدرسة)، أي انتقال الطفل من بيئةٍ محدودةٍ ومألوفةٍ (هي البيت والأسرة..)، إلى بيئةٍ أوسع، ومجتمعٍ غريبٍ لا عهد له به من قبل، وليس سهلاً أن يتقبّله أوّل وهلةٍ.

ولا شكّ أنّ الطفل في هذه المرحلة في مسيس الحاجة إلى تقوية شخصيّته، وتعزيز ثقته بنفسه، وإشاعة الأمن والطمأنينة في دربه، وزرع الأمل في عينيه، لأجل أن يتقبّلَ هذه البيئة الجديدة، وينسجم معها، ويكون عنصراً فاعلاً فيها، إذ كانت المدرسة هي الأساس في تحقيق

أحلام الطفولة الطموحة، وصناعة مستقبلها الجميل الذي ترنو إليه.

ولعلّ هذا ما تُريغ القصةُ إيصالَه إلى المتلقي / الطفل من خلال شخصية بهرج / الطفلة الجميلة التي يحبّها كلّ شيء حولها، ويحرص على خدمتها وتوفير الطمأنينة والراحة لها، كما نتبيّن ذلك من خلال تعاون عناصر الطبيعة المختلفة لأجل أنْ تُهديَها حديقةً «تتسع بالأيام، وتكبر بالأشجار، وتحاط بالأسوار»، ثمّ ما كان من حبّ الأمير لها عندما رآها جالسةً في تلك الحديقة، وتشييده قصراً عجيباً لها في أعالي الجبال، تعبيراً عن إعجابه الشديد بها، وتقديره الكبير لها .

(٣)

تبدأ القصةُ بفقرةٍ غامضةٍ من شأنها أنْ تستفزّ فضولَ المتلقي لاستجلاء دلالاتِها الرمزيةَ، فحين يقرأ الطفلُ أو يسمع: «لأجل وردةٍ واحدةٍ كبيرةٍ، كانت الأرضُ تكتسي بالعشب وتتفتّح..، نمتْ ثلاثة شبابيكَ، أربعةُ أبوابٍ، وثلاثُ خوخاتٍ، خمسون جداراً، كرسيّانِ، وثلاثُ مشريبّات»، فإنّه يظلّ حريصاً على متابعة النصّ، ليجيبَ عن تساؤلاته التي تتعلّق بهذه الوردة العجيبة التي يحصلُ كلّ ذلك من أجلها!!

ثمّ إن المتلقي ما إن يكتشف أنّ المقصود بهذه الوردة طفلةٌ اسمُها (بهرج)، حتى يأخذه الخيالُ إلى عالم آخر، يفهق بالغرائبية والإدهاش، وخاصةً فيما صنعه الأمير سلطان من أجل محبوبته بهرج مما يتصل بذلك القصر العجيب الذي شيّده لها. حتى إذا ما تشوّق المتلقي / الطفل إلى معرفة نهاية القصة، فإنه يتفاجأ بنهايةٍ مفتوحةٍ على اشتعال

الأسئلة، وتجدُّدِ التجربة..، ولكن هذه المرة مع وردةٍ أو طفلةٍ أخرى غير بهرج، وهنا يظلّ الطفل في حال تفاعلٍ مستمرّ مع النصّ، فتنتعشُ أحلامه، وتتجدّد آماله.

(٤)

لغة القصة وأسلوبها ممّا يستهوي المتلقي / الطفل في هذه المرحلة العمرية، وخاصةً في صورها المجازية ومشاهدها الغرائبية..، التي جاءتْ لتعزّز قيمته الذاتية، وتبدّد مشاعر الفَرَقِ لديه ممّا حوله من عناصر الطبيعة المختلفة من جمادٍ وحيوانٍ ونباتٍ وإنسانٍ، فكلّ ما حوله يحبّه، ويسعى في خدمته، ويتسابق لأجل تحقيق أحلامه وسعادته (الأرض، العشب، الأشجار، عيون الماء، السماء، الأمطار، الحمير، الحُصُن، الجِمال، الأمير، عمّاله..).

فالقصة لا تقول ما تقوله بطريقةٍ خطابية مباشرة، بل من خلال حكايةٍ، تُمتعه وتُسلّيه، وتحلّق به في فضاء خيالاته وأحلامه وآماله المستقبلية، وهنا تتبدّى خصوصيّة التعبير الأدبيّ في مجال تحقيق أهداف أدب الأطفال التربوية والتعليمية، وذلك أنه لا يجنح إلى المباشرة والخطابية والوعظية التي يكرهها الطفل ويصمّ أذنيه دونها، بل من خلال أساليبَ ووسائلَ من الإرهاف واللطف والحيلة والإثارة.

***

«العملاق العملاق هنا وهناك»

لرانيا زغير

(١)

«العملاق العملاق هنا وهناك» للكاتبة والناشرة اللبنانية (رانيا زغير): قصةٌ تعليميةٌ تربويةٌ، تناسب مرحلة ما قبل المدرسة (٣ ــ ٥ سنوات)، وهي صادرة عن دار الخياط الصغير، (بلبنان، سنة ٢٠١٦)، التي أسستها زغير نفسها سنة ٢٠٠٧، وتختصّ بإخراج كتب الأطفال المصوّرة،التي تعنى بتنمية الذوق الفني والاجتماعي لدى هذه الفئة.

يهدف هذا العملُ إلى تعليم الطفل معنى كلمة (هنا) التي يشار بها إلى المكان القريب، ومعنى كلمة (هناك) التي يشار بها إلى المكان البعيد، حيث يجري تشخيص تينك الكلمتين، فتأتي الأولى في صيغة المؤنث، وتأتي الأخرى في صيغة المذكر، (ص: ٢ ــ ٣): « هذه (هنا)، وهذا (هناك) «. وكذلك تهذيب الطفل، من خلال توجيهه إلى بعض الأعمال والسلوكيات الإيجابية، كترتيب أغـراض البيت، وإعـادة الأشياء في مكانها الصحيح، ومساعدة أمه في هذا الشأن.

تبدأ القصةُ بخلاف بين (هنا) و(هناك) على ترتيب الأغراض في البيت، فيصرّ كلّ منهما على أن تكون جميع الأغراض إلى جهته وفي حوزته، ولم ينجح أيّ منهما في إقناع الآخر بوجهة نظره. وعندما كانت تنتقل أغراض البيت إلى هذه الجهة أو تلك، كان البيت يضطرب ويفقد

توازنه، فيجنح تارة إلى (هنا) وطورا إلى (هناك)، مما أحدث فوضى عارمة، وضجة كبيرة، استيقظ على أثرها (العملاق العملاق)، وهو يسأل: ماذا حدث هنا؟ ماذا حدث هناك؟ فأخبراه بما جرى بينهما..

ودون أن يردّ (العملاق العملاق) عليهما، طفق يرتب الأشياء والأغراض ترتيبا مختلفا، فيضع شيئا هنا، وشيئا هناك، فمثلا أَخَذَ سلة البرتقال ووضعها على الطاولة، وحمل المخدة ودسّها في جارور الخزانة، وأمسك باللوحة وعلّقها على الحائط.. وهكذا، أي وضع كلّ شيء في مكانه المناسب في البيت ، دون أن يكون ثمة تراكم أو تكديس لها في جهة واحدة، لتكون النتيجة بعد ذلك (ص: ٢١): «أن فهمتْ (هنا) أن بعض الأشياء يجب أن تكون (هناك)، وفهم (هناك) أن بعض الأشياء يجب أن تكون (هنا)».

ثم تختتم القصة بعودة أمّ (العملاق العملاق) إلى البيت، ومعها أغراض كثيرة، فيخرج ابنها العملاق العملاق لاستقبالها، ثم يأخذ في مساعدتها، وذلك بوضع الأشياء هنا وهناك.

(٢)

لعل أهمّ ما يفيده الطفلُ من قراءة هذه القصة أو سماعها:

- تعلّم معنى كلّ من (هنا) و(هناك)، واستعمالهما استعمالا صحيحا في مواقف الخطاب المختلفة.
- أهمّية توضيب أغراض البيت، وذلك بوضع كل شيء في مكانه المناسب، وعدم تركها فوضى مهملة، أو متراكمة في مكان واحد.

وهي نقطة مهمة، لأن الطفل في هذه المرحلة العمرية يحبّ اللعب، كثير الحركة والعبث بالأشياء، فلا بدّ أن يتعلم كيف يرتّب الأغراض بنفسه ويعيدها في مكانها الصحيح، سواء في غرفته الخاصة أو داخل البيت.

- عدم التعصّب للرأي.

- مساعدة الأم في ترتيب شؤون البيت.

(٣)

جاءتْ طريقةُ السرد مشوقةً لطفل المرحلة المبكرة من (٣ - ٥ سنوات)، حيث تبدأ القصة بتعريف الطفل بالشخصيات الرئيسة، وهي كلمة (هنا) وكلمة (هناك)، ثم تكشف عن وجود خلافٍ بينهما حول ترتيب أغراض البيت، وتمسّك كلّ منهما برأيه، دون أن يستطيع أحدهما أن يقنع الآخر بوجهة نظره، مما نتج عن ذلك فوضى وإزعاجٌ شديدٌ، استيقظ على أثرهما (العملاق العملاق)، الذي راح يوضّب الأشياء بطريقةٍ متوازنة، فيضع كلّ شيءٍ في مكانه الملائم هنا هناك..

وهو الدرس الذي يفيده الطفل من قراءة القصة، حيث يتبيّن له معنى كلّ من (هنا) و(هناك)، وهما كلمتان مهمّتان في قاموس طفل هذه المرحلة، وهو يحتاجهما كثيرا في حياته اليومية.

هذا، فضلاً عن أهمية تعلّم طفل هذه المرحلة كيف يرتّب الأغراض في البيت، وذلك بوضع كلّ شيءٍ في مكانه الصحيح المناسب، وعدم ترك الأشياء والأغراض تتراكم بشكلٍ فوضويّ.

(٤)

من أبرز ما يسجّل لهذا العمل، ويحقّق نجاحه، سواء على صعيد الموضوع أو التشكيل الفني، ما يلي:

- مضمونه التعليميّ والتربويّ، الذي يحاول أنْ يزوّد قاموس طفل المرحلة المبكرة (٣ – ٥ سنوات) ببعض الكلمات الجديدة التي يحتاجها في حياته اليومية، مثل: كلمة (هنا) التي تشير إلى المكان القريب، وكلمة (هناك) التي تشير إلى المكان البعيد، كما يحاول أنْ يوجه الطفلَ إلى بعض العادات السلوكية الحسنة داخل البيت، كأهمية الترتيب والنظام وإعادة الأشياء في مكانها الصحيح وعدم بقائها على نحو عشوائي..، وكذلك مساعدة الأم في أعمالها المنزلية، مما يُخرج الطفل في هذه المرحلة من حدود الذات، ويوقظ عنده الحسّ بالمسؤولية، وينمّي ذوقه الجماليّ.

- تقديم المضمون، بشقيه: التعليميّ والتربويّ، بأسلوب فنيّ، يمزج بين الحقيقة والخيال، ويقدم المتعة والفائدة في آن. ويكفي أن يشار إلى لفظي (هنا، وهناك)، اللذين يروم العمل أن يتعلّمهما الطفل في هذه المرحلة العمرية، وكيف جرى تشخيصهما في بناء قصصيّ، ليصنعا الأحداث بخلافهما الحاد في الرأي، فيوقظان بفوضاهما وضجيجهما (العملاق)، الذي راح يفصل بينهما، بأسلوب راقٍ، يقوم على مبدأ / القدوة الحسنة، وهو ما كان له تاثيره العميق في (هنا) و(هناك)، وذلك حين شرع يرتب أغراض البيت بوضع الأشياء في مكانها المناسب هنا وهناك، وانبرى بعد ذلك لمساعدة أمه في أعمالها.

- عنوان الكتاب (العملاق العملاق..)، الذي يستهوي الطفل، أول وهلة، ويدفعه إلى قراءته ، لارتباط هذه الكلمة عند الطفل بغرائبيتها التي تقوم على التصوّر الذاتيّ، وبمعناها الذي يرتبط ببسطة الجسم والقوة الخارقة، وهي صفات يطمح إليها الأطفال في العادة ويُدهشون بها. ولكنّ المفاجأة حين يتبين الطفل، غب قراءة النصّ، أن المقصود بالعملاق العملاق، هو ذلك الشخص، المرتب في بيته، الذي يضع الأشياء في مكانها الصحيح هنا وهناك، المعين لأمه في أعمالها..، مما يساعد في إقناع الطفل بهذه السلوكيات الراقية، وتحبيبه إليها .

- مناسبة لغة القصة لأطفال / ما قبل المدرسة، من حيث مستوياتهم الإدراكية، سواء على صعيد المفردات أو الجمل والمركبات، حيث نجد ذلك كله في نطاق قاموس الطفل في هذه المرحلة، بشقيه: ما يقع في دائرة معرفته، وما يقع في دائرة استخدامه، وهو ما يساعد على زيادة تفاعله مع النصّ الأدبيّ .

- تكرار كلمتي هنا وهناك في القصة بشكلٍ لافِت، مرة بوصفهما شخصيتين مختلفتين في الرأي، وتارة في إطار معناهما اللغويّ. كما في قول المؤلفة (ص: ٧ ـ ٨): « حاولتْ (هنا) إقناع (هناك) بإحضار كل شيء هنا. لا، قال (هناك). حاول (هناك) إقناع (هنا) بإحضار كل شيء هناك. لا، قالت (هنا)». ولا شك أنه أسلوبٌ تعليميّ جيّد، يساعد على ترسيخ الكلمات التي نريد أن يفهم الطفل دلالاتها، ويعرف استعمالاتها في مواقف الخطاب المختلفة، وخاصة أن ذلك يأتي من خلال سياق القصة التي يتابع الطفل حكايتها.

- اختيار اسم (العملاق العملاق)، الذي أطلق على الشخصية التي تمثّل دور المعلم أو الإنسان الذكيّ الحكيم، اختيارٌ موفق، لأن الأطفال في هذه المرحلة شديدو الانجذاب إلى الشخصيات الغريبة، والتأثر بها. ومن المعروف أن صفة (العملاق) من الصفات التي يحبّها الأطفال، وهم كثيرا ما يسمعونها في إطار الثناء عليهم، أو الإعجاب بهم، حيث تتشكل في هيئات مختلفة، بحسب تصوّر كل طفلٍ لها.
- اتفاق الكتاب، من حيث التصميم ونوع الورق وحجم الخط والرسوم واللوحات التشكيلية المرافقة.. وغير ذلك مما يتصل بصورته الورقية والطباعية، مع معايير إخراج الكتب التي تقدم للمرحلة العمرية المستهدفة. ومن اللافت هنا تزيين أغلب صفحات الكتاب برسم كلمتي «هنا» و«هناك» بطريقةٍ فنيةٍ جميلةٍ، وهو ما يسهم في تحقيق مقاصد النصّ في تعليم الطفل دلالة تينك الكلمتين، وإغناء قاموسه اللغوي بهما، حيث رسمت كل واحدة منها كالطاووس، مما يلفت نظر الطفل، ويجعله دوما على ذكرٍ منهما.

***

«الدينوراف»

لحصّة المهيري

(١)

«الدينوراف» (دبي، ٢٠١٧) للكاتبة الإماراتية (حصة المهيري): قصةٌ تربويةٌ تعليمية، تستهدف أطفال المرحلة الابتدائية (٦ – ٩ سنوات). أما موضوعها الرئيس الذي تعالجه فهو: تقبّل الآخر، والتعايش في المجتمع الواحد، مهما كان الاختلاف بين الأفراد على مستوى الشكل أو اللون أو الموطن الأصليّ أو نمط المعيشة..، أو غير ذلك.

جرى تقديم هذا الموضع المهمّ من خلال حكايةٍ رمزيةٍ، شخصياتها من الطير والحيوان، بطلها (ديناصور) صغير، يخرج من بيضةٍ في بيئةٍ غريبة غير بيئته الأصلية، ليبدأ رحلةً طويلة وشاقة في البحث عن أمه وعائلته..

تبدأ الحكاية باستقرار بيضةٍ كبيرةٍ فوق تلّ، ولكنها سرعان ما تأخذ بالتدحرج بسبب الرياح القوية في إحدى ليالي الربيع، حتى تصل إلى مزرعةٍ فيها خُمّ دجاج، حيث تستقرّ، ثم تنفقس في اليوم التالي، ويخرج منها ديناصور صغير، أخضر اللون، لا يعرف أمه ولا عائلته التي ينتمي إليها..

يلتفت الديناصور الصغير، أول ما يلتفت، فيرى (دجاجة) تحتضن بيضا لها، فيظن لأول وهلة أنها أمه، فيقترب منها، ويضع رأسه على ريشها الدافئ، فتخبره الدجاجة أنها ليست أمه، وأنه من فصيلة مختلفة، لا تشبه فصيلة الدجاج، فليس لديه ريشٌ ولا جناحان ولا منقارٌ..، فيتعجّب قائلا: إذاً أين أمي؟! فتدله على (سلحفاة) قريبة، لعلها تكون أمه، لأنها هي أيضا مما يبيض، فيتوجّه تلقاءها، ولكنها سرعان ما تخبره كذلك أنها ليست أمه، فهو لا يملك درعا واقية مثلها، بيد أنها تتعاطف معه قليلا، فتدلّه على (التمساح) ومكان سكناه، فلعله يجد ضالته هناك، فيذهب إليه، وعندما يرى التمساحَ يشعر تجاهه بشيء من الألفة، إذ يتشابهان باللون الأخضر والجلد السميك، ولكن التمساح يشترط عليه لضمّه إلى عائلته أن يستطيع السباحة في النهر، فيحاول الديناصور ذلك، ولكنه يفشل في هذا الاختبار، فيفارقه حزينا، ثم ينام ليلته تلك، فيحلم أنه يلعب مع أصدقاء يشبهونه، وحين يستيقظ يكتشف أن سعادته لم تكن سوى مجرد حلم ليس أكثر، فيكمل سيره، تائها لا يعرف أين يذهب، وفجأة يلحظ ذيلا بين الحشائش يشبه ذيله، فيلمسه على حذر، فيطلّ عليه حيوان (الكنغر)، فيسأله من أنت؟ فيردّ عليه بأنه يبحث عن عائلته، وأنه قد وجدها، ولكن الكنغر يخيب ظنه، إذ يبيّن له أنه كائن مختلف، فهو لا يملك جيبا مثله يحمل فيه صغيره، فيكمل سيره حزينـًا..

وفي نهاية المطاف، يتحقق حلمه، عندما يصل إلى مجموعةٍ من الزرافات تلهو وتمرح..، فينضمّ إلى اللعب معها، وعندما تشاهده الزرافة الأم، تسأل بصوت رقيق: من هذا الصديق الجديد؟ فيذكر لها

قصته، وأنه يعيش حالة من الضياع، لا يعرف اسمه، ولا من يكون؟ فتهوّن عليه الأمر، ثم تخبره أنه (ديناصور)، وأنها مع ذلك ترحب به، وأنها سعيدة بانضمامه إلى عائلتها، ليكون واحدا من أفرادها، ثم تشتقّ له اسما جديدا، هو (الدينوراف)، لتؤكد له مدى اندغامه في مجتمع الزرافات، وتبدّد إحساسه بالوحشة والغربة.

(٢)

إنّ القصة غنيّةً بدلالاتها وإيحاءاتها الرمزية..، ولعل أبرز ما يمكن أن يشار إليه هاهنا سعي القصة إلى ترسيخ مبدأ / العيش المشترك. ولا ريب أنه من المبادئ الضرورية التي يجب أن يتعلّمها الطفل بدءا من هذه المرحلة العمرية الحساسة، لانتقاله من بيئةٍ ضيقةٍ، (البيت والأسرة والأقارب..)، إلى بيئة أرحب، قوامها التنوّع والاختلاف، وهي بيئة (المدرسة)، بطلبتها ومعلّميها وأُذّانها وباعتها..، الأمر الذي يتطلب أن يكون الطفل قادرا على الانسجام مع هذه البيئة الجديدة، بإنشاء الصداقات وبناء العلاقات الإيجابية مع الآخرين، بقطع النظر عن وجود الفوارق والاختلافات.

وهو ما يُهيّئ بعد ذلك لتقبّل الطفل مفهوم / المواطنة، عندما يخرج إلى التعامل مع الآخرين في إطار أوسع، وأكثر تنوّعاً وتبايناً، وهو إطار (المجتمع)، ولا سيما المجتمع المدنيّ الحديث، بمكوناته وأطيافه المتعددة، فيكون إنساناً متحضّراً، محصناً من أدواء كثيرةٍ مضرّةٍ، كالتعصّب والتقوقع والنظرة الأحادية الضيقة، وغير ذلك من الأدواء التي تحول دون تقبل الآخر والتعايش معه.

ولعل القارئ / الطفل يتبيّن أهمية هذا المبدأ، وهو يتابع القصة، في سلوك مجتمع الزرافات، من ترحيبه بالديناصور اليتيم.. الغريب، وإيوائه، وعدّه فرداً من أفراده. وليس من قبيل المصادفة أن يكون هو المجتمعَ الوحيدَ في القصة، الذي يعيش حياة راقية، مليئة بالسعادة والفرح..، خلافا للمجتمعات السابقة ، التي كانت أحادية النظرة، ومن شأنها أن ترفض الآخر، ولا تفيد من خبراته وتجاربه.

(٣)

وقد جاءتْ طريقة السرد مشوقة لقارئها / الطفل ، حيث تتسلسل أحداث القصة من خلال ترحال الديناصور الصغير من مكان إلى مكان، ومن بيئة اجتماعية إلى بيئة أخرى، بحثا عن أمه وعائلته، لتصل القصة إلى الحلّ، في نهاية المطاف، ليس بعثور الديناصور على هذا الذي يبحث عنه، بل بعثوره على مجتمع آخر جديد، هو (مجتمع الزرافات)، الذي يرحب بانضمامه إليه، ويقبله واحداً من أفراده، على الرغم من كونه عنصراً مختلفاً. وبذلك تحقق القصة هدفها، وتصل إلى مرادها.

(٤)

كما جاء العملُ حريصاً على تحريك حواسّ الطفل وإيقاظ مداركه الخيالية، حيث يتبدّى ذلك من خلال:

- عنصر الغموض الذي لفّ حقيقة البيضة، في مستهلّ القصة، ثم حقيقة الأم والعائلة، بعدما خرج الديناصور من هذه البيضة، إذ ظلّ

يبحث عنها، ويرتحل من مكان إلى مكان، حتى نهاية القصة.

- عنصر المقارنة بين الديناصور وغيره من الحيوان والطير، كالدجاجة والسلحفاة والتمساح والكنغر.
- تأسيس القصة على فن التشخيص، بإسناد الكلام الذي هو من خصائص الإنسان إلى ما هو غير إنساني كالحيوان والطير.
- الصور الحركية والبصرية واللونية...
- محاولة القارئ / الطفل، على مستوى العمل برمّته، مقاربة الأبعاد الرمزية للقصة، واستنباط دلالاتها ومقاصدها.

(٥)

ومن النواحي اللغوية والأسلوبية، فإنه يمكن تسجيل العديد من النقاط التي تحسب لهذا النصّ، ومن ذلك ما يمكن توضيحه على النحو الآتي:

- جاءتْ لغة القصة ملائمةً لطفل المرحلة العمرية المستهدفة، إذ لا يجد هذا الطفل عناء في فهم الألفاظ والجمل والتراكيب..
- القصّ على ألسنة الحيوان والطير من الأساليب الرائقة التي تستهوي الأطفال على اختلاف مراحلهم العمرية، وخاصة أطفال المرحلة الابتدائية، التي تتوجه إليهم هذه القصة. ومن المعروف أن هذا الأسلوب موغلٌ في القدم، وشائعٌ عند أغلب الأمم، لفاعليته في تسلية الطفل، وتهذيبه وتعليمه.

- « الدينوراف»، عنوان القصة، لفظٌ غريب لا عهد للطفل بسماعه، مما يستفز فضوله لمعرفة هذا الكائن، وخاصة أن العنوان على صفحة الغلاف الأمامي يترافق مع لوحة تشكيلية تجسّد لحظة محاولة الديناصور الخروج من البيضة، ولكن دون أن تظهر ملامحه بوضوح، مما يجعل الغموض يكتنف هذه الصفحة، سواء على المستوى اللغويّ أو البصريّ.

- حفلتْ القصة بغير قليلٍ من عناصر الجذب والتشويق، التي تجعل الطفل حريصا على متابعة النصّ لإشباع حاجته المعرفيّة، فقد بدأت القصة بالحديث عن بيضةٍ كبيرة تستقرّ فوق تلّ، لا يُعرف أصلها ولا ما في داخلها، ثم نتبين بعد ذلك أنها لديناصور، وحين يخرج منها يحزنه أنه لا يعرف أمه ولا عائلته، فيبدأ بالبحث عنهما. الأمر الذي يظل معه القارئ / الطفل قلقًا، وفي حالة اختبارٍ مستمرةٍ لتوقعاته، وخاصةً مع تنقّل الديناصور الصغير من بيئةٍ اجتماعية إلى بيئة أخرى، انطلاقا من توافر بعض عناصر الاتفاق، التي ما تلبث أن تتغلب عليها عناصر الافتراق، ليعود من جديد إلى المربع الأول..، وهكذا دواليك، حتى تصل القصة إلى نهايتها بوصول الديناصور إلى مجتمع الزرافات، الذي كان مجتمعا متحضرا، واسع الأفق، بعيد الرؤية، حيث رحب بانضمامه إليه، على الرغم من أنه ديناصور، خلافا لتلك البيئات الاجتماعية الضيقة التي كانت ترفض وجوده بينها، بحجّة أنه كائنٌ غريبٌ، ليس على شاكلتها.

- كما حفلتْ القصة بعددٍ من الوسائل اللغوية والفنية التي تزيد من حيوية النصّ، ومن فاعلية التلقي لدى الطفل، كالصور الحركية

واللونية والسمعية..، كما في قول الكاتبة مثلا (ص: ٤): «اشتدت الرياح فدفعت بها [أي البيضة] لتتدحرج من أعلى التل بسرعةٍ كبيرةٍ إلى أسفله». وقولها أيضا (ص: ٦): «عند بزوغ خيوط الشمس الذهبية، ومع سماع صوت صياح الديك، فقست البيضة الكبيرة، ليخرج منها رأس كائن أخضر صغير...»

ومن المهمّ أن يشار أيضا إلى تقنية الحوار، بشقيه: الخارجي والداخلي، التي كانت فاعلة في الكشف عن شخصيات القصة وعن وجهات نظرها وما يدور في أعماقها، وفي تطوير الأحداث باتجاه تفاقم أزمة الديناصور الصغير في رحلة البحث عن أمه وعائلته. وكذا إلى تقنية الحلم، حين نام الديناصور في لحظة إرهاق شديد وإحساس أليم بالوحشة، فرأى أنه (ص: ٢١) «يلعب مع أصدقاء يشبهونه»، مما يزيد من تعاطف الطفل معه، ويجعله يتساءل في نفسه، وهو يتابع القصة، هل سيتحقق حلم الديناصور، أم لا؟ ليتبين ذلك في نهايتها ، عندما يتحقق ذلك بوصوله إلى مجتمع الزرافات.

(٦)

وأخيراً، يتميّز الكتاب بجودة تصميمه وإخراجه الطباعيّ والفنّي، ويكفي أنْ يشار هاهنا إلى جاذبية الرسوم الملوّنة التي يحتويها، وإلى قدرتها على تصوير شخصيات القصة وتجسيد أفعالها ومواقفها المختلفة، حيث نجدها ترافق النصّ في كلّ صفحةٍ من صفحات الكتاب.

وليس يخفى مدى أهمية المستوى البصريّ للكتاب في تفعيل طاقة التلقي لدى الطفل، وزيادة تفاعله مع النصّ اللغويّ.

***

«مَنْ لبس ثياب سنجوب»

لسلمى عطا الله

(١)

(سلمى عطا الله) باحثةٌ لبنانيةٌ، من مواليد جنوب لبنان سنة ١٩٦٤. متخصّصةٌ على المستوى الأكاديمي في المجالين: التربوي والنقدي، ولها عدّة دراساتٍ منشورة في ذينك المجالين..، وهي إلى ذلك مبدعةٌ، تكتب القصة للأطفال والناشئة. ومن إصداراتها في هذا الفن، على سبيل التمثيل:

- وأخيراً فهمتُ، ٢٠١٦.
- رحلة فراشتين، ٢٠١٦.
- بخلاء، ولكن، ٢٠١٧.
- رغبات قاتلة، ٢٠١٧.
- هكذا سأحب الآخرين، ٢٠١٧.
- مجموعة روى تتعلم، ٢٠١٧.
- روى والكنغرو تضيعان في الغابة، ٢٠١٨.
- وتكفي واحدة، ٢٠١٨.

(٢)

«مَنْ لبس ثياب سنجوب»: قصةٌ تعليميةٌ تربويةٌ، صادرةٌ عن (دار أكاديميا انترناشيونال، ببيروت، سنة ٢٠١٧)، وهي موجهةٌ إلى أطفال المرحلة العمرية المبكرة من (٣ ــ ٥ سنوات)، ولعلنا نتبيّن ذلك في مستهلّ القصة، حيث نقرأ (ص: ٣): «استيقظ سنجوب باكراً، على غير عادته، في ذاك الصباح. ارتدى ثيابه، وتناول بعضا من فطوره، وخرج من بيته مسرعا، كي لا يتأخر على رفاقه».

وواضحٌ أنه لما يدخلْ المدرسة، فقد تعوّد أنْ لا يصحوَ مبكراً، ووقت اللعب لديه هو الصباح، وليس الأصيل بعد يومه الدراسيّ. ومما يدلّ على ذلك كذلك، أنه لا يعرف فصل الشتاء، ولا يعرف طبيعته، فهو يسأل أمه (ص: ٦): « وما هو فصل الشتاء، وماذا عليّ أن ألبس؟».

تهدف قصة « منْ لبس ثياب سنجوب؟ «، كما جاء على صفحة الغلاف الخلفية، إلى تحرير الأطفال من أسر الشاشة، لينطلقوا في أحضان الطبيعة، ويستمتعوا بسحر جمالها، فهي «مغامرة شيقة قام بها سنجوب، تعرف فيها إلى الطبيعة في فصل الشتاء، وفرح بمساعدة رجل الثلج».

بطل هذه القصة اسمه (سنجوب)، وهو شخصية حيوانية، يعرفها أطفال هذه المرحل العمرية ويحبونها كثيرا ،.. يستيقظ مبكرا، ليلعب مع رفاقه قرب الجبل تحت شجرة البلوط، حيث يجمعون ثمارها ويتقاذفون بها. وعندما وصل إلى مدخل الحديقة، نظر إلى السماء، فراعه اختفاء الشمس تحت الغيوم الكثيفة، وفي هذه اللحظة تناديه أمه

ليلبس ثيابا سميكة دافئة، لأن فصل الشتاء قد حلّ، فيسألها ما الشتاء؟ ثم يرجع إليها، وهو يتذمر من هذا الفصل، لأنه سيتأخر على رفاق اللعب، وعندما لبس وانطلق إلى الجبل، وبدأ البرد يشتدّ، حمد الله على إطاعته أمه، لأن ثيابه كانت تشعره بالدفء.

وهكذا تتلاحق تغيرات الجوّ، وهو في طريقه إلى الجبل، لتبدأ مغامراته مع البرق والرعد والمطر..، فتدهشه مناظر الطبيعة في هذه الأثناء، كصوت تساقط حبات المطر، والدوائر التي ترسمها في التراب..، وعندما يصحو الجوّ، ويدنو من الجبل، يتفاجأ بأن لون الجبل صار أبيض، ولا يجد أحداً من رفاقه، فيلعب وحده مستمتعا بكرات الثلج وبصوت وقوعها على الأرض وبتزحلقه من مكانٍ إلى مكانٍ..، ثم يرى (رجل ثلج) صنعه أطفال إحدى القرى المجاورة، فيقترب منه، ويشفق عليه، لأنه بلا مأوى ولا ثياب تقيه البرد، فيقول له: سألبسك ثيابي، كي لا تبرد أو تمرض، كما قالت أمي. وسرعان ما أحس سنجوب بالبرد، فيسرع عائدا إلى بيته سعيدا بكل ما صنعه.

(٢)

سبقت الإشارة إلى أنّ هذا العمل موجّهٌ إلى أطفال المرحلة المبكرة، أي ما قبل المدرسة، وفي هذه المرحلة، كما هو معروف، يكون خيال الطفل محدوداً ببيئته الضيقة من البيت والأسرة والحديقة وألعابه الالكترونية .. إلخ.

ومن هنا تكتسب هذه القصة قيمتها، إذ تحاول أن تطلع الطفل / المعاصر على فضاء أرحب، وتلفت نظره إلى عالم آخر جميل، لا

يقارن اتساعه بالشاشة التي بين يديه من تلفاز أو حاسوب أو آيباد أو بليستيشن.. إلخ، وهو عالم الطبيعة. وقد جاء ذلك في القصة مقترنا بفصل الشتاء، حيث حاولت الكاتبة أن تركز على ما يتطلبه هذا الفصل من ملابسَ خاصةٍ، وعلى ما يرتبط به من مظاهرَ طبيعيةٍ جميلةٍ، لتعريف الطفل بها، وتحبيبه إليها.

(٣)

لا شكّ في أنّ القصة مشوّقةٌ لمتلقيها / الطفل، بدءاً من العنوان الذي جاء على شكل سؤال «مَنْ لبس ثياب سنجوب؟»، حيث تتدرّج الأحداث ضمن سلسلة من الاكتشافات والمغامرات التي بطلها (سنجوب)، إلى أنْ يصل القارئ إلى المشهد الأخير في القصة، الذي يميط اللثام عن الشخص الذي لبس ثياب سنجوب، وهو (رجل الثلج)، الذي صنعه أطفال القرية المجاورة.

(٤)

كتبت القصة بلغةٍ تناسب الفئة العمرية التي تستهدفها، فألفاظها سهلة، ليس فيها غريبٌ، مما هو خارج حدود قاموس الطفل اللغويّ، إلا بمقدار ما تريد الكاتبة أن تغنيَ به هذا القاموس، وتشدّ الملقي / الطفل إلى مزيد من السؤال عنه، والتعرّف إليه، كالقبعة، والكنزة، والمعطف، والقفاز، والبرق، والرعد، والثلج، ورجل الثلج.. إلخ.

وقد وظفت الكاتبةُ بعضَ الأساليب التي من شأنها أن تجذب الطفل وتثير انتباهه، وكذلك تزيد من قدرة النصّ التجسيدية والدرامية..، ومن

ذلك ما يجده القارئ من حوار خارجي بين سنجوب وأمه، حيث نطالع (ص: ٦):

_ «يا سنجوب، ارتد ثيابا سميكة قبل أن تخرج من البيت».

_ «لكن، لماذا يا أمي؟»

_ «لأن فصل الشتاء قد حلّ».

وما يجده القارئ أيضا من حوار داخليّ، يكشف عما كان يقوله سنجوب في نفسه، إزاء بعض المشاهد أو المواقف، على شاكلة قوله متعجبا، عندما نظر إلى السماء (ص:٤): «ماذا حصل للطبيعة، أين اختفت الشمس؟ آآآآ لماذا جاءت الغيوم وخبأتها؟».

ومن ذلك أيضا أسلوب حكاية الصوت، وهو أسلوب محبب للأطفال، من مثل (ص: ١٠): «أحْ.. أحْ»، حكاية صوت المقرور الذي يرتجف من شدة البرد، أو (ص: ١٥): «بشْ.. بشْ.. بشْ..»، حكاية صوت حبات المطر عندما تتساقط على التراب، أو (ص: ٢٠): «بجْ.. بجْ.. بج..»، حكاية صوت كرات الثلج عند سقوطها وانتثارها على الأرض.

***

«مغامرة عجيبة غريبة»

لتغريد النجار

(١)

(تغريد النجار) كاتبةٌ وباحثة أردنية في مجال أدب الأطفال وثقافتهم، ولدتْ في عمّان سنة ١٩٥١، وتخرّجتْ في الجامعة الأميركية ببيروت حيث حصلتْ على درجة (البكالوريوس) في اللغة الإنجليزية ودرجة (الدبلوم) في التربية وعلم النفس سنة ١٩٧٣. تكتب القصة والرواية للأطفال واليافعين منذ سنة ١٩٧٧، وقد أصدرتْ حتى الآن أكثر من (٦٠ عملاً) لهم، ومن ذلك، على سبيل التمثيل:

- كعك، ١٩٩٣.
- البطيخة، ١٩٩٣.
- أشهب، ١٩٩٤.
- الغول، ١٩٩٧.
- ماذا نلعب الآن، ١٩٩٧.
- من خبأ خروف العيد، ١٩٩٩.
- أحلى يوم، ٢٠٠٤.
- عندما دق الباب، ٢٠٠٧.

- بيت الأرنب الصغير، ٢٠١٠.
- أرنب كرمة، ٢٠١١.
- قبعة رغدة، ٢٠١١.
- نشمة وجاسم، ٢٠١١.
- ست الكل، ٢٠١٣.
- ستشرق الشمس ولو بعد حين، ٢٠١٧.

(٢)

«مغامرة عجيبة غريبة»: قصةٌ تربويةٌ تعليميةٌ، موجّهةٌ إلى أطفال المرحلة العمرية المتوسطة من (٦ - ٩ سنوات)، صدرتْ طبعتها الأولى عن (دار السلوى للدراسات والنشر، بعمّان، سنة ٢٠١٧).

يهدف هذا العمل إلى توثيق صلة الأطفال بالفنون التراثية الشعبية، ولا سيما فنّ (التطريز اليدوي)، الذي يُعنى بزخرفة الملابس والأزياء والقطع القماشية، وهو من الفنون الشائعة عند أغلب الأمم، ويجري توارثها من جيل إلى جيل، وعادة ما يرتبط هذا الفنّ بثقافة المجتمع، وتقاليده المميِّزة.

عالجت الكاتبة هذا الموضوع من خلال حكايةٍ مشوّقة، بطلتها طفلةٌ اسمها (هند)، يلفت انتباهها دومًا ويستوقف نظرها، كلّما زارتْ عمَّتها (سهيلة)، انشغالها بتطريز بعض القطع القماشية، فيستهويها هذا الفنّ اليدويّ، وخاصةً بعد أنْ سمعتْ من عمّتها أنّ التطريز ليس مجرد أشكالٍ وألوان جميلة، وإنما هو يحكي قصصًا أيضا، فتطلب

من عمّتها أن تعلّمها فن التطريز، لتتمكن من إهداء أمها في عيد ميلادها مفرشا مزخرفا لفنجان قهوتها، وبصدرٍ رحبٍ تلبّي عمّتها طلبها، وتأخذ بتعليمها المبادئ الأساسية، ثم تهديها سلةً من القشّ، فيها بكراتٌ من الخيوط الملوّنة، وإبرة، وكشتبان، ومقصّ..، لتباشر هي بنفسها ذلك، وتتدرّب على تطريز قصصها الخاصة.

غبّ عودة (هند) إلى بيتها، شرعتْ تتفحّص أدواتِ التطريز، ودون أن تنتبه وخزت الإبرة يدها، فأدمتها..، وفجأةً تشعر بدوارٍ شديدٍ، ودوّامةٍ حمراء تلفّها وتحملها..، لتجد نفسها بعد ذلك في عالمٍ خياليّ عجيب، مفعم بالجمال والحيوية، فتخبرها بكرة خيوط حمراء، أنها الآن في (عالمِ التطريز)، فترحب بها، وتدعوها إلى جولة في فضاء هذا العالم، وهناك ترى (هند) ما ترى من أزهار وأشجار، وحيوان وطير، وأشكال وألوان..، وبينما هي مستمتعة بما تشاهد، إذ ظهر بغتة ظلّ أسود، ففزعت الألوان والأشكال، وراحت تستنجد بها، لتساعدها على دحر هذا العدوّ اللعين ، الذي يحاربها دوما، ولا همّ له سوى أن يجتثّها من الوجود، أو يراها أنكاثا متفرقة، فتستجيب (هند) مباشرة، وبمهارة فائقة تستلّ إبرتها السحرية التي كانت السبب في انتقالها إلى عالم التطريز، ثم تدعو بكرات الخيوط الملونة إلى التضامّ والتعاون، والإسراع بإعادة الأشكال الجميلة التي أخفاها (الظلّ اللعين)، وأخيرا يتمّ القضاء عليه ويندحر، وتعود الخيوط والأشكال والألوان على نحو أجمل من ذي قبل، وأشدّ قوة وتماسكا، ثم تُفيق (هند) من سماديرها، فتفتح عينيها، لتلفي نفسها في غرفتها، وقد سقطت من يديها سلة الخيوط التي أهدتها إياها عمتها، فتبادر بالتقاط البكرات المتناثرة، وهي تقول (ص: ٧٢): «أي شكل سأطرّز لأمي؟ سنبلة قمح؟ زهرة

أم شجرة، أفعى أم أسدا أم طيرا؟». وهي الأشكال التي رأتها في أثناء رحلاتها الخيالية في عالم التطريز.

(٣)

يحاول العملُ أن يعزّز في متلقّيه / الطفل، من خلال هذا الموضوع، فنّ (التطريز اليدويّ)، فكرة أساسية من الأهمية بمكان في هذه المرحلة العمرية، هي فكرة (الاعتماد على الـذات). فثمة العديد من الفنون والصناعات اليدوية، التي يفترض أن يتعلمها الصغير من الكبير، ويتقن مزاولتها بنفسه، لأهمية ذلك عند الحاجة، إذ ليس حسنا بل قبيحا أن يكون الإنسان عالة على سواه، وبمقدوره أن يكون خلاف ذلك. وهو ما يفيده المتلقي من صنيع (هند)، إذ راحت تتعلّم من عمتها فنّ التطريز، وتتدرب على ذلك عمليا، لتتمكن بعد ذلك من صنع مفرش جميل لفنجان قهوة أمها، يكون بمثابة هديتها لها في عيد ميلادها، بدلاً من أن تطلب ذلك من غيرها، أو تضطر لشرائه من السوق.

وممّا يفيده الطفل كذلك ويتعلّمه بعد قراءة هذا العمل:

- أنْ يكون كثيرَ الفضول، لا يخجل أو يتردد في سؤال الكبار عن أيّ شيء يلحظه أو يجهله، ليزداد معرفة بالأشياء، وخبرة في الحياة.
- أنّ التعليم وحده لا يكفي لإتقان أي فن أو صناعة، وإنما لا بدّ من الرغبة، والتعلّم الذاتيّ، والممارسة الفعلية، والصبر والتحمّل.
- أنْ يكون واسع الخيال، مرهف الذوق، ذكيـًا، شجاعـًا، قادراً على مواجهة المشكلات الطارئة، والتغلّب عليها.
- أنّ الاتحاد قوةٌ، والتفرّق ضعفٌ.

(٤)

طريقة السرد مشوّقة..، حيث تبدأ الحكاية بملاحظة الطفلة (هند) عمّتَها وهي منشغلة بفن التطريز، ثم حرصها على أن تعلمها هذا الفن، لأجل أن تصنع هدية لأمها، تقدمها لها في عيد ميلادها..، لتتطور الأحداث عندما عادت إلى بيتها، وشكّت الإبرة إصبعها، وأصابها دوار شديد!! إذ سرعان ما انتقلت في خيالها إلى عالم التطريز الجميل، المليء بالألوان والأشكال المختلفة، حيث شقائق النعمان العملاقة، وبكرات الخيوط التي تغنّي، وسنابل القمح الأصفر التي ترقص، والسلطعون الذي يتكلم ويعزف الموسيقى..، بيد أن دوام الحال من المحال، إذ فجأة يظهر (الظل اللعين)، ليعيث في هذا العالم البهيّ قبحا وفسادا، فيتصدى له الجميع بقيادة (هند)، فيطرد شرّ طردة، وتعود الأشكال والألوان والخيوط إلى ما كانت عليه من التماسك، والتناسق والجمال، ثم تصحو (هند) من أحلامها، لتجد نفسها في غرفتها، بين أدوات التطريز، لتبدأ في الواقع تحقيق هدفها الذي رسمته، وهو صنع مفرش مطرز لفنجان قهوة أمها، تهديه إليها بمناسبة عيد ميلادها.

(٥)

تمزج القصةُ بين الواقع والخيال، وهي مليئةٌ بالمغامرات والمفاجآت..، التي تجذب الطفل، وتغريه بالقراءة والمتابعة. وقد استعملت الكاتبة النجار غير قليلٍ من الأساليب اللغوية والفنية التي تزيد من حيوية النصّ وتفاعل المتلقي..، من مثل:

- أسلوب الحوار الخارجي بين (هند) وعمّتها، (كما في النصّ السابق)، والحوار الداخلي، كما قول (هند) في نفسها، في خاتمة القصة، بعدما أفاقت من رحلتها الخيالية في عالم التطريز: «أي شكل سأطرز لأمي؟ سنبلة قمح؟ زهرة أم شجرة؟ أفعى أم أسدا..».

- أسلوب الانتقال من الواقع إلى عالم آخر، متخيّل، كما نجد ذلك في رحلة (هند) المتخيلة إلى عالم التطريز .

- أسلوب التشخيص، الذي راح يضفى على الجمادات والحيوانات والنباتات ملامحَ إنسانيةً..، حيث نطالعُ، على سبيل التمثيل (ص: ٤٣ - ٤٤): «نظرت هند إلى أسفل وقالت بصوت مرتجف: الشجرة عالية، ولا أستطيع أن أنزل منها. سمعها سلّم كان متكئا على حائط قريب فقال لها: ابقي مكانك يا هند. أنا سأنزلك. حاول السلم أن يساعدها على النزول ولكنه لم يكن بالعلو المناسب. في تلك اللحظة مرّ سرب حمام وعندما رأت الحمامات هند عالقة فوق الشجرة العالية علا هديلها، واسرعت لمساعدتها. قالت إحدى الحمامات: لا تقلقي ياهند، نحن سننزلك عن الشجرة».

- توظيف الأغنية الشعبية، كما في قول الكاتبة (ص: ٣٢): «مشت بكرة اللون الأحمر أمامها، وهي تغني بصوت عال: على دلعونا على دلعونا / اللون الأحمر يا أحلى لونا». (وانظر أيضا، ص: ٧٢).

- أسلوب التكرار، كما في قولها (ص: ٢٣): «فجأة شعرت هند بالغرفة تدور وتدور بها». وكذا في قولها (ص: ٤٧): «ودّعت هند الحمامات، وهي تقول: شكراً.. شكراً». وأيضا (ص: ٥٧): «صاحت البكرة الحمراء: إنه آتٍ! إنه آتٍ..».

***

« حور تشرب الشاي مع القمر»

لجمال بوطيب

(١)

«حور تشرب الشاي مع القمر» للكاتب والأكاديميّ المغربي (جمال بوطيب): قصة تعليمية، (صدرت طبعتها الأولى عن دار «مقاربات للنشر والصناعات الثقافية» بمدينة فاس سنة ٢٠١٧)، كُتب على غلافها لأطفال الفئة العمرية (٨ - ١٢ سنة !). تتناول موضوع تحبيب الكِتاب إلى الطفل، وحثّه على القراءة والتزوّد من العلم والمعرفة، لتحقيق تطلعاته وأحلامه الخاصة.

جرتْ معالجة هذا الموضوع من خلال حكايةٍ، بطلتها طفلةٌ ذكيةٌ طموحةٌ، اسمُها (حور)، تعيش في أسرةٍ مثقفةٍ، (مع أمها وأبيها وأختها وجديها)، حيث تنشأ محبّة للمطالعة والكتب، حتى باتت تعتقد، كما تقول (ص: ١٣): «أن كلّ ما يمكننا تعلّمه نتعلّمه من الكتب».

تبدأ أحداث القصة حينما تخبر حور أباها أنها تريد أن تصبح صديقة للقمر، فيرفض أبوها هذا الطلب، راداً عليها أن القمر لا صديق له، فتخبره أنها قرأت في أحد الكتب خلال العطلة الصفية أن القمر صديق الشعراء والأطفال، فيوافق أبوها على هذه الصداقة، ولكن بشرط أن يوافق القمر نفسه على ذلك، مما يجعلها تبحث في الكتب والشبكة العنكبوتية عن (شروط مصادقة القمر). وهنا تبدأ رحلتها في متابعة

هذا الموضوع، حيث تجد موادّ ومباحثَ كثيرةً تتصل بتعريف القمر وخواصّه وأشكاله..، فتقف في خلال ذلك على معلومات وافرة عن هذا الجِرم السماويّ، ثم تحاول أمّها مساعدتها فتعطيها كتابا مليئا بالأشعار والحِكم عنوانه «قمرٌ وأقمارٌ»، حيث يُقصد بذلك القمر الحقيقي والناس الألى يشبهون القمر أو يوصفون به، فتنكبّ حور على قراءته، وتفيد منه معلوماتٍ جمةً، وخاصة فيما يتصل بالبعد الرمزي للقمر، ثم يقدّر لها أن تقف على كتابٍ آخر، أكثر أهمية، لاحظتْ أنّ أختها (نور) تطالع فيه دائما قبل أن تخلد إلى النوم، فتتفاجأ أن عنوانه « كلّ شيء عن القمر «، فتقرأه بنهمٍ شديدٍ لعلها تجد فيه ضالتها، فتتعرف من خلاله على جوانبَ علميةٍ مهمّة تتعلق بهذا الكوكب. وأخيرا تخطط حور مصادقة القمر بانتظار طلعته في ليلة مقمرة، ولأجل مجاملته تصنع له كأس شاي، وتقدم له الحلوى، تشاركها في ذلك أختها نور، فتطيلان السهر لتحقيق هذا الحلم، وعندما يظهر القمر يلوّحان بيديهما إليه ويدعوانه لاحتساء الشاي..، ولكن القمر لم يردّ عليهما ولم يستجبْ لدعوتهما، ابتسم لهما وهو صامتٌ

ثم رحل..، ليتبيّن لهما بعد ذلك أن القمر له أحواله الخاصة من الظهور والاختفاء، وأن القمر لا صديق له، كما قال أبوهما من قبل.

(٢)

موضوع تحبيب الكتب إلى الأطفال، وتشجيعهم على القراءة والتعلّم الذاتي والبحث والتجريب..، من الموضوعات الأساسية التي يُعنى بها أدب الأطفال، لأهمية ذلك في بناء شخصية الطفل بناءً

متينـًا، وتأهيله للحياة والمستقبل على نحوٍ سليم، حيث تكثر الأعمال الأدبية: الشعرية والنثرية، التي تتناول هذا الموضوع، ليكون المعوّل عليه في التمييز بين هذه الأعمال والحكم عليها، في نهاية المطاف، هو قدرة العمل على تقديم فكرةٍ طريفةٍ أو مضمونٍ جديدٍ في معالجة هذا الموضوع، وحسن تأدية ذلك إلى المتلقي / الطفل، بحيث يأتي النصّ الأدبيّ بلغةٍ مناسبة جميلة، وأسلوبٍ مشوّق، قادرٍ على إمتاع الطفل وتسليته، وإعمال حواسّه وخياله ومدركاته الذهنية.

يُؤخذ على القصة التي بين أيدينا، عدم ملاءمتها للمرحلة العمرية التي تستهدفها، فبطلتها حور لا تتجاوز سنّ الثامنة من العمر، (كما يمكن أن يستشفّ ذلك من حمل الخادمة لها ولأختها نور إلى فراشهما عندما غلبهما النوم في حديقة البيت وهما ينتظران إطلالة القمر)، ومع ذلك نجد هذه الطفلة تتحدث عن العشق في شعر الشعراء القدامى وعن استخدامهم لكلمة القمر بدلالتيها: الحقيقية والمجازية، وعن الأقمار الصناعية، وهي إلى ذلك تتحدث عن نظريات نشوء القمر، كنظرية (الصدمة الكبرى)، وعن أحواله الجغرافية والجيولوجية والفلكية، وعن علاقته مع الأرض والشمس..إلخ. وفي رأيي، أن هذا لا يناسب المستوى الإدراكي والثقافي لطفل الثامنة أو التاسعة، وفيه مبالغةٌ ظاهرةٌ، من شأنها الإضرار بالعمل، ومستوى نجاحه، بصورةٍ عامة.

هذا، فضلاً عن طول القصة، إذ يبلغ عدد صفحاتها (٧٥ صفحة)، وقد جاءتْ مكتظةً بالأحداث والشخصيات والمعارف العلمية المختلفة ! مما يجعل الطفل في هذه المرحلة لا يطيق قراءتها، لما يجده من صعوبةٍ في الربط والفهم والمتابعة.

(٣)

جاءت القصةُ على لسان الطفلة حور، بطلتها التي ذكر اسمها في العنوان «حور تشرب الشاي مع القمر»، وهو عنوان مشوّق ومستفزّ لفضول الطفل، للوقوف على حكاية هذه الطفلة الغريبة التي تشرب الشاي مع القمر ! ويـزداد هـذا الفضول لـدى القارئ حين تباغته افتتاحيتها بهذا الحوار بين حور وأبيها (ص: ٥):

_ القمر لا صديق له.

قال أبي، يوم قلتُ له:

_ أنا أريد أن أصير صديقةً للقمر.

.. بيدَ أنّ القصةَ سرعان ما تهي طاقتها التشويقية لأسبابٍ عدّةٍ، لعل أهمّها عدم ملاءمتها لأطفال المرحلة المستهدفة من حيث طولها، وصعوبة لغتها، وحشوها بمنقولاتٍ واقتباساتٍ علميةٍ طويلةٍ، جاءت فوق مستوى نموّ الطفل العقلي وخلفيته الثقافية، كما كان لها دورٌ سلبيّ في قطع السرد وتباعد خيوط الحكاية.

ولعل هذه الأسباب مجتمعة قد أفقدت النصّ قدرته على اجتذاب القارئ / الطفل والإمساك به حتى يصل إلى خاتمته، إذ كان الطفل، في العادة، لا ينشدّ الى النصّ الأدبيّ الذي يرهقه في القراءة، أو يصعب عليه فهمه واستيعابه، بل ينشدّ الى النصّ الذي يقوّي ثقته بنفسه وقدراته، ويجعله في حالةٍ من التفاعل والانسجام معه، لا أن يكون فوق مستواه، بحيث يشعر أن النصّ لم يكتبْ له، بل كتب لسواه.

ويكفي أن أشير هنا للتدليل على صعوبة لغة النص بالنظر إلى المرحلة العمرية المستهدفة إلى مثل قوله: (ص: ٥) «فكّ شفراته المُلْغِزة»، و(ص:٧) «أحسستُ بغبْنٍ كبير»، «دلفتُ أقرأ الكتاب «، و(ص: ٥٨) « تلك عجوزٌ شمطاء»، و(ص: ٦٩) «أيمكن للقمر أن يكون عُرْقوبا»، و(ص: ٧١) «إنه القمر يغازل مشاعرنا»، و(ص: ٧٢) « لتحدّقْ حدّ انغراس العين في العين وحدّ هيام الذات في الذات، وحدّ عياء النظر من النظر».. إلخ.

أما الأمثلة الدالة على على تلك المنقولات والمقتبسات العلمية الطويلة التي كان لها دورها السيئ في انبتات السرد، وتشتت خيوط الحكاية وانتشارها على المتلقي / الطفل، فضلاً عن عدم ملاءمتها للمستوى الإدراكي والثقافي لطفل المرحلة العمرية المستهدفة..، فمن ذلك قول حور (ص: ٤٤ ــ ٤٥): « منذ أربع (كذا) مليارات سنة ونصف، كان القمر مغطّىً بالحمم البركانية المنصهرة والتي (كذا) شكّلتْ محيطاتٍ من الحمم على سطح القمر. ومنذ هذا الوقت إلى اليوم والقمر يبعد عن أرضنا كلّ عام. وتتكوّن قشرة القمر من المواد الأولية التالية: يورانيوم، ثوريوم، بوتاسيوم، أكسجين، سيلكون، مغنيسوم، حديد، تيتانيوم، كالسيوم، ألمنيوم، والهيدروجين. وعندما تسقط الإشعاعات الكونية على تلك العناصر الأولية، تقوم تلك العناصر على انعكاس تلك الإشعاعات بخواصٍّ (كذا) مختلفة تعتمد على طبيعة العنصر الأوليّ العاكس للشعاع وبصورة إشعاعات جاما. وبعض العناصر الأولية على سطح القمر تصدر إشعاعات جاما بدون الحاجة لتعرض تلك المواد الأولية لأي نوع من الإشعاعات الكونية كاليورانيوم أو البوتاسيوم والثوريوم»!!!!

(٤)

ومما يؤخذ على النصّ كذلك:

ـ ورود العديد من الأخطاء اللغوية والطباعية، ومن ذلك، على سبيل التمثيل حسب، ما ورد في الصفحات الآتية: (ص:٥) «مبالغ في تزكيَّته»! والصواب: تزكيَته. (ص:١٦) « يكاد صبره ينفذُ»! والصواب: ينفدُ. و(ص:٣٧): « جُرم سماويّ»! والصواب: جِرْم. و(ص:٣٩) «قلْ لي من ترافقُ أقولُ لك من أنت»! والصواب: أقلْ لك. و(ص:٧١) «إنه القمرَ يغازلُ مشاعرنا»! والصواب: القمرُ.

ـ وجود اضطراب في كتابة بعض الأبيات الشعرية، ومن ذلك البيت (ص:٢٩):

قلتُ: البدرُ، قالتْ: ظلمتَ حسني بذا التشبيه فاهجرني مليّا

وهو مكسور !!

ولعل الصواب فيما أستظهر:

فقلت: البدر، قال ظلمتَ حُسْني..

ـ عدم الإشارة إلى المراجع التي استقى منها الكاتبُ مادته العلمية حول (القمر)، حيث نجد صفحاتٍ كثيرةً منقولةً حرفيًا من الموسوعات العلمية على الشبكة العنكبوتية، سواء ما جاء منها للكبار أو ما جرى تبسيطه للأطفال. وقد لجأ الكاتب إلى وضع بعض هذه المنقولات بين علامتي تنصيص هكذا «...»، دون إحالة إلى المرجع الذي استقى منه. انظرْ، على سبيل التمثيل،

الفقرات المنقولة الآتية، من قوله (٤٠ ــ ٤١): « قوم القمر بدورة كاملة حول الأرض مرة واحدة كل أربعة أسابيع تقريبا..» إلى قوله: «ولهذا السبب يرى الناظر من الأرض نفس الوجه للقمر». فهي منقولة حرفيا من موقع (منتديات ستار تايمز) على الشبكة العنكبوتية دون إشارة إلى ذلك !!

كما جاءت بعض المنقولات دون تنصيصٍ أو إحالةٍ إلى المرجع العلمي ! انظر مثلا (ص: ٣٧، و٤٦ ــ ٤٨).

(٥)

لوحة الغلاف جميلةٌ ودالـةٌ، وقد جاءتْ تصوّر لحظةً حاسمةً في القصة، وهي جلوس حور محتبيةً تترقب ليلا ظهور القمر، وقد أعدّتْ له كأسَ شايٍ، ليحتسيها معها. ولكن يؤخذ على العمل في هذا الجانب، قلة الرسومِ واللوحات التعبيرية الموضّحة، وخاصة أن القصة مليئةٌ بالأحداث التي تحتاج إلى التجسيد البصري، ليتفاعل القارئ / الطفل مع النصّ اللغويّ، وينشط لمتابعته، ومع ذلك فقد جاءت هذه الرسوم القليلة ضئيلة الحجم، وغير لافتةٍ لانتباه القارئ الصغير، وقد زاد الأمر ضِغثًا على إبّالةٍ رسم وجوه شخصيات القصة (من الأبوين والجدين والبنتين) في حالةٍ من العبوس والتجهّم، ولا سيما وجهُ الأب، وهو يحاور ابنته !!

***

«معطفي القرمزي»

لحصة جوعان المرزوقي

(١)

« معطفي القرمزي» للكاتبة الإماراتية (حصة جوعان المرزوقي): قصةٌ تعليمية تربوية، تصلح للفئة العمرية (١٠ _ ١٤ سنة). صدرتْ طبعتها الأولى عن (دار العالم العربي للنشر والتوزيع، بدبي، سنة ٢٠١٨).

يسعى العملُ إلى تشجيع القارئ/ الطفل على تكوين شخصيةٍ مستقلةٍ، قويةٍ، قادرةٍ على التفكير الإبداعيّ، وتطوير مواهب الذات وإمكاناتها.

عالج العملُ هذا الموضوعَ من خلال حكايةٍ ماتعةٍ، على لسان طفلةٍ في الثامنة من عمرها، تشتري لها أمّها معطفاً صوفياً قِرْمزيّ اللون، ليقيَها برد الشتاء القارص، فتلبسه، ويتعلّق قلبها به. وحين انقضى فصل الشتاء، حزنت الطفلة كثيراً، وهي تفارق معطفها، لأنّ عليها أن تنتظر عاماً كاملاً قبل أنْ ترتديَه تارةً أخرى، وهكذا ظلتْ في حالةٍ من الانتظار إلى أنْ عاد فصل الشتاء من جديدٍ، فسرّتْ بهذه العودة، لأنها ستعاود ارتداء معطفها الذي أحبّته، ولكنها تفاجأ حين لبسته أنه صار ضيقاً، ولم تعدْ قادرةً على إغلاق أزراره، فتحزن لذلك وتشعر بالخيبة، بيد أنها طفلةٌ ذكيةٌ، إذ سرعان ما راحت تفكر في حلّ مشكلتها، وقد وجدتْ

ذلك في لفّ شريطٍ أو زُنّار على خصرها تشدّ به جانبي معطفها، وهي فكرةٌ استوحتها من صورة أخيها لاعب الكاراتيه الذي يلفّ على بطنه حزاما أسود، وحين يشاهدها أبوها يشفق على منظرها، ويقترح عليها أن يشتريَ لها معطفا جديدا بدلا منه، ولكنها ترفض هذا الاقتراح، لما صار بينها وبين معطفها القديم من حبّ وإلْفٍ. وهكذا تقضي شتاء آخر به، حتى إذا ما أقبل شتاء العام الذي يليه، صار من المتعذّر عليها لبسه، بعد أن ازداد طولها، فتقترح عليها أمّها أن تشتريَ معطفا جديدا لها، فتوافق هذه المرة، ولكن بشرط أن يكون مطابقا لمعطفها القرمزي الذي أحبّته وتعلقت به في لونه وشكله.

وحين تذهب الطفلةُ مع أمها إلى السوق لا تعجبها المعاطفُ المعروضة في المحلّات، لأنها لا تشبه معطفها القرمزي، وفي طريق العودة إلى المنزل تلمح الطفلة محلاً للخياطة، فيخطر على بالها فكرة استشارة صاحب المحلّ بتوسيع معطفها القديم بما يشبهه من القماش، فتوافقها أمها على التوقف عند الخياط، حيث جلستْ وبدأتْ برسم تصاميمَ جديدةٍ لمعطفها واختيار الصوف المناسب له، حتى إن أمها لتصاب بالدّهَش من ذكاء ابنتها وتفكيرها الإبداعيّ.

وبعد يومين تستلم الطفلة معطفها الذي أصبح جميلا بل أكثر أناقةً من ذي قبل، لتبدأ بعد ذلك تجربة جديدة في تصميم بعض الملابس لزميلاتها في المدرسة اللائي أعجبن بمعطفها وذوقها الجماليّ، فاكتسبت بذلك سمعةَ طيبة، وصار الجميع يُثنون عليها، مما جعلها تحرص على تطوير موهبتها ودعمها بالخبرة، والدراسة المنتظمة المتخصّصة، لتصبح مع مرور الأيام، واحدةً من الأسماء المرموقة

في فنّ التصميم، تملك مشغلاً خاصـًا بها لصناعة الملابس والحقائب والأحذية، ولها معرض يقصده الناس من جميع أنحاء العالم.

(٢)

يُبرز العملُ أهميةَ اكتشاف المواهب والمهارات الذاتية في سنّ باكرةٍ من العمر، والقيام على تنميتها وتطويرها بالدُّربة والدراسة العلمية، لتصبح مواهبَ فاعلةً ومؤثرةً في حياة الإنسان المستقبلية. ولا ريب أنه موضوعٌ على قدرٍ كبيرٍ من الأهمية في هذه المرحلة العمرية، لما فيه من استغلالٍ للوقت، وفرصةٍ للإبداع والتميّز.

وهو ما استطاع العملُ إيصاله إلى القارئ / الطفل بأسلوبٍ قصصيّ مشوّق، من خلال بطلته، التي رأيناها منذ البداية طفلة لها شخصيتها المستقلة، التي تتمتع باللماحية والذكاء، والقدرة على حلّ المشكلات التي تواجهها، إذ استطاعت أن تكتشف موهبتها (التصميمية) في فترةٍ باكرةٍ من عمرها، وأن تجتهد في تنميتها وتطويرها، حتى وصلتْ إلى ما وصلتْ إليه في ميدان هذا الفنّ، حيث صار لها اسمٌ مرموقٌ على المستوى العالميّ ، وصار يشار إلى إنجازاتها وإبداعاتها التصميمية بالبنان.

(٣)

القصة مشوّقة للقارئ / الطفل، حيث تبدأ بلفت الأنظار إلى حكاية معطف الصوف القرمزيّ، المومأ إليه في العنوان، الذي اشترته الأم لطفلتها ابنة الثامنة التي لا تزال تتذكّره، وتتذكّر تفاصيله الدقيقة، إذ

تقول (ص: ٥) «كان معطفا جميلا للغاية، ذا ملمسٍ ناعم، وبه أزرارٌ أمامية سوداء كبيرة، وله قلنسوة بديعة تحمي رأسيَ من الثلجِ والمطر».

وهي بلا شكّ بدايةٌ ناجحةٌ، إذ يجد الطفل نفسه مشدوداً إلى النصّ لمعرفة المزيد عن حكاية هذا المعطف، الذي شكّل بؤرةً أساسيةً في حديث ذكريات الطفلة، وهي تروي طرفًا منها، حيث تبدأ ذلك بقولها (ص: ٥): «أذكرُ ذلك الشتاء البعيد حين كنتُ في الثامنة من عمري حين اشترت لي والدتي معطف صوفٍ قرمزيّ اللون..».

وقد جاء الحديث عن هذا المرحلة من حياة الطفلة في سياق كتابتها لـ (سيرتها الذاتية)، بعد أن ناهزتْ سنّ الثلاثين، وأصبحتْ شخصيةً فاعلةً ولها حضورها في مجتمعها، ممّا يكشف عن الأثر العميق الذي كان لهذه المرحلة الباكرة من عمرها في تشكيل مستقبلها الجميل، الذي تكتب عنه بزهوٍ كبيرٍ، واعتزازٍ شديدٍ.

(٤)

استخدمتْ الكاتبة الحوار بشقّيه: الخارجيّ والداخليّ، مما أضفى حيويةً على النصّ، كما كان لهذا الحوار دوره في تجلية بعض المواقف النفسية والفكرية للطفلة البطلة، وفي تطوير الأحداث. كما في قولها مثلاً (ص: ١٢): «لا أعلم كيف تراءتْ لي لحظتها صورة أخي وهو يرتدي ملابس الكاراتيه البيضاء يربط حزاما أسود حول بطنه. «لأفعل الشيء نفسه « قلتُ لنفسي. عثرتُ على شريطٍ مماثلٍ في المنزل، وأحكمتُ به إغلاق معطفي». وقولها كذلك (ص: ٢٦): «شعرتُ بمزيجٍ من الدهشة والإحراج والحزن والغضب، وأسرعتُ نحو الفصل. وبينما

أنا جالسةٌ أنتظر دخول المعلمة اقتربت مني زميلتي تهاني، وابتسمتْ لي ابتسامةً عذبةً، وقالتْ، وهي تتلمّس معطفي الناعم: معطفك جميلٌ للغاية! أجبتها بدهشةٍ: حقـًا؟ أنا من صمّمه. هل أصمّمُ لك مثله؟ ردّتْ عليّ بصوتها الرقيق: اووه، أتمنّى ذلك».

(٥)

حظي كتابُ «معطفي القرمزيّ» بطبعةٍ فاخرةٍ، قادرةٍ على اجتذاب القارئ / الطفل: بغلافها الجميل، وخطوطها الواضحة، ورسومها الملوّنة البليغة في التعبير عن أحداث القصة وشخصياتها..، وقد احتلّتْ هذه الرسومُ مساحاتٍ واسعةً من الكتاب، واهتمّتْ بأدقّ التفاصيل واللحظات، مما يزيد بلا شكّ من تفاعل الطفل مع النصّ القصصيّ، وانسجامه مع أحداثه وشخصياته، وخاصة شخصية الطفلة / الراوية، موضوع القصة.

***

«أنا لست أنت»

لجيكر خورشيد

(١)

«أنا لستُ أنت» للكاتب السوري (جيكر خورشيد): قصةٌ قصيرة، على لسان الحيوان، موجهةٌ إلى الفئة العمرية من (٦ ــ ٩ سنوات). صدرتْ طبعتها الأولى عن (دار الحدائق، بلبنان، سنة ٢٠١٨).

بطلا هذه القصة حيوانان هما: وحيد القرن (الكركدن)، وهو من آكل الأعشاب والنباتات، والضبع، وهي من آكلة اللحوم.

تبدأ الحكاية عندما تلتقي الضبع بوحيد القرن في أحد السهول الخضراء، وهو يرعى العشب وحده مستمتعا بالأكل والجلسة الهادئة، حيث تأخذ الضبع تزعجه وتنغّص عليه بأسئلة كثيرة، تكشف عن مدى ما بينهما من تباينٍ في أصل الخلق والنحيزة، التي من أبرزها، على سبيل التمثيل، اختلافهما في نوع الطعام الذي يناسب كلاً منهما، فحينما ترى الضبع المغترة بنفسها انهماك الكركدن بأكل النباتات والأعشاب تتوجه إليه، مستهزئةً، بقولها (ص: ٦ ــ ٧): «وهل تسمّي هذه النباتات الشوكية والأعشاب الخضراء طعاماً؟!». ولكنه لم يعبأ بكلامها، بل ظل يأكل بشهية ونهم، وكأنه لم يسمعْ شيئًا، وبعد إلحاح الضبع على أن تردّ عليه نجده يجيبها بقوله (ص: ٩): «نعم.. هي لذيذة جداً، وأنا أحبها». فتردّ عليه الضبع (ص: ١٠): «أما أنا فلا أحبّ أكلها، بل أحب تناول اللحم الطازج».

وهكذا تستمرّ الضبع المتطفلة الثرثارة بمثل هذه الأسئلة العبثية إلى أن يضيق الكركدن بها ذرعا، ولم يعد قادرا على احتمالها أكثر، فيقول لها كلمة مختصرة لتريح نفسها وتريحه، ويكررها عدة مرات، وهي (ص: ١٣): «أنا لست أنت». بيد أن الضبع لم تستوعب هذه المقولة، لتستمرّ في إزعاجه والتنكيد عليه بأسئلتها التي لا تقع ضمن اهتماماته، وفي خلال ذلك كثيرا ما كانت تنعته بسبب إعراضه عنها وعن أسئلتها بالجهل والحمق، مما جعله يغضب غضبا شديداً، اضطرّ معه إلى نطحها بقرنه الكبير وحذفها في الهواء، وهو ما جعلها تصحو غبّ ذلك ، وتتبين صحة مقولته تلك «أنا لست أنت»، وعندما يشعر وحيد القرن بتأثرها وندمها، سرعان ما يحنو عليها، فيعمد إلى تضميد جراحها، ثم يتفقان على أن يبحثا معا بعد أن تبرأ عن (طريقة للتفاهم)، على ما بينهما من اختلافٍ، ثم أصبحا غبّ هذه الحادثة صديقين بعض الشيء.

(٢)

تعالج القصةُ في بُعْدها الرمزي موضوع اختلاف الناس في طبائعهم وقدراتهم وأفكارهم..، فالناس ليسوا سواءً، فمنهم الغني ومنهم الفقير، ومنهم السليم ومنهم المعاق.. إلخ، بيد أن ذلك لا يعني أن تقوم العلاقة بينهم على الخصومة والصراع، بل يجب أن تنشأ على التفاهم الذي يقود إلى المودة والتعاون. هذه العبرة الرئيسة التي يستخلصها الطفل من هذه القصة البسيطة.

ولا جَرَمَ أنها من الأهمية بمحلّ في هذه المرحلة العمرية المومأ إليها، مرحلة دخول المدرسة، إذ كان الطفل في أول عهده بمخالطة جمهور

الناس وزمرة الزملاء الذين ينتمون إلى فئات اجتماعية متعددة، بعيدا عن الدائرة الضيقة، دائرة الأسرة من الأبوين والإخوة والاخوات، الأمر الذي يتطلب أن يقف الطفل على هذه الحقيقة، فليس له أن يفرض على غيره من الناس مزاجه وفكره، أو يسيئ إليهم بالغمز والطنز، بل عليه أن يحترم إرادتهم ورغباتهم، وأن يراعيَ ما بينه وبينهم من فروقٍ .

(٣)

تتسلسل أحداث القصة من خلال حبكةٍ محكمةٍ قوامها الصراع بين شخصياتها التي بينها اختلافٌ كبيرٌ، (وحيد القرن والضبع)، حيث تتطور الأحداث شيئا فشيئا.. إلى أن بلغت ذروتها بنطح وحيد القرن للضبع التي لم تتفهم هذا الاختلاف بينها وبينه، فراحت تقلقه بكثرة أسئلتها التي لا تعنيه في شيء، وتسيء إليه..، وهو ما نتج عنه تحولٌ إيجابيّ في فكرها وفي سلوكها، لتقيم العلاقة بعد ذلك مع الآخر أو وحيد القرن على الصداقة والتعاون، وبذلك تصل القصة إلى مقصدها الأبرز الذي تحاول إيصاله إلى المتلقي / الطفل.

(٤)

نتبيّن جمالياتِ هذه القصة من النواحي الأسلوبية والفنية من خلال:

- العنوان «أنا لست أنت»، الذي يكتنفه الغموض من خلال اتكائه على(الضمائر)، مما يحرك فضول الطفل أول وهلة لمعرفة المقصود بهذه الضمائر، وخاصة أن صفحة الغلاف الأمامي لا

تجلو ذلك، حيث جاءت اللقطة المصوّرة لشخصيات القصة من الخلف، ليظل الغموض مهيمناً، ومستفزاً لفضول القارئ.

- اختيار أبطال القصة من الشخصيات الحيوانية، (وحيد القرن، الضبع، الذئب)، وهذا النوع من القصص يميل إليه الأطفال بشكل عام ويتفاعلون معه، ولا سيما أطفال المرحلة العمرية الذين يستهدفهم العمل.

- ألفاظها السهلة، وجملها القصيرة التي تناسب قاموس الطفل ومستواه اللغوي والإدراكي. كما في الكاتب (ص:١٣): «هنا غضب وحيد القرن من جواب الضبع، فنظر إليه وقال له: أيها الضبع { كذا }، بدأت تزعجني، سأقولها لك كلمة اسمعْها جيدا، تُرحْ نفسك وترحْني: أنا لست أنت».

- شدّ انتباه الطفل وزيادة تفاعله مع النص القصصي من خلال التعويل على الأفعال النفسية والحركية، من مثل: دار، صمت، وقف، تحرك، ابتسم، استنكر، تنهد، استشاط، ضحك، صاح.. إلخ.

- استخدام أسلوب الحوار، الذي جاء دالاً على شخصية كلّ من وحيد القرن والضبع، من خلال توضيح ما بينهما من فروقٍ من حيث الطبيعة والمزاج والفكر والرغبات والاهتمامات .

- استخدام أسلوب السؤال، وهو من الأساليب التي تفعّل خيال الطفل ومدركاته العقلية، كما تجعله أشدّ انجذابا إلى النص، إذ يظل في حالة من التوفز والتشوق إلى معرفة الجواب.

(٥)

جاء العملُ في إخراجه وصورته الطباعية وفق الشروط الفنية الخاصة التي تتطلبها كتب الأطفال لهذه المرحلة العمرية، حيث نجد ذلك على مستوى التصميم العام، وحجم الخط، ونوع الورق، واستخدام الرسوم الملونة التي جاءت تصور الشخصيات الرئيسة والأحداث البارزة في حركة القصة وتطورها.

أما صورة الغلاف فقد جاءت مشتملةً على صورة المشهد الأخير في القصة، حين اتفق البطلان الكركدن والضبع على التصالح فيما بينهما والبحث عن طريقة للتفاهم على الرغم من اختلافهما في كثير من الأمور بحكم الطبيعة، وهي صورة من شأنها أن تشدّ القارئ الطفل لمفارقتها الظاهرة للعنوان «أنا لست أنت»، مما يجعله في شوق لوجدانها داخل الكتاب، ولكنه لا يجدها إلا في آخر الصفحات مع نهاية الأحداث التي تؤسس لعلاقة جديدة بين وحيد القرن والضبع.

***

«النور ينتظرك»

لشمّا بنت محمّد بن خالد آل نهيان

(١)

«النور ينتظرك» للكاتبة الإماراتية (شمّا بنت محمد بن خالد آل نهيان): قصةٌ تعليمية، موجهةٌ إلى أطفال المرحلة العمرية المتأخرة من (١٠ ــ ١٤ سنة)، صدرتْ عن (الدار المصرية اللبنانية، بالقاهرة، سنة ٢٠١٨).

يهدف هذا العمل إلى تشجيع النشء على القراءة والاستكشاف المعرفيّ. وذلك بتقديم حكايةٍ ممتعةٍ، تجري أحداثها في دولة الإمارات العربية المتحدة، أبطالها ثلاثة أطفال هم: أحمد، وأخوه سيف، وصديقهما حمد.

تبدأ القصة بخروج هؤلاء الثلاثة خلال إجازة الربيع إلى شاطئ البحر للتنزّه وجمع الأصداف، حيث ينبهر أحمد وأخوه سيف حين يعرّف حمد الأصدافَ لهما على نحو علميّ، وعندما يسألانه: من أين هذه المعلومات؟ يجيبهما بأنه يختلف كثيراً إلى مكتبة المدرسة، حيث يقرأ ويتعلم أشياء جميلة ومفيدة. ثم يقترح عليهما نشاطا آخر، وهو تنظيف الشاطئ بلملمة الزجاجات البلاستيكة الفارغة، لصعوبة تحللها، وهو ما أفاده حمد من كتاب كان قد قرأه عن التلوث البيئي، فينطلقون يجمعون هذه الزجاجات إلى أن يلمح حمدٌ زجاجةً بداخلها

ورقةٌ مطوية، فيفتحها لهم سيف أقواهم بنية، وإذ بها خريطة تدل على كنز في أحد الجبال، ومما كُتب عليها أيضا في أسفل الخريطة (ص: ٨): « انطلق الآن، فالنور ينتظرك عند كنزك العظيم»، فيفرحون لذلك فرحا شديداً، بيد أن حمد يطلب من زميليه الهدوء، لأن الأمر يتطلب قبل كل شيء فهم الخريطة، وهو ما تمكن منه حمد عن طريق معرفة مقياس الرسم، فيخبرهما أن المسافة تقريبا في حدود أربعة كيلومترات نحو الهدف، وهي رحلة طويلة، ولكنهم يصرّون على المغامرة وخوض هذه التجربة الاستكشافية، وفي الطريق يمرون بشيخ إماراتيّ حكيم، يعمل في مهنة صيد الأسماك، فيدعوهم إلى تناول طعام الغداء قبل مواصلة رحلتهم تلقاء الكنز، وهو يستغلّ الوقت معهم، ريثما يجهز ويتهيأ الغداء، فيجري مسابقة ثقافية لهم يسألهم فيها عن معنى بعض الكلمات المتداولة في لغة الصيادين الإماراتيين مقابل جائزة للفائز، فيفوزون جميعـًا، فيجيز كلّ واحد منهم سبع حبات لؤلؤٍ، قائلا لهم (ص: ١٦): «هذا ما كنا نعيش عليه سابقا قبل البترول، هذا اللؤلؤ جزء من تاريخنا». ثم يتناولون طعام الغداء، ويواصلون مسيرهم، بعد أن أعطى الشيخ مفتاحا قديما لحمد، قائلا له (ص: ١٧): «يوما ما ستحتاجه فاحتفظ به».

يمضي الأصدقاء الثلاثة في مغامرة البحث عن الكنز، مسترشدين بالخريطة، حيث يواجهون في خلال ذلك مخاطراتٍ ومفاجآتٍ جمّةً، إلى أنْ وصلوا الجبل / الهدف، الموضّح في الخريطة، فرأوا في منتصفه كهفا مظلما، فيتسلقون إليه، فيلمحون بداخله من كـوّةٍ صندوقا، فيفرحون ويصيحون: الكنز.. الكنز، فيبادرون إلى فتحه، ولكنهم

يفشلون في ذلك، إذ كان مغلقا بمفتاح، فتذكر حمد مفتاح الشيخ الصياد، فجربه فَفُتح الصندوق، ليجدوا في داخله كتاباً ليس أكثر، عنوانه «حياة المعرفة»، ثم فجأة يسمعون صوتا من باب الكهف، فترتعد فرائصهم، وهم يرون شبحا قادما إليهم، ولكنهم سرعان ما يشعرون بالأمن، عندما تتضح صورة هذا القادم إليهم، وإذ به ذلك الصياد العجوز بابتسامته المعهودة، فيدنو منهم قائلا (ص: ٣١): «الكتاب هو الكنز الحقيقي يا أبنائي، فالمعرفة تصنع لكم العقل. كنت أعلم أنكم ستصلون لكنزي الثمين.. هو لكم تعلموا منه».

(٢)

يعالج العمل موضوعاً مهمّاً، ينبغي أن تظلّ الأمم والمجتمعات الإنسانية على ذُكْرٍ منه دائماً، في كلّ زمانٍ ومكانٍ، وهو حثّ أجيالها في سنّ باكرةٍ على طلب العلم المركوز في بطون الكتب والمصنفات المختلفة. ولعل من نافلة القول الإسهاب في تبيان أهمية هذا الموضوع في سبيل تنشئةٍ فرديةٍ سليمةٍ، وبناء مجتمعٍ إنسانيّ متحضّر.

هذه هي الفكرة الرئيسة التي يفيدها المتلقي من خلال قراءة هذه القصة، وهي أنّ الكتاب هو الكنز الحقيقيّ الذي ينبغي أن يحتازه الإنسان، وليس ما ذهب إليه الأطفالُ، أول وهلةٍ، عندما قرأوا على الخريطة كلمة « الكنز» ، إذ صاح أحدهم (ص: ٧): «كنز.. سنصبح أثرياء»، ظنا منه أن كلمة الكنز لا تشوّر إلا إلى الذهب والفضة.

ومما يتعلّمه الطفلُ من قراءة هذا العمل كذلك، ويقتنصه من الفوائد:

- حبّ المغامرة والاستكشاف.

- استثمار الإجازات المدرسية بالأنشطة الممتعة، والمشاريع التطوعية النافعة.
- استغلال مكتبة المدرسة بقراءة الكتب المتنوعة، للتزود من العلم والمعرفة.
- أهمية العمل الجماعيّ.
- فاعلية التشاور والتعاون في إنجاح الأعمال وإنجازها.
- التبكير في الذهاب إلى الأعمال وقضاء الحاجات.
- ضرورة المحافظة على التراث.
- إكرام الضيف.

(٣)

تتسلسل أحداثُ القصةِ على نحو مثيرٍ ومشوّق..، وخاصةً مع رحلة البحث عن الكنز المخبوء، التي كانت مليئةً بالمفاجآت والمغامرات والمخاطرات المختلفة..، ومن المعروف أن الطفل في هذه المرحلة العمرية نزّاعٌ إلى هذا الضرب من القصص الذي يقوم على اختبار الذات في ميدان الذكاء والتجريب، وخوض المغامرات والبطولات. فالقصة مليئة بالتحديات التي كانت أمام الأطفال الثلاثة، وهم يخوضون تجربة البحث عن الكنز، بدءا من فهم الخريطة، وانتهاء بمرحلة التهدّي إلى مكان الكنز في أحد كهوف الجبال الوعرة.

ومما يلحظ اعتماد الحكاية الأساسية في القصة على بعض الأسرار الغامضة، التي يظل معها الطفل في حالة من الإثارة مشدودا إلى النص

لما فطر عليه من الفضول المعرفي، كما نجد ذلك في سرّ الورقة المطوية في الزجاجة، (خريطة الطريق إلى الكنز)، ثم سرّ المفتاح القديم الذي قدمه الشيخ الصياد لحمد، وهو ما تبين لاحقا أنه مفتاح الصندوق الذي ينضمّ عليه الكنز، الذي لم يكن إلا كتابا، عنوانه « حياة المعرفة».

(٤)

أرى أن عنوان العمل «النور ينتظرك» يستلهم العبارة البليغة المتداولة «العلم نور»، ولكنه يأتي محاولةً ناجحة لصياغتها صياغةً جديدةً، لانتشالها من وهدة الابتذال وقلة التأثير، لكثرة ما يسمعها الطفل في البيت والمدرسة. إذ كان «لكل جديد لذة..»، (كما يقول أبو نواس).

وواضـحٌ كيف صيغ العنوان هاهنا على هذا النحو الجديد من الاستعارة التصريحية التشخيصية، لتحبيب الأطفال بالعلم الذي يمثله الكتاب، فليس من شك أن عبارة «النور ينتظرك»، أكثر حيوية وتأثيراً من عبارة «العلم نور»، وخاصة حين يتولج الطفل في عالم القصة، ليكون الكتاب مرادفا لكلمة (الكنز).

(٥)

جاءت لغة القصة من السهولة والبساطة، سواء على مستوى الألفاظ أو التراكيب، فليس هناك ما يستصعبه المتلقي / الطفل، أو يحول دون فهمه ومتابعته للنصّ. كما في قول الكاتبة مثلاً (ص: ٢٢): «ظل كلٌّ منهم يسير في طريقه، والشمس تزداد حرارتها، وتنهمر على جباههم

حبات العرق. مرّتْ ساعة، وما زال الطريق يسير في جوف الجبل بلا نهاية، شعر سيف بالخوف واليأس، فقال: أريد أن أعود للبيت، أنا خائفٌ يا أحمد. قال حمد بعزيمة ولهجة صارمة: لن نعود قبل أن نصل يا سيف..».

وقد حرصت الكاتبة على المراوحة بين السرد والحوار، مما يزيد من تفاعل المتلقي مع النصّ، وخاصة أن لغة الحوار جاءت بسيطة وعفوية، وفي حدود المعجم اللغويّ والمعرفيّ لأطفال المرحلة العمرية المستهدفة. ومن الأمثلة على ذلك (ص: ٩): «قال أحمد: إذاً هذا الكنز قريبٌ من هنا، لنذهب للبحث عنه. قال حمد: إنها رحلة طويلة. نظر إليه أحمد قائلا: لا تقلق هيا بنا نذهب، ولا نضيع وقتنا. نظر إليهما سيف، وهو يهمّ واقفا وقال: هيا بنا يا أصدقائي».

كما رأيناها كثيرا ما تعوّل على أسلوب السؤال والجواب، وهو أسلوب فاعل في هذه القصة التعليمية، وكثير العائدة. (ص: ٣): «قال سيف هذه الأصداف.. هل تعرفان ما هي؟ قال حمد: الأصداف يا سيف، هي الغطاء الخارجي الذي يحمي حيوانات تعيش فيها، تسمّى الرخويات. قال أحمد: كيف عرفت هذه المعلومة يا حمد؟ قال حمد.. أنا أذهب كثيرا إلى مكتبة المدرسة..».

ومن الأساليب اللافتة كذلك في هذه القصة أسلوب (المسابقات الثقافية)، الذي يحبّه الأطفال كثيرا في هذه المرحلة العمرية ويتفاعلون معه، لما يجدون فيه من التسلية والفائدة المعرفية في آن.

***

«أحلم أن أكون خلّاط إسمنت»

لحسين مطوع

(١)

يعدّ كتاب «أحلم أن أكون خلّاط إسمنت»، الصادر عن (دار الحدائق، ببيروت، سنة ٢٠١٨) أولَ عملٍ ينشره الكاتب الكويتي (حسين مطوع) في حقل الكتابة الإبداعية للأطفال، وعلى الرغم من حداثة هذه التجربة في مسيرة مطوع الأدبية، فقد حصل هذا العمل على جائزة عربيةٍ مرموقةٍ، هي جائزة الشيخ زايد للكتاب (فرع أدب الطفل والناشئة) في دورتها الثالثة عشرة (٢٠١٨ – ٢٠١٩).

يتضمّن كتابُ «أحلم أن أكون خلّاط إسمنت» قصةً تربويةً رمزيةً، موجهةٌ إلى الفئة العمرية (٦ ــ ٩ سنوات)، تُعنى بتشجيع الطفل على أن يخوض بنفسه مغامرة اكتشاف طاقاته وإمكاناته الذاتية..، بغية تحديد مساره الحياتيّ والمستقبليّ، واستثمار الوقت ليكون متقنـًا متفوّقـًا في المجال الذي يناسبه، حتى لا يظلّ مرتبكـًا تائهـًا، لا يعرف ماذا يريد، ولا أين يتجه.

وقد حاول المؤلف إيصال هذا الموضوع إلى القارئ / الطفل من خلال حكايةٍ خرافية، تقوم على تشخيص آليات البناء والهدم: كالخلاطات والرافعات والحفارات والجرافات والسيارات والشاحنات.. إلخ، بطلها عبارةٌ عن رافعةٍ لكرةٍ حديدية ثقيلة تستخدم

في أعمال الهدم، اسمه (هدّام)، ينتمي إلى أسرةٍ جميع أفرادها يشتغلون في هذا المجال، أعني مجال الهدم، فهو ليس بدعًا في ذلك، ومع ذلك يرفض مشاركتهم في الهدم، بحجة أنه يحبّ البناء، وأكثر ما كان يتمنّى أن يكون (خلّاط اسمنت)، وقد جلب عليه طموحه هذا سخرية الآخرين منه كالحفارات والجرافات، وبعض طلاب مدرسته..، غير أن ذلك لم يفتّ من عضده، بل دفعه إلى مزيدٍ من التمسّك بفكرته الغريبة، وهو ما جعله يترك المدرسة، ويذهب إلى المكتبات ليقرأ حول عملية خلط الإسمنت، كما راح يستعين بالميكانيكيين والحدادين يسألهم عن ذلك، ولكن دون أيّ فائدة! ليقول له أبوه غِبّ ذلك، بصراحةٍ وهدوء (ص: ١٧): «بنيّ، وُجدنا بهذا الشكل وهذه الصفات لكي نعمل في الهدم، هذه طبيعتنا التي لا نستطيع لا أنا ولا أنت تغييرها، لذلك ليس هناك حلّ إلا أن نتقبّلها ونتعايش معها». فرضخ وقرر أن يستسلم، فعاد إلى مدرسته، وباشر العمل في الهدم، وإن كان ذلك خلافا لما يحبّ من العمل، مما جعله نزقا في أثناء تأديته ذلك حتى كاد يتسبب بكوارث خطيرة.

وفي أحد الأيام يصحو مبكرا ويخرج من المنزل، حيث يجد قرب أحد محلات الحدادة بعض النوابض أو الزنبركات، فيقصّ عليها قصته، فتقترح عليه أن تتحلق حول الكرة الحديدية، لتلعب وتستمتع من جهة، ومن جهة أخرى تمتصّ الصدمات فتحميه وتحمي ما حوله، وهكذا نشأت صداقةٌ حميمة بين هدام والنوابض، إلى أن بدأت هذه النوابض تتهشّم، فذهب بعضها وبقي معه بعضها الآخر، وأخيرا يدلّه زُنبرك على (الرافعة العجوز الحكيمة)، التي راح يشرح لها هدامُ رغبته

في أن يكون عمله في البناء، لا الهدم، فتقول له (ص: ٣٢): « بنيّ، إن الهدم ليس أمرا سيّئا بالضرورة». ولكنه يقاطعها، مصمّما على أنه يروم العمل في البناء حسب، مما جعلها تحاول أن تجد له عملا في البناء يناسب إمكاناته وقدراته، فجرى اختراع مهمّة خاصة به، وهي تسوية خلطة الإسمنت (الباطون) على الأرض من خلال دحرجة كرته فوقها، وهي مهمّةٌ صعبةٌ، إذ تتطلب دقةً وتركيزا وجهدا، وعلى ذلك تمكن هدام مع الممارسة والمثابرة من إتقانها، كما صار أكثر تحكما بكرته، وكثيرا ما كان يعمل، وهو يغنّي، مستمتعا في أثناء ذلك.

وقد ظل الأمر على هذه الحال مدةً من الزمن، إلى أن حصل ما لم يكن في الحسبان، وذلك حين هبّت رياحٌ مغبرة، جعلت هداما يعطس عطسةً قوية، لم يستطعْ معها التحكم بكرته الحديدية، مما أدّى إلى ارتطامها بحائط المبنى الذي كان يعمل فيه، ليتهدّم كلّ شيء، وتنتهي القصة بعبارة « وها نحن بدأنا من جديد..».

(٢)

يؤكّد العملُ أهميةَ أنْ يكون الإنسانُ مقتنعًا بالطريق الذي يسير فيه، والعمل الذي يؤدّيه، ليكون مجلّيًا مبدعـًا، لا إنسانـًا فاشلا، وهو ما يتطلب بديّـًا معرفة الذات، وما لديها من إمكاناتٍ وقدرات، ليستبينَ ما يُحسن من الأمر وما لا يُحسن، وما يَصلح له وما لا يَصلح، لئلا يهدر وقته، ويضيع عمره، وهو يخبّ في سبيلٍ مضلّةٍ، أو يكدّ ويكدح في مجالٍ لا يمكن أن يحقق فيه نجاحـًا ظاهراً أو حضوراً لامعـًا.

هذا ما يفيده القارئ / الطفل، بشكلٍ أساسيّ، من قراءة هذا العمل، من خلال قصة هدّام.. كما بيّنا آنفـًا، حيث رأيناه لا يقتنع بكلام أبيه، إذ قال له: «إننا وُجدنا بهذا الشكل وهذه الصفات لكي نعمل في الهدم، هذه طبيعتنا التي لا نستطيع.. تغييرها». بل راح يعتبر ذلك ويبلوه بنفسه، ليتبيّن له في النهاية أن طاقة الهدم لديه آصل من طاقة البناء، وأن من الخير للمرء أن لا ينافر طبيعته، بل يشتغل في المجال الذي يناسبه، وتسعفه فيه أدواته وإمكاناته.

ومما يفيده الطفل في خلال ذلك كذلك:

- (ص: ٤): أنّ حبّ الإنسان لعائلته لا يعني موافقتهم على كلّ شيء، أو دون اقتناع، فقد كان هدّامٌ ودوداً ولطيفـًا، ومحبـًا لعائلته، ومع ذلك أعرب بصراحةٍ عن عدم رضاه عن بعض الأعمال التي يقومون بها.
- (ص: ٥): أنّ هناك أشياء ينتهي دورها في هذه الحياة، ويجب إزالتها لبناء غيرها، وهذا يعني أنّ الهدم ليس دائمـًا أمراً سيّئـًا.
- (ص: ٣٥): أنّ الصديق يستطيع أن يحميَ صديقه، دون أن يحطّم نفسه.

(٣)

بُنيتْ حبكةُ القصةِ على أساسٍ من الصراع بين بطلها وبيئته الاجتماعية، فعلى الرغم من أنّ اسمه (هدّام)، وهو من أسرةٍ لا تحسن بطبيعتها إلا أعمال الهدم، فإنه يرفض أن يشاركهم في مثل هذه الأعمال

التي يؤدّونها، لعدم اقتناعه بها، مؤكداً أنه يحبّ البناء، على العكس منهم تماماً.

فالقصة يستهلّها الكاتب على النحو الآتي (ص: ٤): «هدّام، شاحنة في مثل عمرك تقريبا. كل من ينظر إليه يدرك، من الوهلة الأولى، كم هو ودودٌ ولطيف. هو يحبّ عائلته بشدة، لكنه لم يكن مقتنعا قطّ بالأعمال التي يقومون بها. وكان هذا الشيء يضايقهم قليلا».

ولا ريب أنها بدايةٌ حسنةٌ، ومن القدرة على تحريك فضول القارئ/ الطفل، وحفزه على متابعة القراءة لاستبانة حكاية هذه الشخصية الغريبة، شخصية هدّام، حيث يصرّ على أن يتحوّل من رافعةٍ مصمّمةٍ ومصنوعةٍ للهدم إلى آلةٍ تؤدّي أعمال البناء، فيصمّ أذنيه عن كلّ ما قيل له من أن الأمر صعبٌ أو مستحيلٌ، وأنه لم يخلقْ بديّاً لذلك، ليظلّ يحاول ويحاول..، إلى أن دُلّ على (الرافعة الحكيمة) التي تمكنتْ من تدبير عملٍ له في البناء، تمّ استحداثه لأجله، يلائم إمكاناته وقدراته، غير أنه لم يستمرّ طويلا في عمله الجديد، إذ كان لتصميمه المبدئيّ للهدم أثره السيّئ في ذلك، ليتهدم على يديه في نهاية المطاف كلّ شيء! ويحور الأمر إلى نقطة الصفر.

(٤)

يُسهم العملُ في شحذ خيال المتلقي / الطفل من خلال شخصيته المحورية، (هدّام)، الذي راح يحلم أنْ يكون آلة بناء (خلّاط إسمنت)، مع أنه في أصل الصنع آلةُ هدم (رافعةٌ تحتمل كرةً حديدية ثقيلة). ولا شكّ أنّه طموحٌ عجيبٌ، وقد جوبه بغير قليلٍ من السخرية والاستهزاء،

بيد أنّ هدّامـًا يصرّ على تحقيق هذا الحلم، ويجتهد في ذلك اجتهاداً كبيراً..، وقد كاد يصل إلى مبتغاه، لولا اصطدامه بعقبة كؤود، لا يَدَ له فيها، ولا يملك لها تغييراً، حالتْ دون ذلك، وهي طبيعته التي جُبل عليها، ليكون من الأفضل أن يتقبلها ويتعايش معها، وتكون منطلقه نحو الإبداع والتميّز.

(٥)

يسجّل للعمل على المستوى الأسلوبيّ والفنيّ مجموعة من النقاط المضيئة، لعل أبرزها ما يلي:

- عنوان القصة « أحلم أن أكون خلاط إسمنت»، الذي يستفزّ الطفل بغرابته، فيوقظ خياله، ويثير تساؤلاته.
- مناسبة لغة النصّ للفئة العمرية المستهدفة، إذ لا يجد االمتلقي / الطفل مشقةً في فهمها واستيعابها، لوقوعها ضمن قاموسه االلغويّ، سواء مما يقع في دائرة استعماله أو في دائرة إدراكه.
- توظيف الشخصيات الفنتازية، التي من شأنها جذب انتباه الطفل وإثارته، وهي آليّات الهدم والبناء، كالرافعات والجرافات والحفارات وخلاطات الإسمنت وما إليها، بعد أن جرى إضفاء الصفات الإنسانية عليها، حيث يجدها الطفل: تتكلم، وتضحك، وتبكي، وتحزن، وتخجل، وتغضب، وتندم، وتعطس.. إلى غير ذلك مما يقع من الإنسان خاصة، وذلك بخلاف طبيعتها المعهودة، بحسبانها جماداتٍ صمّاء، لا يُسند شيءٌ من ذلك إليها في الواقع.

- استخدام الحوار بين الفينة والأخرى، مما كان له دوره في قطع تتابع السرد والتخفيف من رتابته، وخاصة أنّ الطفل بطبيعته ملولٌ، ولا ينشط إلا بالتنقل به من حالٍ إلى حالٍ. ومن أمثلة ذلك (ص: ٦): «وذات يوم، وبينما هدام يسير في أحد الشوارع، مرّ على حفّارتين وجرافة تزيل بقايا حطام مبنى هُدم للتوّ، توقف وألقى التحية.

_ أهلا أهلا يا هدام. أهلا بالفتى الطموح، يقولون إنك تطمح لتكون خلّاط إسمنت في المستقبل! قالت إحدى الحفارتين..

أجابها والسعادة تغمره: هذا صحيحٌ.

فردّتْ عليه ساخرة: وأنا أيضا أريد أن أصبح طائرةً ورقيةً.

وعقّبتْ الجرّافة: هل سمعتَ خبر الرافعة التي صارت سيارة سباقٍ؟

ثم قالت الحفارة الثانية: وهل تعلم أنني كنتُ أحلم بأن أكون سيارة إطفاء».

- نهايتها المفتوحة على التأويل «وها نحن بدأنا من جديد»، بعد أن ارتطمت كرة هدام الحديدية بحائط المبنى الذي كان يعمل أمامه في مجال البناء، وتهدم كلّ شيء، إذ من شأنها بلا شكّ أن تفعّل طاقة التلقي لدى الطفل، للوقوف على دلالاتها المتعددة، وخاصة أنها تحتمل أكثر من فهمٍ ومن توجيهٍ في سياق العمل.

(٦)

وأخيراً، تتميّز طبعةُ الكتاب بقدرتها على سحر أعين الأطفال وإغوائهم بالمطالعة..، وخاصةً من خلال رسومها (الكاريكاتيرية)

الملوّنة، التي جاءت مؤنسنةً لشخصيات القصة من آليات الهدم والبناء: كالجرّافات والحفّارات والخلّاطات والرافعات..، وغيرها.

وأيضـًا، من خلال الخطّ الذي كان يتغيّر بنطه ولونه، في بعض الأحيان، للفت نظر المتلقي إلى بعض النقاط أو التحوّلات المهمّة في القصة.

ومما يلحظ غلبة لون الإسمنت، اللون الرماديّ، على ألوان الغلاف الخارجيّ وصفحات الكتاب الداخلية. وليس يخفى مدى انسجام ذلك مع عنوان العمل.

***

«سرّ على دفتر ساري»

لرانيا زبيب ضاهر

(١)

«سرّ على دفتر ساري» للكاتبة اللبنانية (رانيا زبيب ضاهر): قصةٌ تعليمية تربوية، موجهةٌ إلى الفئة العمرية من (٦ ــ ٩ سنوات). صدرتْ طبعتها الأولى عن (دار الساقي للطباعة والنشر، ببيروت، سنة ٢٠١٨)، وهي تقع في (٢٤ صفحة)، من القطع (٢٨ × ٢٧ سم).

أما رسالة الكتاب التربوية،التي تحاول ضاهر إيصالها..، فهي توجيه الأطفال إلى عدم الانخراط في ميدان المهنة أو سوق العمل في سنّ باكرة، إذ من حقّهم، ولا بدّ، أن يستمتعوا بطفولتهم، وأن ينالوا تعليمهم المدرسيّ، ولا سيما التعليم الأساسيّ.

وقد عالجت المؤلفةُ هذا الموضوع من خلال حكايةٍ مشوقة، بطلُها طفلٌ في سنّ العاشرة من عمره، اسمُه (ساري)، لم يدخل المدرسة، ولا يعرف الفرح إلى قلبه سبيلاً، إذ كان معظم وقته يقضيه في أحد المحلات التجارية، حيث يقوم على حمل كراتين المواد التموينية وصناديق الخضار والفواكه وترتيبها، وذلك خلافا لأقرانه الذين يراهم كلّ يومٍ يذهبون إلى المدارس، ويمارسون اللعب، ويستمتعون بأوقاتهم.

يحصل تحولٌ إيجابيّ في حياة هذا الطفل عندما يمرّ بقريته ذات يوم الرجل الحكواتي «صاحبُ البسمة الواسعة» (ص: ١٠)، الذي يحبّه جمهور الأطفال، ويترقبّون قدومه دائما، إذ سرعان ما يندهش

ساري بمنظره الغرائبيّ، الذي جاء في صفته «عيناه كبيرتان مستديرتان كالقمر، ضحكته واسعة وسع المحيط. أنفه أحمرُ مثل البالونات التي يحملها. على قبّعته أزهارٌ، وفي جعبته روايات وقصص أخرى.. ولا أحد يعرف من أين يأتي ولا أين يذهب» (ص: ٤). مما يدفعه فجأة إلى التوقف عن العمل، ومغادرة الدكان بسرعةٍ، ليلحق به مع الأطفال إلى ساحة القرية، في تجربةٍ جديدة لا عهد لساري بها من قبل، حيث يتحلق الأطفال حول الرجل، فيستمتعون بعزفه على القيثارة، وبما يخرجه من حقيبته لهم من دُميً متحركةٍ، وبما يُسمعهم من قصصٍ وحكايات.

وفي خلال ذلك، ولأول مرةٍ في حياته، يحاول ساري أن يكتب اسمَه على إحدى الأوراق التي أعطاه إياها الرجلُ «صاحب البسمة الواسعة»، ولكن ساري يفشل في ذلك، فيدنو منه الرجلُ، ويكتب له اسمَه، طالبًا منه أن يتدرب على كتابة حروفه (س ا ر ي)، فيفرح ساري أشدّ الفرح، وهو يتهجّى حروف اسمه ويحاول كتابتها..، ثم يهديه الرجل دفترا وقلمًا، ليتمرّن على الكتابة كلّ يوم، حتى يتمكن من التعبير عن نفسه، وتدوين قصصه الخاصة، كما هي حال أقرانه من حوله.

وهكذا «على دفترٍ صغيرٍ، يخبّئ سرّاً كبيراً، يخطّ أربعة حروفٍ، يفرح، يخطّ، يقرأ، يكتب، ويقول: أنا اسمي ساري، سوف أتعلم كيف أقرأ وأكتب، واليومَ تعلّمتُ كيف أفرح» (ص: ٢٤).

(٢)

تلتفت القصةُ إلى ظاهرةٍ خطيرةٍ، تتمثّل بالتحاق عددٍ كبيرٍ من الأطفال بسوق العمل، على حساب تعليمهم المدرسيّ، وتلبية حاجاتهم

الطفولية من الاستمتاع باللعب مع الأقران، وممارسة الهوايات، وتنمية المواهب الذاتية.

وليس من ريبٍ في أنه موضوعٌ يستحقّ العناية، لتفشّي هذه الظاهرة المرضية في العديد من المجتمعات العربية خاصة، مما يزيد من نسبة الأمية فيها، ويؤدّي إلى ظهور عمالة غير متعلمةٍ أو متخصّصةٍ، وكثيرا ما تتشكل لدى هذه الفئة من الأطفال في المستقبل ولا بدّ اختلالاتٌ نفسية، وأحقادٌ دفينة على المجتمع الذي يعيشون فيه، لإحساسهم بظلم هذا المجتمع لهم، إذ تركهم يسيرون في هذه السبيل المضلّة، دون أن يحظوا بتوجيهٍ صحيحٍ، وتربيةٍ سويةٍ، وخاصةً عندما يرون أقرانهم الآخرين قد بلغوا أسمى الرتب، وحصّلوا أعلى الشهادات العلمية، وهم في المقابل في أدنى درجات السلّم التعليميّ والاجتماعيّ .

لقد رأينا كيف حُرم ساري، بسبب انخراطه بالعمل قبل الأوان، من أبسط الأشياء التي يحظى بها الأقران، كممارسة اللعب، والاستمتاع بالفنون الجميلة، كالاستماع إلى الموسيقى، والرقص، وكتابة القصص والحكايات..، هذا فضلا عن التعليم النظامي، الذي يسهم إسهاما كبيرا في تنشئة الشخصية القوية وصناعة المستقبل الزاهر.

فمما يثير الشفقة حقا أن يكون ساري إنسانـًا أمّيـًا لا يعرف حتى كتابة اسمه، في الوقت الذي يرى زملاءه الآخرين، يستطيعون أن يعبروا عن أنفسهم، وأن يدوّنوا قصصهم وحكاياتهم الخاصة، وأن يكون كذلك محرومـًا من الاستمتاع بالفنون الجميلة، وأوقات الفرح والمرح.

(٣)

تتسلسل أحداثُ القصة على نحوٍ مشوّقٍ، يستهوي القارئ / الطفل، ويشدّه إلى المتابعة..، إذ تبدأ القصة بتقديم شخصية الرجل الحكواتي «صاحب البسمة الواسعة»، حيث يطالع القارئ، أول ما يطالعُ، ملامحَ غرائبيةً، من شأنها أن تثير انتباهه، وتغريه بالتعرف إلى المزيد من ملامح هذه الشخصية غير العادية، والوقوف على حكايتها، فهذا الرجل «حقيبته مليئةٌ بأغراضٍ غريبة عجيبة، يحملها معه أينما ذهب. قد تتحوّل إلى منزل أو حافلة، أو ربما طائرة، وبالتأكيد تتحول إلى قارب..، عيناه كبيرتان مستديرتان كالقمر، ضحكته واسعة وسع المحيط، أنفه أحمر مثل البالونات التي يحملها. على قبعته أزهارٌ، وفي جعبته روايات وقصص وأشياء أخرى..» (ص: ٢).

ثم يزداد تعلق الطفل بالنصّ، في هذا السياق، حين يتشوق إلى معرفة حكاية شخصيةٍ أخرى، هي شخصية الطفل ساري، الذي يفترق عن جميع أطفال القرية، في أنه الوحيد الذي لا يعرف الرجل الحكواتي، ولا يفرح لقدومه، وهو أمرٌ جدّ غريبٍ!! على أن كل أقرانه ينتظرون قدوم هذا الرجل بشوقٍ كبير، إذ كانوا جميعا يعرفونه من قبل، فهو لا همّ له حين يمرّ بالقرى إلا أن «يزرع البسمة على وجوه الأطفال» (ص: ٦)، ويدخل السعادة في قلوبهم.

وهكذا لا يملك المتلقي / الطفل إلا أن يتوغّل في قراءة النصّ، منساقًا وراء فضوله المعرفيّ، فيقف على حكاية ساري، ليكتشف أنه طفلٌ جنى عليه الشغل المبكر في أحد المحلات التجارية، فحرمه من الشعور بالفرح، ومن تعليمه المدرسيّ..، ولكنه طفلٌ طموحٌ، ولديه

رغبة قوية في تنمية شخصيته وتغيير حياته نحو الأفضل، وهو ما جعله عازما في نفسه على أن يتعلم كيف يقرأ ويكتب، ليضع أقدامه في الطريق الصحيح، طريق العلم والمعرفة. وبذلك يصل النصّ إلى قارئه، ويحقق أهدافه ومراداته.

(٤)

حرص العملُ على تحريك خيال المتلقي / الطفل من خلال بطله أو شخصيته الرئيسة، ساري، الذي رأيناه يملك طاقةً خياليةً كبيرةً، ظهرت عليه أول مرةٍ في مجال تصفيف الكراتين وصناديق الخضار والفواكه، فهو حينما « يضع صندوقا فوق آخر، يتخيل أنه يبني عمارة. يصفّ العلب الكرتونية كأنها سيارات، ويرتب الخضار والفواكه، فيرسم لوحة دون أقلام»(ص:٨).

ثم كانت هذه الطاقة الخيالية لديه هي السبب الأول وراء التحوّلات المهمّة في حياته، وذلك حين راح يتابع باندهاشٍ شديد خيالاتِ البالونات التي يحملها الرجل الحكواتي حينما مرّ منً أمام المحلّ الذي يعمل فيه.

فقد ذُهل ساري في ذلك الموقف إلى درجة أنه لم يسمعْ صوت البقال يناديه، ومضى يلاحقها حتى وصل ساحة القرية، لتبدأ من تلك اللحظة حياته الجديدة، التي تؤسّس لمستقبلٍ مشرق ينتظره، وذلك حين بدأ يعي ذاته، ويرغب في تنميتها وتطويرهاً بتعلم القراءة والكتابة، «أنا ساري، سوف أتعلم كيف أقرأ وأكتب» (ص: ٢٤).

(٦)

توفّر للكتاب عنايةٌ فائقةٌ من النواحي الطباعية والفنية، فخرج في غاية الجمال والقدرة على إدهاش الطفل وإمتاعه..، إذ كان الكتاب أشبه ما يكون بمعرضٍ فنيّ خلّابٍ، بغلافه الجذّاب، وصفحاته الملونة، وخطوطه الواضحة، ورسومه ولوحاته المتقنة..، وهو ما يغري الطفل بقراءة النصّ القصصيّ، ويزيد من تفاعله مع أحداثه وشخصياته، ليتابع ذلك حتى النهاية .

***

«رجل من بلاد الصين وقصص أخرى»

لأمامة اللواتي

(١)

(أمامة مصطفى اللواتي): أديبة عُمانية، من مواليد مدينة مطرح الساحلية، تحمل شهادة (البكالوريوس) في الصحافة والإعلام، و(الماجستير) في الاتصال والعلاقات العامة، وهي إلى ذلك قاصةٌ، ولها نشاطٌ واسعٌ في مجال أدب الأطفال.

من أعمالها المنشورة، على سبيل التمثيل، لا الحصر:

- الساندويشة، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٨.
- القط والبحر، دار الهادي، ٢٠٠٨.
- أريد أن أشتري جيلاً، دار الغشام، مسقط، ٢٠١٥.
- البيت الغريب العجيب، دار أصالة، بيروت، ٢٠١٥.
- عطسة حمزة، دار العالم العربي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٦.
- لماذا لا تسقط النجوم، دار البنان، بيروت، ٢٠١٧.
- الفيل والمهندس نعمان، دار أصالة، ٢٠١٨.

(٢)

يشتمل كتاب اللواتي هذا، «رجل من بلاد الصين وقصص أخرى»، الصادر عن مؤسسة الغشام للصحافة والإعلان بمسقط سنة ٢٠١٨، على خمس قصص قصيرةٍ، موجّهةٍ إلى أطفال المرحلة العمرية المتأخّرة من (١٠ - ١٤ سنوات)، استوحتها الكاتبة، كما جاء على صفحة الغلاف الخارجيّ، من كتاب «منطق الطير» لفريد الدين العطّار، وهي على الترتيب:

- «العنكبوت»: وفيها يحرص الطفلُ أنْ لا يكون أنانيـًا شحيح النفسّ، لما يـرى من عاقبة العنكبوت (مليحة) التي كانت من البخل والأنانية، وكيف أدّى ذلك بها إلى أنْ تخسر كلّ ما خزّنته من طعام كثيرٍ في لحظةٍ واحدةٍ، وذلك عندما انتبه صاحب المنزل إلى شبكتها الضخمةٍ في السقف، بعد امتلائها بالحشرات والأوساخ، فدمّرها تدميراً.
- «رجل من بلاد الصين»: وفيها ينزع الطفلُ إلى أنْ يكون رقيقَ القلب، يحسّ بمعاناة الأطفال الأيتام والفقراء، ويسعى إلى مساعدتهم، كما هو شأن ذلك الرجل في بلاد الصين، الذي يوصف بأنّ قلبه من ذهبٍ، لا لأنه يملك المال الوفير، بل هو رجلٌ جدّ فقيرٍ، ولكن لأخلاقه الكريمة، ولما يبذله من أجل مساعدة الفقراء المحتاجين.
- «الفأر والذهب»: وفيها يتعرّف الطفلُ إلى مغبّة الطمع، من خلال ما انتهى إليه ذلك الرجل الذي اشترى بستانـًا، فلمّا حفر قرب إحدى الأشجار المثمرة وجد قطعةً ذهبيةً، فظلّ يحفر ويحفر بحثـًا عن المزيد حتى امتلأ البستان بالحفر، وتساقطت الأشجار المثمرة

كلها، وصار من نحوله وضيآلة جسمه وكثرة حفره في الأرض يحسبه الناس فأراً.

- «الخفاش الضرير»: وفيها يتعلّم الطفلُ كيف يكون مثابراً لا يملّ ولا يكلّ، في سبيل تحقيق أحلامه، والوصول إلى أهدافه النبيلة، وهو ما يفيده من حكاية الخفاش الضرير الذي انبهر بحديث أصدقائه عن الشمس المنيرة، فصمّم على أن يطير إليها ويقابلها، لتمنحه رؤية الأشياء الجميلة في هذا العالم، فلما تعب من ترحاله إليها، توجه إليها بخطابٍ رقيق، يستعطفها أن تجود عليه بالنور، فأعجبت الشمس بحديثه وحبّه للمغامرة والأسفار في البحث عنها، فمنحته أشعتها الذهبية، وتحققت أحلامه برؤية الكون الرائع.

- «الفراشة والعسل اللذيذ»: وفيها يتبيّن الطفلُ ضرورة التفكير بعواقب الأمور، فلا يكون أمره كتلك الفراشة التي رأت خلية عسلٍ معلقةً على شجرةٍ، وكانت لا تقوى على الطيران من شدة الجوع والتعب، فقالت: من يحملني أنا الفراشة المسكينة إلى خلية العسل، فأعطيه ريالاً مكافأةً له. ثم سرعان ما اضطرّت أن تدفع ريالين مكافأةً لمن ينقذها من ورطتها بانغماسها في العسل اللزج، وعدم قدرتها على تخليص نفسها، والخروج من الخلية.

(٣)

تسعى الحكاياتُ السابقة إلى تهذيب نفسية الطفل في مرحلة المراهقة، (التي تستهدفها)، بتقديمها مجموعةً من الدروس البليغة التي تحول دون وقوعه ضحية اندفاعاته العاطفية أو السلوكية غير المحسوبة.

ولعل قصة «رجل من بلاد الصين» أن تكون أجمع هذه القصص على الدلالة الكلية للعمل، وما تُريغ الكاتبة إيصاله إلى المتلقي / المراهق من مجموع الحكايات. فحين قال الأبُ لابنه ذات يوم: يا بنيّ، ابحثْ عن صديقٍ قلبُه من ذهبٍ، وردّ الابن بحيْرةٍ: وماذا أفعلُ يا أبي بصديقٍ قلبه من ذهبٍ، فقد كان الجواب: «يا بنيّ، من كان قلبه من ذهبٍ، فهو يملك علومـاً نافعةً، وأخلاقـاً عاليةً تشبه مصباح الهداية.. ابحثْ عن هذا الصديق ولا تتوقفْ، حتى لو تجوّلتَ في بلاد الصين من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها» (ص:١٠). وحين بحث الابن عن هذا الصديق، لم يجده سوى رجلٍ فقير، ولد يتيمـاً، ولكنه يملك قلبـاً حنونـاً، وقد خصّص حياته وكلّ ما يملك لمساعدة الأطفال الأيتام والفقراء. وقد كان من شأنه أنه كلما بكى طفلٌ فقيرٌ أو يتيمٌ تساقطتْ دموعه بغزارةٍ من شدة عطفه عليهم، ثم تتحوّل هذه الدموع إلى حجارةٍ في طريقه تعيقه عن المسير، ولم تنته معاناته هذه إلا بعد أنْ لقيه الابنُ الذي عرف قصّته، فراح يوزّع ما يحمله من جواهرَ على الأطفال، مما أدخل السرور إلى قلب رجل الحجارة، وتوقفت دموعه عن السقوط، ليصبح بعد ذلك الابنُ «ورجل الصين الذي يملك علمـاً نافعـاً وقلبـاً من ذهبٍ خيرَ صديقين» (ص:١٥).

وهكذا نلحظ كيف تحاول القصة أن تربط بين القيم المادية والمعنوية، لينشأ الطفل في إطار رؤيةٍ متوازنة..، فلا يقع ضحية الشحّ والأنانية على شاكلة العنكبوت، ولا ضحية الطمع على شاكلة الرجل الذي استحال فأراً من فرط مبالغته في حفره في الأرض ونحول جسمه، ولا ضحية عدم التفكير بمآلات الأمور على شاكلة الفراشة التي أعمتها

شهوتها إلى العسل فدخلت الخلية ولم تستطعْ لمغالاتها في شرب العسل أن تخرج نفسَها بعد ذلك – بل عليه أنْ يترفّق، ويسلك سبيل الاعتدال في طلب الأشياء، وهو الدرس الذي يفيده الطفل من قصة «الخفاش الضرير» الذي أحبّ الشمس حبّاً جمّاً، فراح يطير إليها، يظنّ ذلك أمراً ميسوراً، ثمّ يتحقق مراده بغير هذه السبيل المتهوّرة التي راح يسلكها

(٤)

جاءت الحبكةُ في قصص هذا المجموع من النوع المحكم، حيث تبدأ الأحداثُ تتدرّج إلى أنْ تبلغ ذروة تأزّمها ثم تمضي بعد ذلك باتجاهها إلى الحلّ في نهاية القصة. ومن المعروف أنّ الأطفال يستهويهم هذا الضرب من تنظيم الأحداث، ولعل ذلك يعود إلى قدرته على تسليتهم وإمتاعهم، وهم يتابعون الحكاية على نحوٍ من التسلسل والترابط..، فضلاً عما يشعرون به من راحةٍ وسعادةٍ عندما يصلون إلى الحلّ في خاتمتها بعد أنْ تعقّدتْ الأمور وتشابكت الخيوط، وما يفيدونه في الوقت نفسه من عبرٍ ودروسٍ مستفادة، لم تقدّمْ إليهم بأسلوبيّ وعظيّ أو مباشرٍ، بل من خلال تجربةٍ وقفوا على تفاصيلها، وتفاعلوا معها، ممّا يجعل تأثيرها في أنفسهم تأثيراً بليغاً.

(٥)

من أبرز ما يسجّل هاهنا لقصص هذا المجموع على الصعيد اللغويّ والفني ما يلي:

- متانة لغتها، وحسن صياغتها، وملاءمتها لأطفال المرحلة العمرية المتأخرة.

- قدرتها على تسلية الطفل وإمتاعه، بترتيب الأحداث على نحوٍ من التسلسل والترابط، وصولاً إلى الحل الذي يرتاح معه الطفل، ويحقق النصّ مراداته التربوية والتعليمية.

- التنويع في استخدام تقنيات السرد، إذ نجد الكاتبة تراوح بين القصّ بضمير المتكلم، كما في قصتيها «العنكبوت» و «رجل من بلاد الصين»، والقصّ بضمير الغائب، من خلال افتتاح القصة بعبارة « يُحكى أنّ..»، كما في قصص المجموع الباقية.

- التنويع في استخدام الشخصيات، ففي بعضها يؤدّي دور الشخصيةِ الحيوانُ، كما في قصّتي «العنكبوت» و«الخفّاش الضرير»، وفي بعضها الآخر يؤدّيه البشر، كما في قصّتي «رجل من بلاد الصين» و«الفأر والذهب». وقد تمزج الكاتبة في القصة الواحدة بين الشخصيات الحيوانية والإنسانية، كما في قصة «الفراشة والعسل اللذيذ».

- توظيف تقنية الحلم في قصة «رجل من بلاد الصين»، التي كان لها دورها في تأزيم الأحداث وغموضها، لتشتدّ بعد ذلك رغبة القارئ / الطفل في متابعة الحكاية إلى نهايتها، لاستبانة هذا الحلم المزعج الذي كان يراه الابن في منامه، ويتكرر في كلّ ليلة (ص:١١).

- توظيف بعض الأحداث والصور الغرائبية، مثل تحوّل دموع رجل

الصين إلى حجارة وصخور (ص:١٤)، أو سماع الولد الطيب لحديث الفراشة ومخاطبته إياها (ص: ٢٩، ٣١).

(٦)

أما على صعيد جهود المؤلفة اللواتي في هذه القصص، التي راحتْ تستوحيها من كتاب «منطق الطير» للعطار، كما سبقت الإشارة، فمن أبرز ما يحسب لها هاهنا ما يلي:

- تقريب مادة الكتاب التراثيّ ولغته من الطفل المعاصر.
- توسيع الحكاية الأصلية عند العطار، وشحن طاقتها الدرامية. (قارن قصة العنكبوت هنا وهناك).
- التحوير في مضمون الحكاية الأصلية وهدفها. (قصة العنكبوت مثلاً).
- التغيير أحيانًا في شخصيات الحكاية الأصلية. ومن أمثلة ذلك: استبدال شخصية (الفراشة) بشخصية (الذبابة) عند العطار.
- اختيار المفردات الحديثة. ومن أمثلة ذلك، في قصة «الفراشة والعسل»: استبدال كلمة (الريال) بكلمة (الدانق) الواردة في النصّ القديم. وفي قصة «العنكبوت»: استبدال كلمة (الجريدة) بكلمة (العصا).

***

«حلم صغير»

لإبراهيم سند

(١)

«حلمٌ صغيرٌ» (٢٠١٩) للكاتب البحريني (إبراهيم سند): قصةٌ موجّهةٌ إلى أطفال المرحلة العمرية المتأخّرة من (١٠ – ١٤ سنة)، موضوعها حثّ الأطفال على التفكير الإبداعيّ القادر على حلّ المشكلات وتحقيق الأمنيات والطموحات.

عالج المؤلفُ هذا الموضوعَ من خلال تقديم حكايةٍ، بطلها طفلٌ، يحلم أنْ تكون لديه درّاجةٌ هوائيةٌ، كغيره من الأطفال، ليلعبَ معهم في الحديقة ويستمتع بوقته، ولكنّ المشكلة التي تواجهه: من أين سيأتي بثمنها ؟ فيفكر طويلاً، مستشيراً أصدقاءه الخمسة، الألى يلجأ إليهم دائما وقت الضيق، وهم أصابعه يديه: (الخنصر: المتفائل دائماً، والبنصر: المعروف بالطيبة والصراحة المتناهية، والوسطى: المتشائم، والسبّابة: المفكّر المبدع، والإبهام: الزعيم الذي يرتّب جميع الأفكار)، فيؤيدون شراءه للدراجة، ويقترحون عليه تأسيس جمعيةٍ عائليةٍ لجمع المبلغ المطلوب، وبالفعل تمكن من توفير ثمنها، فاشتراها.. وعاد فرحاً إلى البيت. وفي اليوم الآتي ينهض باكراً إلى محلّ بيع أدوات الزينة للدراجات الهوائية، لشراء قفلٍ لدراجته لكي لا تسرق، وعندما وصل هناك، ركن دراجته خارج المحلّ ودخل، وبغتةً تصدمها سيارةٌ كانت ترجع إلى الخلف، فتتحطّم الدراجة، فيحزن حزناً شديداً،

فيضطرّ السائق على بؤسه إلى تعويضه، إذ يعطيه ثمنها كاملاً، وعندما يعود الطفل إلى منزله، يظلّ حزينـًا يفكر بحال السائق الفقير، ممّا يجعله يعود في صباح اليوم التالي إلى محلّ الزينة يسأل عن السائق لإرجاع المبلغ إليه، وحين يلقاه، ويعيد إليه المبلغ يفرح الرجلُ فرحـًا شديداً لحاجته الماسّة إلى ذلك المبلغ، وقبل أنْ يهمّ الطفل بالمغادرة قال السائق له: عندي لك هديةٌ، فذهب إلى صندوق سيارته، واستخرج منه الدراجة السابقة بعد إصلاحها وإعادتها جديدةً كما كانت، فدهش الطفل وسرّ بذلك أيّما سرورٍ، وعندما سأله كيف جرى ذلك؟ أخبره أنه بعد انتهاء الدوام الرسميّ يعمل في تصليح الدراجات الهوائية، إذ كان قد تعلّم ذلك من أبيه ويمارسه هوايةً، فيطلب الطفلُ منه أنْ يعلّمه هذه الصنعة، فيرحّب السائقُ بذلك، وعندما يتقنها ويتمكّن منها، يفتح متجراً له في إحدى زوايا منزله، ويطلب من أصحاب متاجر الدراجات الهوائية والأهالي التبرّعَ بالدراجات المعطوبة لتصليحها وإرسالها إلى الأطفال اللاجئين والمحرومين في المناطق المنكوبة، وعلى الرغم من الصعوبات التي واجهها لإقناع الآخرين بجدوى هذه المبادرة الخيرية، فإنه استطاع أخيراً بمنطقه الصحيح أنْ يقنع المسؤولين في الهلال الأحمر أنْ يقبلوا هذا النوع من التبرّعات، وإدخالها إلى مخيمات اللاجئين، لحاجة الأطفال، كما قال لهم، إلى التنقّل من المخيمات إلى المدارس، وكذا حاجتهم إلى ممارسة الرياضة، وممارسة حقّهم في الترفيه واللعب. وقد لاقت هذه المبادرة استحسان الكثير في المدينة، فانضمّ إليه عددٌ كبير يساعدونه، كما كثرت الدراجات التي صار يتبرّع بها، وترسل لأجل هذه الغاية النبيلة.

(٢)

موضوع هذا العمل، وهو (حثّ الأطفال على التفكير الإبداعيّ، القادر على حلّ المشكلات.. وتحقيق الأمنيات والطموحات)، من الموضوعات المهمّة، التي تتناسب مع طبيعة المرحلة العمرية المستهدفة، لما تشهده هذه المرحلة من إرهاصاتِ ميول الطفل إلى الاستقلال، ونزوعه إلى إثبات ذاته، وإبراز مقدرته على تحقيق أحلامه ومراداته المختلفة.

وممّا يفيده الطفل كذلك ويتعلّمه في خلال قراءة هذا العمل:

- أنْ يكون له حلمه الخاصّ الذي يؤرّقه، ويسعى إلى تحقيقه مهما كانت التحدّيات والصعوبات. «كم هو جميلٌ أنّ يكون للمرء حلمٌ. وأنا كبقية الصغار في العالم كان لديّ حلمٌ يشغل تفكيري كلّ يوم.. وقد قرّرتُ من الآن تحقيق هذا الحلم مهما صعبت الظروف، وأنا أعرف أنني عندما أصمّم على أمرٍ فلا بدّ أنْ أصلَ إلى نتيجةٍ حاسمةٍ» (ص: ٢ و٤).
- أهمّية التعاون والعمل الجماعيّ. «يجب عليك تأسيس جمعية عائلية للادخار، ومن خلال المال المدّخر، الذي سيتم تجميعه، ومن ثمّ توزيعه على المشتركين بالتساوي مع نهاية كلّ أسبوع، سيمكنك شراء الدراجة وبالتقسيط» (ص:١٢).
- الشعور الإنسانيّ مع الآخرين والوقوف إلى جانبهم. «.. استلقيتُ على الفراش، وأنا متأثرٌ جداً من الموقف الذي حدث، ليس فقط بسبب تلف الدراجة، فالدراجة ممكنٌ أنْ تعوّض بأخرى، لكن

لحال السائق الذي اضطرّ إلى دفع مبلغٍ من المال كغرامةٍ وتعويضٍ لحادثٍ لم يكن في حسبانه، ربما كان هذا الرجل بحاجةٍ إلى المالِ، أو كان يريد أن يرسله إلى عائلته في الخارج» (ص٢٠).

- أنْ يكون جريئـًا في إبداء وجهة نظره، ومنطقيـًا في الدفاع عنها. انظرْ حوار الطفل مع مسؤول الهلال الأحمر (ص:٢٥).

(٣)

جاءت القصةُ مليئةً بالأحداث المثيرة والمشوّقة، القادرة على الإمساك بالمتلقي حتى النهاية..

بنيتْ حبكتها على وجود حلم لدى بطلها / الطفل، يؤرّقه ويشغل تفكيره في كلّ وقتٍ، وهو أنْ يمتلك دراجةً هوائيةً جديدةً، مع أنه لا يملك المبلغ اللازم لشرائها، البالغ (٩٠ ديناراً). ثمّ تتطوّر الأحداثُ حين يعرض الأمرَ على أصدقائه المخلصين يستشيرهم في ذلك، ليكون الحلّ عندهم أنْ يقوم بتأسيس جمعية عائلية للادخار، ممّا يعني إمكانية شرائها بالتقسيط، وهو ما جرى فعله، ولكنّ فرحته بالدراجة الجديدة لم تستمرّ طويلاً، إذ سرعان ما تحطّمت هذه الدراجة بالخطأ على يد سائق سيارةٍ فقيرٍ، ممّن يسكنون مخيّمات النزوح، ويعيشون حياةً قاسيةً، وظروفـًا ماديةً صعبةً، ومع ذلك فقد دفع ثمنها للطفل مضطراً من باب التعويض، لتبدأ منذ هذه الحادثة علاقةٌ إنسانيةٌ وثيقةٌ بين هذا السائق والطفل، وذلك حين يتفاجأ السائق بإعادة الطفل إليه مبلغ التعويض، كما يتفاجأ الطفل بإعادة السائق إليه دراجته نفسها جديدةً كما كانت، إذ كان الرجل ممّن يحسنون تصليح الدراجات الهوائية، وهو ما جعل

الطفل يطلب منه أنْ يعلّمه هذه الصنعة، فيتعلّمها ويتقنها، ثم يوظّفها لصالح أطفال المخيمات المحرومين من أدنى حقوق الطفولة، بعد أنْ راح يفكّر بعملٍ خيريّ، يقوم على دعوة الناس إلى التبرّع بالدراجات التالفة وإصلاحها مع أصدقائه ثم إرسالها إلى هؤلاء الأطفال الذين يعيشون في المخيمات البائسة، لتساعدهم في الذهاب إلى مدارسهم، وممارسة حقّهم في الرياضة والترفيه واللعب.

(٤)

من أبرز ما يحسب للعمل من النواحي الأسلوبية والفنية، ما يمكن الإلماع إليه من خلال النقاط الآتية:

- ملاءمة لغة النصّ لأطفال المرحلة العمرية المتأخرة.

- رمزية الأصابع، التي من شأنها تفعيل طاقة التلقي، وذلك حين يقول الطفل: «على العموم، لنسمع ماذا يقول أصدقائي الخمسة الذين ألجا إليهم دومًا عندما تتصعّب عليّ الأمور. صديقي الأول (الخنصر) والمتفائل دائمًا، وهو أصغر الأصابع الخمسة، قدّم لي النصيحة التالية..» (ص:٦). بعد ذلك ينتقل إلى (البنصر) ثم (الوسطى) ثم (السبابة) ثم (الإبهام).

فما المقصود بذلك ؟ هل يشير إلى أنه يتريّث ويصغي طويلاً إلى ذاته قبل اتخاذ أيّ قرارٍ؟ مفيداً من العبارة العامية المتداولة: «عدّ للخمسة قبل أنْ تفعل كذا»، كناية عن التريّث وضرورة التفكير العميق. أم يريد بذلك أصدقاء حقيقيين، يلجأ إليهم ويستشيرهم عند الأمور الصعبة، يشبّههم بأصابع يديه في قوة علاقتهم ورسوخها، مفيداً من

قول المجنون:

لقد ثبتتْ في القلب منك مودّةٌ كما ثبتتْ في الراحتين الأصابعُ

- المراوحة بين السرد والحوار (بنوعيه: الخارجيّ والداخليّ). ومن أمثلة ذلك: « مرّ السائقُ في نفس مكان الحادث، فاستوقفته وتحدّثتُ إليه: تفضلْ خذ الظرف، فأنت أحوجُ مني لهذا المال ! تراقصت دموع الفرح في عينيّ الرجل وتسلّمه شاكراً وبرضا وامتنانٍ، وقال بصوتٍ هادئ: بالأمس كنتُ في طريقي لشراء بعض الحاجيات وإرسالها لعائلتي قبل أنْ أصدم دراجتك، فحال ذلك دون إرسالها. فقلتُ له: وما الذي كنتَ تريد إرساله إليهم؟ فقال: بطانيات، فالجوّ في بلدي شديد البرودة، وهم يقاومون من أجل البقاء على قيد الحياة في ظروفٍ صعبٍ وخيامٍ هزيلةٍ» (ص:٢١ -٢٢).
- توظيف أسلوب السؤال، الذي نجح من خلاله الطفلُ في إقناع مسؤول الهلال الأحمر في قبول الدراجات الهوائية، بوصفها مساعداتٍ ضروريةً لأطفال المخيمات (انظرْ محاورتهما: ص: ٢٥).
- استخدام بعض الصور الفنية. كما في قوله: «يطوي المسافات كوميض البرق الخاطف» (ص:٨). وقوله: «لا تسمح للأحلام الوردية بأن تلعب بعقلك» (ص:١٠). وقوله: «حلمي الذي تبخّر في طرفة عين» (ص:١٨). وأيضـاً: «وكانت عيناه بالرغم من الحزن تشعّان بالثقة والأمل» (ص:٢٢).
- توظيف بعض الأمثال المحكية، من مثل: «حاول ادخار القرش الأبيض ليومك الأسود» (ص:١١). وأيضـاً: «الكلام لا يطبخ رزاً» (ص: ٢٧).

(٥)

يسهم العملُ في تنشيط خيال المتلقي من خلال شخصية الطفل الذي كان لديه حلمٌ يسعى إلى تحقيقه، وهو أن يمتلك دراجةً جديدةً، ولكنه لا يملك من ثمنها البالغ (٩٠ دينارا) سوى (٧ دنانير)، وهي كلّ ادّخاره طيلة سنةٍ كاملة، فما الحلّ ؟ وهنا يبرز ذكاء الطفل، وقدرته على التفكير الإبداعيّ، إذ راح يفكّر بتأسيس جمعيةٍ عائليةٍ للادخار، قائلاً في نفسه: « كم هو المبلغ المطلوب للاشتراك ؟ ليس كثيراً. ثلاثة دنانير لكلّ مشترك، وعليه يجب توفير ٣٠ مشتركـًا، وإذا ضربنا ٣×٣٠ سوف نحصل في نهاية الأسبوع على ٩٠ ديناراً. وبما أنني مؤسس هذه الجمعية، سوف أقترح عليهم أن أتسلم أنا أول دفعةٍ من مدخرات الجمعية » (ص:١٢). وهكذا استطاع بهذه الطريقة أن يوفر المبلغ اللازم لشراء الدراجة، وأن يحقق حلمه الذي كان يؤرّقه في ليله ونهاره، دون أن يلجأ إلى تسوّل الناس أو إلى طرقٍ غير مشروعةٍ في كسب المال.

وهو لم يقفْ عند هذا الحدّ، بل نجده يُعمل ذكاءه وتفكيره الإبداعيّ في تحقيق أحلام غيره من الأطفال، فكان صاحب مبادرة تصليح الدراجات التالفة، التي يتبرّع بها أصحاب متاجر الدراجات الهوائية والأهالي، لإرسالها إلى الأطفال اللاجئين والمحرومين في المناطق المنكوبة، لتخدمهم في التنقّل من المخيّمات إلى مدارسهم، ولكي يمارسوا من خلالها الرياضة، ويستمتعوا بقضاء وقت في اللهو واللعب، على الرغم من الظروف القاسية التي يعيشونها.

***

«بابا نؤيل من بغداد»

لرغد عدّاي

(١)

«بابا نؤيل من بغداد» للأديبة العراقية (رغد عدّاي): قصّةٌ موجّهةٌ إلى أطفال المرحلة العمرية المتأخّرة من (١٠ – ١٤ سنة)، صدرتْ عن دار البراق لثقافة الأطفال ببغداد سنة ٢٠١٩، وهي تُعنى بموضوع: تشجيع الأطفال على المبادرات والأعمال الإنسانيّة التطوعيّة.

جرتْ معالجة هذا الموضوعَ من خلال حكايةٍ، بطلها طفلٌ من مدينة بغدادَ اسمُه (أحمد آغا)، يشاهد ذات ليلةٍ في التلفاز خبراً عن أهالي مدينة حلب الشهباء، كيف اضطرّوا بسبب الأشرار والدمار الذي أصاب مدينتهم إلى البحث عن مكانٍ آمنٍ يعيشون فيه، حتى وصل بعضهم إلى ضواحي بغدادَ، حيث يجلسونَ في العراء، لا طعام ولا مأوى، ولا ملابس كافية تقيهم الأمطار والبرد الشديد..، فقد آلم هذا الخبرُ أحمدَ أيّما إيلام ممّا جعله يفكّر جاداً كيف يمكن أنْ يعينهم، ويخفّف من معاناتهم، فقال في نفسه: أنا أحبّ ثلاثة أشياء: البيتزا، وأصدقائي، ومساعدة الناس. سأحضر طبقًا من البيتزا، وأدعو أصدقائي لنتناوله معًا ثم نفكّر في حلّ لمساعدة هؤلاء المنكبوبين. حين حضر الأصدقاء، وهم: (رضا وأثير وسالم وثامر وحسنين ونصير)، طفق كلّ واحدٍ منهم يُدلي بدلوه في الموضوع، وقد جرى الاتفاق أخيراً على أنْ يعلنوا للناس عبر البريد الالكترونيّ عن نيّتهم

جمع تبرّعاتٍ عينيّةٍ لهؤلاء المحتاجين، وسرعان ما بدأت تنهال عليهم التبرّعات من هنا وثمّة، وهكذا صار لديهم بعد مرور شهرٍ كميةٌ كبيرةٌ من الطعام والملابس والأغطية، ليفكّروا بعد ذلك بطريقةٍ لإيصالها إلى مخيّمات النازحين، ليكون الحلّ في تلك الفكرة التي خطرتْ لأحمدَ، وراقتْ للجميع، إذ قال لهم: «ما رأيكم أنْ نطلب من أصدقائنا أصحاب الشاحنات أنْ ينقلوا الأغراضَ معنا ونذهب جميعـًا إلى مكان النازحين ونكون هناك ليلة الميلاد، وهناك صديقتنا أسماء سترشدنا إلى الطريق» (ص: ١٦). وعلى الفور أخـذوا يفرزون التبرّعات، ويضعونها في أكياسٍ، ليجريَ بعد ذلك نقلها إلى الشاحنات، وحين وصلوا إلى مخيّمات النازحين، أفزعهم ما رأوا من سوء أحوالهم المعيشية، ممّا زاد من شعورهم بالسعادة لأنهم تعاونوا وتمكّنوا من مساعدة هؤلاء، وخاصةً حين كانوا يرون فرحهم وضحكاتهم وهم يستلمون منهم التبرّعات..، ومن الطريف أنّ إحدى الخيم التي توجّه إليها أحمدُ، وهويحملُ على ظهره حصّتها من التبرّعات، وقد انعكس خياله على قماشها، سرعان ما صاح أطفالها فرحين: «هذا بابا نؤيل ! أخيراً وصل يحمل لنا هدايا الميلاد» (ص:٢٣)، فامتلأتْ عيناه بدموع الفرح وأخذ يوزّع عليهم الطعامَ والملابس حتى نفد ما في الكيس. ثم تنتهي القصةُ، حين يترك أحمد الأطفالَ منشغلين بهداياهم، ويذهب ليستريح قرب طفلٍ صغيرٍ يجلس على الأرض، وهو يمسك بثوبه الجديد، فيسأل الطفلَ: هل تحبّ البيتزا ؟ فيجيب: نعمْ، فيخرج من حقيبته قطعةً من البيتزا ويعطيه إياها، ثمّ يسأله: وماذا تحبّ أيضـًا ؟ فيردّ الطفل بفرحٍ: وأحبّ أصدقائي، ومساعدة الناس..

(٢)

الموضوعُ الذي يتناوله العملُ من الموضوعات المناسبة لأطفال المرحلة العمرية المتأخّرة، إذ يوجّه طاقة الأطفال، في هذه المرحلة الحسّاسة التي يزداد فيها شعورُهم بذاوتهم، ووعيهم بما يدور حولهم من أحـداثٍ ومشكلاتٍ، ورغبتهم في خوض المغامرات وإنجاز البطولات..، إلى مثل هذه المبادرات والأعمال الإنسانية الخيرية، التي يفيدون بها غيرهم، ويشعرون معها بالسعادة والرضا عن أنفسهم. فقد كانت فرحة الأصدقاء عظيمةً إذ تمكّنوا من الوصول إلى مخيّمات النازحين، وتقديم المساعدات إليهم، والتخفيف من معاناتهم، «.. وكما أرادوا، وصلوا ليلة الميلاد. نظر أحمد ورفاقه من بعيد، هناك الكثير من الخيم، والثلج يغطّي المكان، لا أثر هنا لسوقٍ أو لمدرسةٍ ولا حتى لساحةٍ يلعب بها الأطفال في أرجائها. تساءلوا فيما بينهم: ترى كيف يعيش أهل مدينة الشهباء الطيبون في هذا المكان؟.. ونظر أحمد إل أصدقائه يسألهم: هل تذكرون كيف كنّا خائفين من المحاولة؟ لقد نجحنا وأتينا إلى هذا المكان. تعاوننا هو سرّ نجاحنا، كم أشعر بالسعادة لأننا تمكّنا من مساعدة هؤلاء» (ص:١٩). وهكذا تضع القصةُ أقدامَ الأطفال في الطريق الصحيح، لاستغلال طاقاتهم وإمكاناتهم المتعدّدة بما ينفع الناس، وبما يعزّز من إحساسهم بذواتهم، ويحقّق مكانتهم الاجتماعية. وخاصةً حين يقرأ الطفل، على صفحة الغلاف الخلفيّ، أنّ «جميع أفراد هذه القصة حقيقيون، وهم الآن يمثّلون منظمةً إنسانيةً خيريةً تعملُ منذ تلك الحادثة لتوفير المساعدات الغذائية والطبية للنازحين من مختلف أنحاء العراق دون تمييز».

إنّ العملَ يحفز متلقيَه / الطفلَ إلى أنْ يكون إنسانـًا إيجابيـًا فاعلاً، لا يعرفُ العجزَ أو اليأس، مهما ادلهمّت الخطوبُ، أو أظلمت الدروبُ، فليس يكفي الوقوف على المشكلة، بل لا بدّ من تجاوز هذه الخطوة إلى التفكير في كيفية حلّها في ضوء الإمكانات المتاحة. وهو ما يتعلّمه الطفل من (أحمد آغا) بطل هذه القصة، إذ لم يكتفِ بالحزن والبكاء، حين شاهد مأساة النازحين في التلفاز، بل سرعان ما كفكف دموعه، « وغرق في التفكير: ماذا بوسعي أنْ أصنع لأساعد هؤلاء المساكين ؟ لنْ أتركهم يعانون وحدهم. وكأنّ فكرةً أضاءتْ في ذهنه فجأةً، فقال: أحبّ ثلاثة أشياء: البيتزا، وأصدقائي، ومساعدة الناس. سوف أحضر طبقـًا من البيتزا وأدعو أصدقائي لنتناوله معـًا ثم نفكّر في حلّ لمساعدة هؤلاء الناس» (ص:٩).

وقد رأينا كيف أدّتْ هذه الفكرة في نهاية المطاف إلى تحقيق الهدف المرجوّ، إذ استطاع أحمد وأصدقاؤه الطيبون، بحوارهم البنّاء، وتفكيرهم الإبداعيّ، وحسن ترتيبهم وتعاونهم..، أنْ يصلوا إلى مخيّمات النازحين، وأنْ يقدّموا بأيديهم المساعداتِ والمعوناتِ التي جمعوها من أهل الخير والإحسان، ممّا كان له أثره الكبير في التخفيف من معاناة الناس ثمّة وسوء أحوالهم المعيشية.

(٣)

تتسلسلُ أحداثُ القصة على نحوٍ مشوّقٍ للمتلقّي / الطفل، حيث يبدأ النصّ بتقديم صورةٍ سريعةٍ لحياة الناس الوادعة في حلب الشهباء قبل أنْ يغزوَها الأشرارُ، ثم ينتقل إلى الحال المأساوية التي صارتْ

عليها المدينةُ بعد غزوهم لها، إذ «هدموا المباني، وخرّبوا الحقول، وأغلقوا الأسواق والمدارس، وصاروا يلاحقون الناس ليحوّلوهم إلى أشرارٍ مثلهم»(ص:٦)، حتى اضطرّ أهلها أنْ يغادروها بحثاً عن مكانٍ آمنٍ يعيشون فيه. ثم تتطوّر الأحداث حين يشاهد (أحمد آغا) خبراً في التلفاز عن هؤلاء النازحين السوريين، فيتألّم لحالهم كثيراً، ممّا يجعله يفكّر تفكيراً جاداً في كيفية تقديم العون والمساعدة لهم، فيدعو مجموعةً من أصدقائه إلى بيته، ويطرح عليهم الموضوع للتحاور، فيجد منهم التفاعلَ والتعاون، وهكذا يضعون الخططَ والترتيباتِ اللازمةَ، ليتمكّنوا في نهاية المطافِ من إسعاف هؤلاء النازحين وإغاثتهم، فقد وصلوا إلى مخيماتهم، بمساعدة أصدقائهم من سائقي الشاحنات، وبأيديهم أخذوا يوزّعون أكياس الطعام والملابس والأغطية، ففرحوا بإنجاز هذه المَهمّة الإنسانية العظيمة فرحاً شديداً، وخاصةً وهم يرون حاجة النازحين الماسّة لمثل هذه المساعدات، وكيف كانت البسمةُ ترتسمُ على وجوه الجميع، ولا سيّما الأطفالُ، وهم يستلمون أكياسَ المعونات.

(٤)

من أبرز ما يسجل للعمل من النواحي اللغوية والأسلوبية والفنية:

- كتابة النصّ بلغةٍ رصينةٍ، مناسبةٍ لأطفال المرحلة العمرية المتأخرة.
- اتكاء الكاتبة على أحداثٍ حقيقيةٍ، وقعتْ في العراق، ممّا يزيد من درجة تأثر المتلقي / الطفل واقتناعه، وخاصةً أنها استطاعت حبك هذه الأحداث وتقديمها في إطار حكايةٍ ماتعةٍ، يظلّ الطفل في خلالها

مشدوداً إلى القراءة والمتابعة، حتى وصوله إلى النهاية.

- استخدام أسلوب الحوار، الذي كان له دوره في الكشف عن طبيعة الشخصيات ومستويات وعيها وتفكيرها، فضلاً عن دوره في تطوير الأحداث وزيادة دراميتها..، ومن أمثلته: «حضر الأصدقاء إلى بيت أحمد وجلسوا يفكرون..، قال لهم أحمد: نحن لا نستطيع أنْ نشتريَ لهم بيوتًا لأننا لا نملك ثمنها، ولكن بمقدورنا أنْ نحضر لهم الطعامَ والثيابَ والأغطية. فردّ عليه أثيرٌ متسائلاً: ولكن من أين سنحصل على النقود لنشتريَ لهم كلّ هذه الأشياء ؟ أجابه رضا مبتسمًا: ولماذا نشتريها؟! نستطيع أنْ نجمعها من الناس الذين يحبّون المساعدة مثلنا. ما رأيكم يا أصدقائي؟ أجاب حسنين متردّداً: ولكنّ أهاليَ الشهباء كثرٌ ونحن قليلون، فكيف نساعدهم؟ ربّما لن ننجح! نظر أحمد إلى أصدقائه ثم ابتسموا معًا وقالوا بصوتٍ عالٍ: لنحاولْ» (ص:١٠ – ١١).

- توظيف تقنية الرسائل الإلكترونية، «.. راح الأصدقاء يكتبون رسالةً: نحن مجموعة من الأصدقاء نريد أن نساعد إخواننا الذين غادروا بيوتهم بسبب الأشرار. إنّ إخواننا يعيشون بلا بيوت ولا طعام ولا ملابس تحميهم من البرد، فإن أحببتم مساعدتهم فشاركوهمً بقسم من ملابسكم وطعامكم. اتصلوا بنا ونحن سنحضر لنجمع مشاركًاتكم ونقدمها لهم. أكمل أحمد وأصدقاؤه كتابة الرسالة، وأرسلوها عبر البريد الالكترونيّ إلى جميع أصدقائهم وأقاربهم. وفي اليوم التالي وصلتهم إجاباتٌ كثيرةٌ ومن مدنٍ مختلفة. كان الجميع متحمّسين لتقديم المساعدة، وشعر الأصدقاء بفرحٍ لا يوصف» (ص: ١٣).

(٥)

وأخيراً يؤخذ على النصّ بعض الأخطاء اللغوية والنحوية، ومن ذلك قول المؤلفة:

- «ليحوّلوهم إلى أشرارِ مثلَهُمْ» (ص:٦). والصواب: أشرارٍ مثلِهم.
- «حضر الأصدقاءُ إلى بيت أحمد، وجلسوا يفكرون، وكانت أسماؤهمْ: رضا وأثيرٌ وسالمٌ وثامرٌ وحسنينُ ونصيرٌ» (ص:١٠). والصواب: رضا وأثيراً وسالمـًا.. إلخ.
- «كان أحمد يتلقّى اتصالاتِ الناسَ» (ص:١٤). والصواب: الناسِ.
- «أما مُهِمّة رضا، فكانت التقاط الصور..» (ص:١٤). والصواب: مَهَمّة.
- «بعد شهرٍ من العمل المتواصل صار لدى أحمدَ وأصدقائه كمّيةً كبيرةً من الطعام والملابس والأغطية» (ص:١٦). والصواب: كمّيةٌ كبيرةٌ.
- «فارتسمتْ على وجهه ابتسامةٌ تَشُعُّ بالأمل» (ص:٢٢). والصواب: تشِعّ.
- «أجاب الطفلُ بحماسٍ» (ص:٢٦). والصواب: بحماسةٍ.

***

«الفتاة الليلكية»

لابتسام بركات

(١)

(ابتسام بركات): أديبة فلسطينية، تكتب للكبار والصغار، ورسامةٌ تشكيلية. ولدتْ في بيت حنينا بالقرب من القدس سنة ١٩٦٣، وتحمل شهادة (الماجستير) في الصحافة من جامعة ميسوري بالولايات المتحدة الأمريكية.

تُعنى بركات في أعمالها الأدبية بقضية وطنها المحتلّ (فلسطين)، وتكتب باللغتين الإنجليزية والعربية. فمن أعمالها بالإنجليزية: تذوق طعم السماء: طفولة فلسطينية (٢٠٠٧)، وشرفة على القمر، بلوغ الرشد في فلسطين (٢٠١٦). أما بالعربية،فمن ذلك: التاء المربوطة تطير (٢٠١٢)، وهدية للهمزة (٢٠١٤)، والجرة التي صارت مجرة (٢٠١٩).

(٢)

«الفتاة الليلكية»: قصةٌ موجّهةٌ إلى أطفال المرحلة العمرية المتوسّطة من (٦ – ٩ سنوات)، استلهمتها الكاتبة، كما تقول على صفحة الغلاف الداخليّ، من رحلة الفنانة الفلسطينية (تمام الأكحل)، (وهي من إصدارات مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي بفلسطين سنة ٢٠١٩).

يقع موضوعُ هذا العمل في إطار ما يسمّى «أدب المقاومة»، وقد أشارت الكاتبةُ، في حوارٍ معها، إلى أنها حاولتْ في هذه القصة أنْ تعبّر عن «إحساس الإنسان الفلسطينيّ حين يمنع من العودة إلى بلده». (انظر: «ابتسام بركات: الاقتلاع من الأرض جعلني أجد جذوراً في اللغة»، على الشبكة العنكبوتية).

يقدّم العملُ للطفل حكاية الفنانة التشكيلية (تمام الأكحل) التي أرادتْ أنْ تزور ذات يوم بيتها القديم في يافا، حيث اكتشفت حبّها للرسم أوّل مرّةٍ..، لتتفاجأ حينَ وصلتْ إلى البيت.. وطرقت البابَ، خروج فتاةٍ غريبةٍ إليها، فقالتْ لها تمامُ: هذا البيت بيتي الذي تركتُ فيه أيام طفولتي، ولكن الفتاة رفضتْ أنْ تسمح لها بالدخول، وأغلقت الباب في وجهها بسرعةٍ، لتنهمر دموع تمام مباشرة، بكلّ الألوان المائية..، ثم تأخذ حجراً صغيراً من فناء بيتها القديم، وتجلس على مقربةٍ منه، وتبدأ برسمه على ورقةٍ، تلوّنه بألوان دموعها الحزينة، مما جعل ألوان البيت تهرب منه، وتلحق بها «مثل ريحٍ خفيفةٍ، تحمل أوراقًا خريفية، حتى صار البيت القديم بلون الأشجارِ العارية»(ص:٣٠ – ٣٢). وهو ما جعل الفتاة الغريبة التي تسكن البيت تصرخ على الألوان أنْ تعود إليها، لكن الألوان ذهبتْ مع تمام الطفلة الرسامة، ولم يبق خلفها هناك يصبغ كلّ شيءٍ سوى لونٍ واحدٍ، هو اللون الليلكيّ، الذي كان خليطًا من الأحمر الغاضب والأزرق الحزين والأصفر المقهور.

(٣)

يكشف العملُ للقارئ / الطفل عن دور الفنون الجميلة في مقاومة المحتلّ الأجنبيّ، وأنّ المقاومة وهزيمة العدوّ ليست دائمًا عن طريق

العنف والنار والدمار، وإنما قد يتحقّق ذلك بطرقٍ مختلفة، أقلّ كلفةٍ ومؤونةٍ. فقد استطاعت الطفلة / تمام أن تهزم الدخلاء والمحتلّين بحنينها وريشتها وألوانها ليس أكثر، وذلك حين راحت ترسم بيتها القديم من الخارج، فصارت ألوانه تهربُ منه، وتلحقُ بها..، تاركةً ساكنته الغريبة في صورةٍ شديدة القبح، وكأنّ الألوان الجميلة تأبى إلا أنْ تنحاز لصاحب الحقّ. ومن هنا نتبيّن ما تعنيه الكاتبة حين تؤكّد أنها قامت بالانتصار لتمام الأكحل في هذا العمل «بشكلٍ فنيّ، لم يخطرْ على بال المرأة التي استولتْ على المنزل» (المرجع السابق).

(٤)

جرى سرد الحكاية على نحوٍ مشوّقٍ للقارئ / الطفل، حيث تبدأ الكاتبة بتقديم صورةٍ سريعة لتمام الأكحل بوصفها رسّامةً تشكيليةً، تعبّر عن مشاعرها وأفكارها بالألوان الهامسة أو الصارخة، فبدلاً من أنْ تكتب قصةً، ترسم تمامُ لوحةً تشكيليةً بالألوان الزيتية. ثم تنتقل إلى صورتها النفسية، وما تكابده من حزنٍ وشوقٍ إلى بيتها القديم في يافا، التي يحتلّها الأجنبيّ ويمنع أهلها من عودتهم إليها، وعلى الرغم من ذلك ترسم تمامُ بيتها في خيالها، وتصرّ على زيارته، لتتفاجأ بساكنةٍ غريبةٍ له، تنمعها من دخوله، فتحزن حزنـًا شديداً، ثم تجلس خارجه وتأخذ برسمه على ورقةٍ، فتنتصر لها الألوان الجميلة، حيث تهرب من البيت وتلحق بها، تاركةً ساكنته التي استولتْ عليه تصرخ بها أنْ تعود إليها، ولكن الألوان تأبى إلا أنْ تعلن كرهها لهذه المرأة المحتلة، منحازةً لصاحبة البيت الأصلية.

(٥)

نتبيّن قدرة النصّ على اجتذاب المتلقي / الطفل والتأثير فيه، من خلال النقاط الآتية:

- جاءت الألفاظ والجمل والتراكيب والمعاني والدلالات في نطاق قاموس طفل المرحلة العمرية المتوسطة.
- مزجت الكاتبة في تقديم الحادثة التاريخية بين الواقعيّ والمتخيّل، مما زاد من درامية النصّ وتفاعل المتلقي معه.
- نجحت الكاتبة من خلال الصور التشخيصية في تجسيد علاقة الأكحل الوطيدة ببيتها القديم، على الرغم من غيابها الطويل عنه، فحين طرقت الباب «اهتزّت النوافذُ، وسرتْ في البيت رعشةٌ. الجدران قالت للسقف، المطبخ قال لغرفة النوم، والطريق قال للحديقة: حضرت تمامُ بعد غياب أعوامٍ» (ص:١٨).
- أكثرتْ الكاتبة من استخدام الصور اللونية التي من شأنها إيقاظ حواسّ الطفل، وتعميق صورة البطلة في روحه ومخيلته بوصفها رسامة تشكيلية، حيث نطالع مثلا: «في قلب تمام، لونٌ حزين، يشرق ويغرب مثل ألوان الشفق الشمسية» (ص:٨). كما نطالع في موضع آخر: «نزلتْ دمعة خضراء من عين تمام، ثم دمعة برتقالية، ثم دمعة زرقاء، نزلتْ من عين تمام.. دمعاتٌ بكلّ الألوان المائية»(ص:٢٤).
- توظيف بعض الأساليب البديعية لإغناء طاقة النصّ الدلالية والموسيقية: كالطباق، والسجع، والتكرار، والجناس. كما في

قولها: «ترسم تمامُ لوحةً تشكيليةً، تشكي حزنها أو تشارك فرحها عبر الألوان الزيتيّة» (ص:٦). أو قولها: «أخذت تمامُ حجراً صغيراً من فناء بيتها القديم، ولأنها لم تتمكنْ من أخذ حجر الأساس، سمّت الحجر الصغير حجر الأسى» (ص:٢٦).

***

«نزهتي العجيبة مع العمّ سالم»

لنادية النجّار

(١)

تحمل الإماراتيةُ (نادية النجّار الجناحي) شهادة (البكالوريوس) في علوم الحاسب الآلي من جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا ، وهي إلى ذلك مبدعةٌ ، تكتب الرواية للكبار، والقصة للصغار .

من أعمالها الروائية :

- منفى الذاكرة ، دار كتاب للنشر والتوزيع ، دبي ، ٢٠١٤ .
- مدائن اللهفة ، دار مدارك للنشر والتوزيع ، دبي ، ٢٠١٥ . (حاز هذا العمل على المركز الأول في جائزة الإمارات للرواية ، عن فئة الرواية القصيرة) .
- ثلاثية الدال ، دار كلمات للنشر والتوزيع ، الكويت ، ٢٠١٧ .

ومن أعمالها القصصية للأطفال ، على سبيل التمثيل :

- أنا مختلف، صَدَرَ عن مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، ودار سما وقنديل للنشر، ٢٠١٧.
- النمر الأرقط ، دار الهدهد للنشر والتوزيع ، دبي ، ٢٠١٧.
- هاهما الغافتان ، دار الهدهد للنشر والتوزيع ، دبي ، ٢٠١٩ .

(٢)

«نُزهتي العجيبة مع العمّ سالم»: قصّةٌ موجّهةٌ إلى أطفال المرحلة العمرية المتوسّطة من (٦ – ٩ سنوات)، صَـدَرَتْ عن دار الساقي ببيروت سنة ٢٠١٩ ، وهي تتناول موضوع تحبيب الأشخاص (ذوي القدرات الخاصّة) إلى الطفل، من خلال إطْلاعه على ذكائهم في تحدّي الإعاقة الجسدية، وطيبة نفوسهمْ، ولطف تعاملهمْ. عالجت المؤلفةُ هذا الموضوعَ من خلال حكايةٍ، على لسان أحد الأطفال، وفيها يتحدّثُ عن نزهةٍ له في الحيّ رفقةَ (العمّ سالم) الذي كان ضرير العينين، ولكنه كان مدهشـًا للطفل في معرفة الناس والأمكنة من حوله، ممّا يرجع إلى قدرته على تفعيل حواسّ أخرى، بدلاً من حاسّة البصر التي يفتقدها. ففي خلال المسير في هذه الجولة، على سبيل التمثيل، يعرف العمُّ سالم أنّ على يمينه بيتَ الخالة مريم دون أنْ يلتفت إليه، وهو ما جعل الطفل يتعجّب من ذلك، وحين يسأله: كيف عرفتَ ذلك يا عمّي؟ يجيبه من رائحة الخبز الذي تعدّه كلّ صباحٍ. وهكذا يعرف من رائحة السكاكر والحلويات أنه وصل إلى دكّان حسَن، ومن رائحة القهوة والهال أنه وصل إلى المقهى، ومن رائحة الرطب أنه وصل إلى أحد بساتين النخيل..

ثمّ يطلب العمّ سالم من الطفل أنْ يمارسَ التجربة بنفسه، أي أنْ يغمضَ عينيه، ويُرهف حاسّة الشمّ لديه، فصار الطفل يحسّ برائحة الأشياء على نحوٍ أقوى من ذي قبل، ليتطوّر الأمر بعد ذلك، إذ يتبيّن الطفل قدرة العمّ سالمٍ على شمّ المعنويات، فحين طلب منه العمُّ سالم أنْ يتبعه تلقاء البحر، يسأله الطفلُ: ما رائحة البحر؟ فيخبره أن للبحر

روائحَ عدةً ، ثمّ يذكر له من ذلك: رائحة الفرح على وجه الصيّاد حين يظفر بأسماكٍ كثيرةٍ، ورائحة السعادة في أقدام الأطفال الذين يلعبون على رماله الناعمة. وعندما أغمض الطفلُ عينيه وأخذ يشمّ هذه الروائح .. ، سرعان ما راح يتخيّل جدّه الغواصَ في أعماق الماء، وأباه طفلاً يلهو على الشاطئ، وأمه فتاةً صغيرةً تحمل السمك الطازج إلى أمّها لطعام الغداء. وهكذا يستطيع العمّ سالم أنْ يشمّ رائحة الفوز والخسارة في ملاعب الكرة، ورائحة سواعد العمّال والبنّائين حين يمرّ ببعض العمارات في طور الإنشاء..، ثمّ تُختتم القصة، حين يعودون أدراجهم، فيقول الطفل: لقد اقتربنا من منزلنا، فيسأله العمّ سالم، وقد صار الأمر عكسيـًا: كيف عرفتَ؟ فيجيبه الطفلُ: من رائحة السمك المشويّ الذي تعدّه أمّي للغداء!

(٣)

يسعى العملُ إلى تحبيب (ذوي القدرات الخاصّة) إلى المتلقّي/ الطفل، ليكون قريبـًا من هذه الفئة، وأكثر تعاونـًا معهمْ، إذ كثيراً ما يشكو هؤلاء من نفور الآخرين منهمْ، وعدم رغبتهم في صحبتهمْ، ممّا يؤدّي إلى عزلتهمْ، أو يشكّل لديهم أنماطـًا سلوكيةً عدوانيةً، وهو ما يتطلّب أنْ ينشأ الطفلُ في سنّ باكرةٍ على احترام هذه الفئة، والإيمان بقدراتهم وإمكاناتهم التي قد لا يملكها بعض الأصحّاء، ممّن يتمتّعون بكامل قواهمْ وجوارحهمْ.

لقد سمّى الطفلُ جولته في الحيّ مع العمّ سالم الضرير (نزهةً)، أي أنها جولةٌ ماتعةٌ، هذا فضلاً عمّا فيها من اقتناص فوائدَ، واكتسابِ

خبراتٍ جديدةٍ، حيث نجده يتعلّم من العمّ سالم، مثلاً، كيف يمكنه أنْ يبادل معطيات الحواسّ، فيستعيض عن حاسةٍ يفتقدها بحاسةٍ أخرى، فقد تمكّن في نهاية القصّة أنْ يتبيّن الأشياءَ من حوله عن طريق حاسة الشمّ بدلاً من حاسة البصر، إذ راح يجرّب إغماض عينيه ويمشي..، ليعرف أنه وصل إلى منزله من خلال رائحة السمك المشويّ الذي كانت تعدّه أمه للغداء.

وممّا تعلّمه الطفل في خلال جولته مع العمّ سالم كذلك أنْ يكون سخيّـًا كريم النفس، لا يضنّ على غيره بما ملكتْ يداه. يقول: «يشتري لي العمّ سالم الكثير من السكاكر، ويوصيني: ليستْ لك وحدك. شاركْ أطفال الحيّ والجيران» (ص: ١٠). وأيضـًا: «يخرج المزارع محمّلاً بسلّةٍ مليئةٍ بالرطب: اقتربوا، خذوا ما شئتمْ. يأكل العمّ سالم منها، ويقول: ما أطيبها! شكراً لك أيها المزارع الكريم»(ص:١٦).

وواضحٌ هنا هذه الأخلاق الكريمة التي يتمتّع بها العمّ سالم، حين يوصي الطفلَ أنْ لا يستأثرَ وحده بأكل السكاكر بل يشارك غيره من الأطفال، وحين قال له المزارع خذْ ما شئتَ، نجده يكتفي بأنْ يأكل منها متذوّقـًا حسبُ، ولا يزيد على ذلك، وبعد أنْ يتذوّقها يُعرب له عن استحسانه لطعمها، كما يشكره ويثني عليه، مما يكشف عن طيبة نفسه، ولطف معشره.

(٤)

جاء سردُ الأحداث على نحوٍ مشوّقٍ للقارئ / الطفل، حيث تبدأ القصةُ كما يلي: «أنتظرُ صباح الجمعة، لأخرج مع العمّ سالم في إحدى

نزهاته العجيبة. أسأله كيف يعرفُ الطريقَ؟ يجيبني: اتبعْني وستعرف» (ص:٢). وواضحٌ أنها بدايةٌ مثيرةٌ لفضول المتلقي، لمتابعة الأحداث للوقوف على عجائب هذه النزهة مع العمّ سالم، التي يبدو فيها الأمرُ على نحوٍ مفارقٍ للمعتاد، إذ كان الضريرُ هاهنا هو مَنْ يقود البصيرَ لا العكس!

وإذ تبدأ الجولةُ، فإنّ الطفلَ يظلّ في حالةٍ من التعجّب والدّهَشِ من العمّ سالم كيف يتبيّن الأشياءَ حوله من خلال إعمال حاسّةٍ أخرى، هي حاسّة الشمّ، التي راحتْ تسدّ عنده مسدّ حاسة البصر التي يفتقدها، لتنتهيَ حالة التعجّب لدى الطفل، حين يغريه العمّ سالم بمباشرة التجربة بنفسه، (تجربة إغماض العينين واستنشاق الرائحة ..) ، وهو ما جعل الطفل يستمتع بذلك، إذ استطاع أخيراً أنْ يعرف أنه وصل إلى بيته من رائحة السّمك الذي تشويه أمّه، بعد أنْ راح يُرهف لديه حاسة الشمّ، مستعيضـًا بها عن حاسة البصر.

(٥)

ممّا يُلحظ قدرة العمل على إثارة حواسّ الطفل وتفعيل خياله، ويكفي أنْ يشار هنا إلى فكرته الرئيسة في التعرّف إلى الأشياء، القائمة على (تراسل معطيات الحواسّ)، فقد رأينا كيف يستعيض (الضرير) عن الصورة البصرية بالصورة الشمّية، وهو ما يعني شحذ هذه الحاسة التي يمتلكها، لتصل إلى مستوى عالٍ في كفاءتها المعرفية، ودقّتها في التمييز. يقول الطفل، بعد أن تعلّم هذه المهارة على يد العمّ سالم: «أغمضُ عينيّ وأشمّ هذه الروائح [يعني روائح البحر]. أتخيّلُ جدّي

الغوّاصَ في أعماق الماء، وأبي طفلاً على الشاطئ، وأمي فتاةً صغيرة تحمل السمك الطازج إلى أمها لطعام الغداء» (ص:٢٢).

(٦)

يسجّل للعملِ من النواحي الفنّية العامّة، ممّا كان له دوره في إخراج نصّ قصصيّ منَ القدرة على إثارة متلقّيه الطفل واجتذابه، ما يلي:

- مناسبة لغة القصّة لمستوى أطفال المرحلة العمرية المستهدفة، وهي المرحلة المتوسّطة.
- مراوحة الكاتبة بين السّرد والحوار، كما في قولها مثلاً: «نمضي حتى نصل إلى بقالةٍ صغيرةٍ. يقول العمّ سالم: هنا دكّان حسن. أسأله بتعجّبٍ: كيف عرفتَ؟ يجيبني بثقةٍ: من رائحة الحلويات والسكاكر» (ص: ٨).
- استخدام أسلوب السؤال، الذي نجده يتكرّر كثيراً على لسان الطفل في أثناء جولته مع العمّ سالم ، «.. ما رأيك أن نذهب لنشاهدَ مباراةً لكرة القدم؟ يقول العمّ سالم ذلك، ويمضي متلمسًا طريقه بعصا لا تفارقه. أسأله بفضولٍ: وهل للملاعب رائحةٌ؟ يقول: الكثير من الروائح . أسأله: حقًا؟ ما هي؟»(ص:٢٤).
- تشويق القارئ من خلال تأجيل الإجابة. «أسأله كيف يعرف الطريق؟ يجيبني: اتبعني وستعرف» (ص:٢) . وفي موضعٍ آخر: «أسأله: حقًا؟ ما هي؟ أخبرك حين نصل، يجيبني العمّ سالمٌ» (ص:٢٦).
- استخدام الصور المجازية، التي تقوم على تبادل المدركات، كما

في قول العمّ سالم: «للبحر روائحُ كثيرةٌ ... رائحة الفرح على وجه الصياد حين يظفر بأسماكٍ وثيرةٍ.. رائحة السعادة في أقدام الأطفال الذين يلعبون على رماله الناعمة» (ص:٢٠). أو قوله: «هنالك رائحةٌ للفوز ورائحةٌ للخسارة» (ص:٢٦).

- طبعة الكتاب الفاخرة، بورقها المصقول المقوّى، وخطوطها الواضحة، وألوانها الزاهية، ورسومها المعبّرة.

القسم الثاني

قراءة في نماذج (روائية)

«البحث عن الصقر غنّام»

للينا هويان الحسن

(١)

تندرجُ رواية «البحث عن الصقر غنّام»، الصادرة طبعتُها الأولى عن (دار الآداب، ببيروت، سنة ٢٠١٥)، في إطار عناية المؤلّفة السورية (لينا هويان الحسن) بعالم البادية والصحراء العربية (سورية، الأردن، العراق، نجد)، ولعل ذلك يحور إلى طبيعة خبرتها الشخصيّة، إذ كانت من مواليد البادية السورية، وفيها نشأتْ ودرست المرحلة الابتدائية.

ومن مؤلّفاتها الأخرى التي تتناول هذا العالم، على مستوى البيئة والمجتمع، على سبيل التمثيل:

- معشوقة الشمس، رواية ، ١٩٩٨.
- مرآة الصحراء، كتاب توثيقي عن البدو، ٢٠٠٠.
- بنات نعش، رواية ، ٢٠٠٥.
- سلطانات الرمل، رواية، ٢٠٠٩.

(٢)

تقعُ هذه الرواية في (٩٣ صفحة) من القطع (١٤ × ٢١ سم)، وهو عددٌ مناسبٌ من الصفحات للفئة العمرية المستهدفة (فئة الفتيان

والفتيات)، لما فيه من التوسّط، فلا هي بالرواية الطويلة المملّة، ولا هي بالرواية القصيرة المخلّة.

وممّا يلحظ أنها جاءتْ خلواً من الرسوم التوضيحية أو الإيحائية، فهي لم تشتملْ إلا على لوحةٍ واحـدة حسب، وهي لوحة غلافها الأمامي التي تزينت برسم الصقر «غنام»، حيث يقف على مجثمه، وهو «أشبه بدبوسٍ كبير ضخم، رأسه محشوّ بالقش اللين، ومنجد بالمخمل والجلد الطريّ المتين، بحيث يلائم مخالب غنّام» (ص: ١٢) .

ويبدو لي أنّ هذا لم يكنْ كافيـًا، صحيحٌ أنّ أغلب ما يقدّم إلى هذه الفئة العمرية يأتي من حيث إخراجه الطباعيّ وصورته البصرية أقرب إلى الروايات التي تقدم إلى فئة الكبار، وعلى ذلك فإنني أرى أن هذه الرواية لو تضمّنتْ بعض الرسوم أو اللوحات الفنية المستوحاة من أحـداث القصة أو شخصياتها الإنسانية والحيوانية، لكان ذلك أجدى، وأشدّ إثارةً وتأثيراً، وخاصةً أنّ من غاياتها التعريفَ بعناصر الصحراءالمختلفة: الحيوانية والنباتية.. وغيرها .

(٣)

تعدّ رواية «البحث عن الصقر غنّام» من الأعمال الأدبية النادرة، (فيما يكتب لفئة الفتيان والفتيات)، التي تحاول أنْ تتقحّم عالم الصحراء الشاسع، لأجل التعريف به، والوقوف على مكوّناته وأبعاده، والدعوة إلى حمايته والمحافظة عليه.

والحقّ أنّ العملَ يكشف عن خبرةٍ صحراويةٍ هائلة، وثقافةٍ علميةٍ واسعةٍ، كما يكشف عن خبرةٍ فنيةٍ، نتبيّن أثرها الجليّ فيما يمتلكه النصّ من قدرةٍ كبيرة على التشويق والإثارة.

عالجتْ الكاتبة هذا الموضوع المهمّ من خلال حكايةٍ، بطلها فتىً في الرابعة عشرة من عمره، اسمه (صباح)، يعيش في الأصل مع والديه في المدينة، ولكن بسببٍ من مرض جدته الطارئ التي تعيش في القرية، توافق أمه على أن يذهب هناك لمرافقتها. وعندما أبلّت الجدة من مرضها قررت أن تعود إلى حياتها الطبيعية ، فتغادر القرية إلى البادية مع أغنامها لتكون قريبة من الكلأ، فيقرر الفتى (صباح) أن يذهب مع جدته إلى البادية، حيث تبدأ صحبته لخاله (خالد) الذي يسكن قريبا منها، كما تبدأ صداقته في بيت خاله لصقره (غنام) وكلبه السلوقيّ (سرحان).

وفي أحد الأيام يستيقظ صباح على صوت خاله، وهو يصيح بصقره غنام، الذي أطلقه ليصيد له كالمعتاد، ولكنه يحلق بعيدا في أعالي السماء.. ويختفي. وعندئذ يقرر خاله أن يبحث عنه، فيعدّ العدة للذهاب إلى أحد الجبال البعيدة، ظنا منه أنه سيلاقيه هناك، فيتمسك الفتى بخاله، ويعلن أنه يريد مرافقته في رحلة (البحث عن الصقر غنام)، فتوافق جدته على مضض، وتزوده بالطعام والماء، ولكن الفتى سرعان ما يضيع أثر خاله في الصحراء، لتستمرّ مغامرة الضياع هذه سبعة أيام، يواجه في خلالها مخاطر الصحراء ومخاوفها الجمة.

ثم تنتهي الرواية عندما يحلق الصقر غنام فجأة قريبا من الفتى صباح والكلب سرحان، وكأنه يودعهما ليس أكثر، إذ كان الوقت فصل الربيع، ولا بد من التناسل والتكاثر للمحافظة على النوع، كما يدل على ذلك تحليقه برفقة أنثاه، وعودته إلى موطنه الطبيعي في قنن الجبال الباذخة، وبينما يحدق صباح بالصقر غنام وهو يحلق في الفضاء..، يقبل من بعيدٍ خاله خالد، ويلتقيان.

(٤)

تبرز أهمّية موضوع هذه الرواية من خلال عدّة نقاطٍ، أوضّحها على النحو الآتي:

- ندرة ما يقدم لهذه الفئة العمرية من أعمال تصوّر بيئة الصحراء / العربية، وتجلّي طبيعة الحياة فيها.
- الدعوة إلى حماية الطبيعة والمحافظة على عناصرها المختلفة (ص: ٥٤، ٥٩).
- الدعوة إلى إتاحة الحرية للحيوانات والطيور، لتمارس حياتها الطبيعية، وتعيش في مواطنها الأصلية، بعيدا عن الأوهاق والأقفاص والأماكن الغريبة (ص: ٩١).
- التعلم من سلوك الحيوان والطير فيما فطر عليه من قوانين العيش والبقاء (ص: ٤٩).
- التعريف ببعض حيوانات الصحراء وطيورها وبيان مذاهبها في العيش ومواجهة الأخطار، ومن ذلك مثلا: الصقر، الكلب، النسر، الحبارى، الغزال، العظاءة، الأفعى، الضب، الذئب، الثعلب، البوم، اليربوع، النعامة، القبرة، العوسق، الكروان..
- التعريف ببعض نباتات الصحراء وأشجارها، ومن ذلك مثلا: الكمأ، الرقروق، السدر، الأثل، الصبّار، النخيل، الشيح، الحنظل، الغضا، العشب النصي..
- التعريف ببعض تضاريس الصحراء وظواهرها الطبيعية، ومن ذلك مثلا: الرمال، الكثبان، السراب، الجحور، الأحافير، الغبار،

الغدران، الآبـار، مسايل الماء الجافة، الشمس الحارقة، الظل، البرق، النجوم..

- توضيح كيفية الاستدلال على الاتجهات من خلال النجوم (ص: ٤٧- ٤٨).

- تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة السائدة بين الناس حول تفسير بعض السلوكيات الحيوانية، ومن ذلك مثلا: الاعتقاد الشائع أن النعامة تدفن رأسها في الرمال عند الشعور بالخطر! (ص: ٥٢).

- تعزيز فكرة «القدرة على التكيف»، التي تتطلب قدرا كبيرا من الذكاء والجرأة وقوة الاحتمال والصبر.

(٥)

إنّ الرواية جدّ مشوّقة، وخاصّةً أنّ حبكتها تقوم على نـوعٍ من المغامرة، ومجابهة الأخطار المختلفة، كما يتجلى ذلك في رحلة البحث عن الصقر (غنام)، ثم ما تخلل ذلك من ضياع الفتى (صباح)، ابن الرابعة عشرة، الذي كان عليه أن يواجه الصحراء، بحرّها وشحّها ووحشها وتيهها.. نحو سبعة أيام، في رحلة البحث عن خاله (خالد)، ليس معه في رحلة الضياع هذه، سوى كلبه (سرحان)، وما احتمله من زادٍ قليل، ولكنه بذكائه وهمّته وصبره استطاع أن يتجاوز كل العِقاب والمصاعب .

تحاول الرواية أن تعرف المتلقي / من الفتيان والفتيات بيئةَ الصحراء، وأن هذه البيئة على قسوتها وفقرها ليست «أرضا خاوية ليس فيها أحد»، كما تقول في سطرها الأخير (ص: ٩٣). فالرواية مفعمة

بالمعلومات المفيدة التي تتصل بعالم الصحراء، كما جاء ذلك على لسان بطلها صباح، الذي بدا أنه فتى ثقفٌ لقفٌ، ولديه خبرة هائلة في هذا العالم.

ولكنّ الموضوع وحده، كما هو معروف، لا يصنع أدبـًا أو فنـًا، مهما كان نافعا أو ذا قيمةٍ، وإنما المعوّل عليه، في المقام الأول، هو الإبداع اللغويّ، والتشكيل الفنيّ الجذّاب، وهو الجانب الذي نتبيّنه هاهنا من خلال اختيار المؤلفة لقالب الفنّ الروائيّ في تأدية الموضوع، وتأسيس العمل على حكاية ممتعة مليئة بعناصر الإثارة والتشويق، حيث جاء ذلك على لسان بطلها الفتى صباح ، وهو أسلوب من شأنه أن يجعل المتلقي (من الفتيان والفتيات)، يتفاعل مع هذه الشخصية، وكأنه يعيش التجربة والمغامرة بنفسه.

(٦)

هذا، وقد جاءت الروايةُ حريصةً على تفعيل طاقة الخيال لدى المتلقي، حيث نلحظ ذلك من خلال التفكير والبحث الخلّاق، لأجل التكيّف مع الظروف البيئية الصعبة، بيئة الصحراء تحديداً، سواء على مستوى توفير أسباب العيش أو توفير أسباب الحماية من الأخطار الخارجية، كما تجلى ذلك واضحا في رحلة الضياع في الصحراء التي عاشها الفتى صباح، واستطاع أن يتخطاها بنجاح، اعتماداعلى ذكائه وتفعيل حواسه واستعانته بمخزون ذاكرته التي كانت تحتقب معلوماتٍ وافرةً عن الصحراء، وخاصة مما سمعه وأفاده من جدته ومن معلميه في المدرسة ومن الأفلام الوثائقية التي شاهدها. ومن أمثلة ذلك قوله:

«مر النهار، وأنا أحدق بالآفاق الواسعة حولي، مغيب الشمس يعني عدة أشياء بالنسبة لي. منها الخوف والقلق والعتمة.. كان علي التفكير بإشعال النار.. جمعت الجذور اليابسة من نبتة الشيح. أتذكر جدتي كانت في الأيام القائظة تحرق الشيح وتبخر المنزل، تقول إن رائحته تطرد الثعابين والعقارب..» (ص: ٣٧).

كما نلحظ ذلك كذلك من خلال / اللغة التصويرية، التي نجدها مبثوثةً في مواطنَ كثيرةٍ من الرواية. ومن ذلك، على سبيل التمثيل، قوله: « ينمو الكمأ على شكل حبة البطاطا في الصحاري. انهمكتُ بالنبش قريباً من الرقروق حتى بزغتْ تلك الكريات اللحمية الملمس والرخوة. حوالي الساعة من الحفر المنتظم في تلك البقعة، كان لدي كمآت بأحجام متفاوتة، أصغرها بحجم حبة البندق، وأكبرها بحجم البرتقالة « (ص: ٣٦ _ ٣٧). وقوله: «الفرصة لا يمكن أن تفوت الثعلب، راقبته عن بعد، كان رشيقا كهبة ريح مفاجئة..» (ص: ٧٠). وقوله أيضا: «أيقظتني سهام شمس الصباح الحادة، قفزت من مكاني، وأنا أتذكر الليلة الماضية مثل كابوس..» (ص: ٧٩).

(٧)

وأخيراً، فإنّ رواية « البحث عن الصقر غنام « لمؤلّفتها لينا هويان الحسن من الأعمال الأدبية الناجحة فيما يقدّم إلى (فئة الناشئة)، سواء على مستوى المضمون أو الصياغة اللغوية والفنية. ويكفي أن يشار هاهنا إلى النقاط الآتية:

- طرافة الموضوع الذي يتناوله العمل، وهو (بيئة الصحراء العربية)، وذلك بالنظر إلى العديد من الأعمال الأدبية التي تقدّم إلى الفئة العمرية المستهدفة.
- وفرة ما يفيده المتلقي من المعلومات والخبرات الكثيرة التي تتصل بهذه البيئة ، على مستوى مكوناتها المختلفة وطبيعة العيش فيها .
- تكريس مفهوم الذكاء الذي يقوم على مبدأ (القدرة على التكيف).
- الدعوة إلى حماية الثروة الحيوانية من الانقراض، من خلال الدعوة إلى أن تمارس هذه الكائنات حياتها الفطرية، وتعيش في مواطنها الأصلية.
- تأسيس العمل على حكايةٍ ممتعةٍ، تقوم على خوض المغامرات اليومية، ومواجهة التحديات المختلفة.
- اللغة الغنية بعنصر التصوير، وأساليب التشويق والإثارة وشدّ انتباه المتلقي.
- المزج بين الشخصيات الإنسانية والحيوانية .

أما ما يمكن أنْ يسجّله الدارس على هذا العمل، فهو ورود بعض الأخطاء النحوية واللغوية والطباعية! ومن أبرز ما وقفتُ عليه:

- «تبعتُ الظلِّ» (ص: ٢٨). والصواب: الظلَّ.
- «وعدتُ وقد احترقت وجنتيَّ» (ص: ٣٦). والصواب: وجنتاي.
- «وليس بمقدوري المغامرة والنزول لوحدي» (ص: ٥٨). والصواب: وحدي. وهوخطأ شائع.

- «أو ينمو لي ذيلا أو مخالب» (ص: ٨٣). والصواب: ذيلٌ.
- «عن بعدْ، لمع بياض المهاة» (ص: ٦٠). والصواب: بعدٍ.
- «المكان كان فيه الكثير من الثعالب، فقد تناهى إلى سمعي نباحٌ متقطع..» (ص: ٧٣). والصواب: ضباحٌ، لأن النباح للكلاب، وليس للثعالب.
- «يقابلت أحد أبناء خالي» (ص: ١٣). والصواب: قابلتُ. وهو خطأ طباعي.
- «وإذا احتدمت الشمس، تستدري تحت صخرة» (ص: ٦٨). والصواب: تستذري، بمعنى تستتر. ولعله أن يكون خطأ طباعيا.
- «الذئاب قادرة على اجتياز مسافات شاسعة عن طريق الخبو بسرعة» (ص: ٧٦). والصواب: عن طريق الخبّ أو الخبب، وهو العدو.

وأيضـًا وجود بعض السلوكيات التي تتعارضُ مع القيم التربوية، كما نجد ذلك في قول الفتى، بطل القصة: « أمي لا تعرف أني هربتُ من المدرسة، لأجل مرافقة جدّتي إلى البادية « (ص: ٩). فهل كان ضروريا أن يقال: «هربتُ من المدرسة»؟! وهل حبّ المغامرة لا يكون إلا على حساب المؤسسة التربوية والتعليمية؟! أما كان يمكن أن تكون هذه المغامرة، مثلا، خلال العطلة المدرسية؟!

وقوله أيضا: «وقد وافقتْ [جدتي] على حضوري معها، لأني أخبرتها أن المدرسة قد أغلقت أبوابها. جدتي تصدقني في كل ما أقول» (ص: ١٠). وواضحٌ هاهنا تسويغ (الكذب)، وخاصّة إذا كان المستمع جاهلاً، أو ممن يثق بالمتكلم فيصدقه في كلّ ما يقول!!

«مصّاصو الحبر»

لإبراهيم فرغلي

(١)

تقعُ هذه الروايةُ، الصادرة طبعتها الأولى عن (دار شجرة، بالقاهرة، سنة ٢٠١٥)، في إطار رؤيةٍ فكريةٍ وفنيةٍ عامةٍ للكاتب المصريّ (إبراهيم فرغلي)، تحرصُ على نوعٍ من التعالق بين الواقعي والغرائبي، كما نجد ذلك في غير روايةٍ له، وقدٍ يشار هاهنا، على سبيل التمثيل، إلى روايته «أبناء الجبلاوي» ٢٠٠٩، التي تقوم على تخيّل اختفاء كتب نجيب محفوظ، وظهور شخصياته في عالم الحقيقة!!

ومن الأعمال الأدبية الأخرى للكاتب:

- باتجاه المآقي، مجموعة قصصية، ١٩٩٧.
- كهف الفراشات، رواية، ١٩٩٨.
- أشباح الحواس، مجموعة قصصية، ٢٠٠١.
- ابتسامات القديسين، رواية، ٢٠٠٤.
- جنّية في قارورة، رواية، ٢٠٠٦.
- مغامرة في مدينة الموتى، رواية للفتيان، ٢٠١٤.
- شامات الحسن، مجموعة قصصية، ٢٠١٤.

(٢)

«مصّاصو الحبر»: روايةٌ طويلةٌ، موجّهةٌ إلى (فئة الفتيان والفتيات). وقد جاءتْ في تصميمها وإخراجها الطباعيّ على شاكلة الأعمال القصصية والروائية التي تقدّم إلى فئة الكبار من القراء، ولعل مما يسجّل لها في هذا الجانب اشتمالها على بعض الرسوم التوضيحية (باللونين: الأبيض والأسود)، وخاصةً في مستهلّ فصولها، للدلالة على تطوّر الأحداث، وتوفير نوع من الاستراحة البصرية للمتلقي، بعد عناء القراءة والمتابعة، نظراً لطولِ الرواية وتشعبها .

تتناول هذه الرواية موضوع: الشغف بالعلم والمعرفة، وحبّ المغامرة والبحث والاكتشاف..

وقدعالج الكاتبُ هذا الموضوعَ من خلال حكايةٍ، أبطالها أربع شخصياتٍ، هي: ليلى وجودي ووليام ومازن، ولكل واحدٍ منهم اهتمامه المعرفيّ الخاصّ: فليلى تنزع إلى فنّ الكتابة، وجودي إلى الفلسفة، ووليام إلى العلم، ومازن إلى الاكتشاف.

تبدأ أحداثُ القصة حين تحور ليلى إلى دفترٍ لها لتقرأ قصةً كانت قد كتبتها، فتتفاجأ أن كل ما دونته قد اختفى ولا أثر له، وهنا تأخذ مع أصدقائها في التفكير العميق بهذا الأمر الغريب، فيحاول وليام، مثلا، تحليل مادة الحبر تحليلا كيميائيا (في مختبره الصغير) انطلاقا من فكرة الحبر السري، أما جودي فتحاول تفسير ذلك بتعرض الدفتر لهجوم من مصّاصي الحبر اعتمادا على بعض الكتب التي قرأتها حول هذا الموضوع العجيب. ثم تتطور الأحداث في هذا السياق عندما تنتوي مدرستهم القيام برحلةٍ علمية إلى فرنسا، فيقرر الأصدقاء الأربعة اهتبالها

فرصة للقاء الكاتب إنريك سان فوازان، مؤلف مجموعة كتب مصاصي الحبر، وسؤاله عن حقيقة هذه الكائنات. وفي أثناء هذه الرحلة، بطبيعة الحال، يزور الشباب أبرز معالم هذا البلد، ومن ذلك مثلا: متحف اللوفر، وكاتدرائية نوتردام، ومنزل الأديب فكتور هوجو، والمكتبة العامة..إلخ، كما زاروا مؤلف مجموعة مصاصي الحبر، الذي أخبرهم أن الفكرة ليست سوى مجرد خيال ولا وجود لهذه الكائنات، ومع هذا ظل الأصدقاء الأربعة يناقشون موضوع الكتابة المختفية نقاشا جادا يريدون أن يصلوا في شأنه إلى برد اليقين، وخاصة بعد أن قرأوا خبرا في الصحف الفرنسية يذكر تعرض عدد من المكتبات المصرية إلى اختفاء الكتابة في كثير من المصنفات والمؤلفات. ثم تتوالى الأحداث في رحلة البحث عن تفسير مقنع لهذه الظاهرة، حين يتبعون السيدة جي سي، إحدى مصاصات الحبر، وهم لا يعلمون، التي تصطحبهم تدريجيا إلى جزيرة الحبر السرية المدهشة بجمالها ونظافتها وتطورها وتحضرها، نتيجة إفادتهم من العلم والمعرفة عند البشر عن طريق امتصاص الحبر الذي كتبوه، إذ كان البشر بحسب مصاصي الحبر لم يفيدوا من المعرفة والعلم لأنهم وظفوا ذلك لأجل الحرب والدمار وليس لأجل الحضارة والعمارة والسلام.

وأخيراً، تنتهي الرواية عندما يذكر مصّاصو الحبر للأصدقاء الأربعة أنهم هم الذين سهلوا لهم هذه الزيارة لمملكة الحبر، طالبين منهم تعاونهم لمواجهة المتمردين والمنشقين من مصاصي الحبر، الذين يخططون لامتصاص كتابات الفراعنة في مصر، خلافا لما جرى الاتفاق عليه من ترك البشر وشأنهم وعدم معاودة امتصاص أحبارهم. وفعلا

يتم القضاء على هؤلاء المتمردين الأشرار من مصاصي الأحبار، ويكون للأصدقاء الأربعة دورٌ فاعل وكبير في ذلك النصر، حتى إن حبرات / أو السيدة جي سي بينت لهم «أن الدور الذي قاموا به كان حاسما في إنقاذ مدينتهم من ضياع تراثها، وأن لهم الحقّ أن يفخروا بما فعلوا» (ص: ٢٥٢).

فالرواية تقوم على فكرةٍ خيالية، وهي افتراض وجود كائناتٍ تعيش على امتصاص حبر الكتب والمؤلفات ، للإفادة من مخزونها العلميّ والثقافي، وهي ضربٌ من الخيال العلميّ، ولكنّ كثيرا مما كان خيالا علميا قد أصبح واقعا بالفعل، كالسفر إلى الفضاء مثلا، وغير ذلك. ويرتبط بهذه الفكرة ما شاهده الأصدقاء الأربعة من قدرة مصّاصي الحبر على قراءة الأفكار دون الحاجة إلى التخاطب والكلام، فضلا عما شاهدوه عندهم من تطور حضاريّ كبيرٍ فاق حضارة البشر، نظرا لأنّ البشر لم يتخذوا المعرفة لغاياتٍ إيجابيةٍ وسلمية، بل هم يستخدمونها في أكثر الأحيان لأجل الحربٍ والتدمير والاستعلاء في الأرض، كما لاحظ ذلك مصاصو الحبر!!

(٣)

من الواضح أنّ الرواية تكتسبُ أهميةً كبيرةً بالنظر إلى الموضوع التي تتناوله، والأهداف التي ترمي إليها، وهنا يمكن أنْ يشار إلى النقاط الآتية:

- يعزّز العملُ (الخيال العلميّ)، الذي سبق أنْ هيأ لغير قليلٍ من المنجزات العلمية والحضارية التي كانت تعدّ في السابقٍ من

الأحلام أو المعجزات التي لا طاقة للبشر في تحقيقها. ومن ذلك مثلا ما توصّل إليه مصّاصو الحبر من القدرة على التفاهم والتواصل من خلال (قراءة الأفكار) دون الحاجة إلى الكلام المنطوق / المسموع!!

- يقوّي العملُ في الشباب روحَ المغامرة والجرأة في البحث عن المعرفة والحقيقة، مهما كانت الجهود التي تبذل، والتضحيات التي تقدّم.
- يوضّح العملُ منهجَ البحث العلميّ، الذي يبدأ بالوقوف على المشكلة، ثم وضع الفرضيات والمقترحات، ثم الوصول إلى النتائج.
- يشجّع العملُ على ضرورة التعاون وتظافر الجهود، لأجل إيجاد الحلول المناسبة للمشكلات والظواهر المختلفة.
- يصحّح العملُ الرؤيةَ إلى الصغار والشباب، وأنّ بمقدورهم أن يفعلوا الكثير، لأجل مصلحة أوطانهم وخير البشرية عامة.
- يقدّم العملُ جمّـًا غفيراً من المعلومات عن بعض المنجزات التكنولوجية، والمؤلفات، والعلماء والكتّاب، والمواقع الأثرية والحضارية.

(٤)

وعلى الرغم من أنّ فكرة العمل الأساسيّة فكرةٌ علميةٌ، من حيث وجود مشكلةٍ، تحتاج إلى تفسيرٍ وحلّ، فإنّ معالجة ذلك لم تجرِ

على طريقة البحث العلميّ الجاف، بل كانتْ من خلال بناءٍ روائيّ ضخمٍ، مليء بالشخصيات المتنوّعة، والأحداث العجيبة، والمفاجآت المدهشة، والأجواء الخيالية والغرائبية..، إلى جانب المعارف العلميّة والتاريخيّة والقيم الفكريّة .

والواقع أنّ العملَ، بطوله وثرائه المعرفيّ والخياليّ وطاقة التحدّي لديه، مما يستهوي استهواء شديداً هذه الفئة / من الفتيان والفتيات، وهو من الأعمال الأدبية القليلة التي ترقى بمستوى المتلقي، وتستنفره ليكون في مستوى النصّ، (من الناحيتين: المضمونية والفنية)، إذ كان كثيرٌ من الأعمال التي تقدّم إلى هذه الفئة العمرية أقلّ من مستواها الإدراكي والثقافي ، وهي أعمالٌ لا تستهوي هذه الفئة، بل هي تنفر منها أشدّ النفور، لجنوحها في العادة إلى الأعمال التي تستوفز حواسها، وتتحدى تحصيلها العلميّ والثقافي.

ولعل أبرز ما يمكن أنْ يسجّل للنصّ هاهنا قدرته الفائقة على تقديم العلم والمعرفة من خلال هذا الأسلوب الممتع الذي يقوم على خوض المغامرات المثيرة، سواء على مستوى الواقع أو على مستوى الخيال، وهي مغامراتٌ مشدودٌ بعضها إلى بعض على نحوٍ أخّاذ، مما يجعل المتلقي حريصا على القراءة والمتابعة، للوصول مع شخصيات القصة الرئيسة إلى تفسير المعضلة التي قامت الرواية على أساسها ، وهي اختفاء الحبر من الكتب والمؤلفات، وهل هناك بالفعل كائنات تعيش على امتصاص الحبر وسرقة العلم والمعرفة التي يدوّنها البشر ؟!

(٥)

وقد جاءت الروايةُ مفعمةٌ بالصور الفنية المختلفة: الوصفية والإيحائية، التي من شأنها الإسهام في إيقاظ حواسّ المتلقي، وزيادة تفاعله مع النصّ. كما اهتمّتْ اهتماماً واضحاً بعنصر الحوار، (الخارجيّ والداخليّ)، حيث جاء عنصراً فاعلاً في الكشف عن أبعاد الشخصيات، وتطوير الأحداث، وإشاعة الروح والحيويّة في النصّ.

أما اللغة، فهي من السلامة بصورةٍ عامةٍ، ولكنْ ممّا يستغرب بحقّ ورود عدّة أخطاء لغوية ونحوية! ومن المعروف أنّ مثل هذه الأخطاء لا يجوز أنْ تقع في النصوص الأدبية، فضلاً عن أنْ يكون هذا النصّ موجّهاً إلى جمهور الأطفال أو الفتيان على وجه التحديد.

ومما يقف عليه القارئ من هذه الأخطاء ، على سبيل االتمثيل:

- «هما شقيقان توأم متشابهان» (ص: ١٧). والصواب: توأمان.
- «لا أعتقد أن لها وجود في هذا العالم» (ص: ٢٠). والصواب: وجوداً.
- «وأن هناك بالفعل مصاصو حبر» (ص: ١٢٦). والصواب: مصاصي.
- «يبدو أنكم مقتنعين بكلام صديقكم» (ص: ١٢٧). والصواب: مقتنعون.
- «المشكلة أنّ هناك دائما أشرار لا يرغبون في الخير» (ص: ١٨١). والصواب: أشراراً.

- «عيونه الأربعة» (ص: ٢١٥). والصواب: الأربع. وقد تكرر هذا الخطأ في غير ما موطن.
- «من ضعف بصر ثلاثة من عيونه» (ص: ٢٢٣). والصواب: ثلاث.
- «وعلى الرغم من ذلك بقت دليلا» (ص: ٢٤٥). والصواب: بقيت. (وهو خطأ طباعيّ).
- «شاهدوا بعده مصاص حبر عملاق» (ص: ٢٤٩). والصواب: عملاقا.
- «وأدركوا أن الساقطين على الأرض هما حبركي وحبرير، اللذين كانا يختفيان» (ص: ٢٥١). والصواب: اللذان.

(٦)

خلاصةُ القول إنّ روايـة «مصّاصو الحبر» عملٌ أدبـيٌّ يستحقّ القراءة..، إذ يحاول أنْ يرقى بالشباب العرب في هذه الأيام إلى مستوى أضرابهم في الدول المتحضّرة، وذلك بدعوتهم إلى أنْ يكونوا من روّاد العلم والمعرفة والبحث والاكتشاف..، بحيث يكون ذلك شغلهم الشاغل في ليلهم ونهارهم، لا يضنّون عليه بجهدٍ، ولا يبخلون بوقتٍ، وهم بذلك لا يخدمون أنفسهم أو ينفعون أوطانهم حسب، بل هم أيضا يخدمون الإنسانية، ويسهمون في سعادتها ورفاهيتها..

وهو لم يعمدْ إلى تأدية ذلك بطريقةٍ مباشرةٍ أو كلماتٍ عجلةٍ، بل اختار أنْ يؤدّي ذلك من خلال بناء روائيّ باذخٍ، يفهق بالشخصيّات المتنوّعة والأحداث المتشابكة والصراعات والتحدّيات المختلفة،

على المستويين: الواقعيّ والخياليّ، وكأنّ العمل على هذا النحو الذي اصطفاه من الأداء الفنيّ إنما يريد أن يصنع قرّاء بمستوى أبطاله من الشباب الأربعة الذين كان لهم دورٌ حاسمٌ في حفظ تراث أجدادهم من السرقة والضياع، وغزو متمرّدي مصّاصي الحبر، مما يرجع إلى إيمانهم العميق بقدراتهم الذاتية ، وذكائهم المتوقّد، وهممهم العالية، وشغفهم بالمعرفة.. والمغامرة لأجل الوصول إلى الحقيقة.

***

«مملكة القرود»

لبدر الحمداني

(١)

(بدر الحمداني)، كاتبٌ عُمانيّ، متنوّع النشاط الأدبيّ، يكتب للصّغار والكبار، على حدّ سواء. فمن أعماله في مجال أدب الأطفال والفتيان، على سبيل التمثيل:

- شريشة الهنا، مسرحية .
- نعيم الخرفان، مسرحية.
- الثور والبيدر، مسرحية.
- من أجل حياة أفضل، مسرحية.
- ماذا وراء الأكمة، قصة.
- الأطفال يحكمون بربزوم، رواية.
- مغامرات مردغان، رواية.

أما في مجال الكتابة للكبار، فيمكن الإلماع هاهنا إلى مسرحياته:

- تحت ظلال السماء.
- زفت الطين.

- رحلة الألف ميل.
- الرغيف الأسود.
- مواء القطة .. إلخ .

(٢)

«مملكة القرود»: روايةٌ طويلةٌ، تقع في (٢٦٢ صفحة) من القطع المتوسّط، صدرتْ طبعتها الأولى عن (مؤسسة الانتشار العربيّ، ببيروت، سنة ٢٠١٥)، وهي موجّهةٌ، كما تشير صفحة الغلاف الأماميّ للكتاب في سطرٍ فرعيّ ، إلى فئتين من القرّاء، هما: فئة الأطفال وفئة الناشئة. ولا شكّ أنها معادلةٌ ليستْ من السهولة ، ولكنّي أرى أن الكاتب نَجَحَ في تحقيق ذلك، فقد صيغت الرواية بطريقةٍ بارعةٍ ، بحيث تناسب جمهوراً واسعاً من القرّاء. ويكفي أنْ يشار هاهنا إلى ما يلي:

- علاقة التواصل الحميمة بين الأب الشاب (الكاتب المثقف) وابنه الطفل طارق الصغير (القارئ النهم، صاحب الخيال اللامحدود).
- تعويل الأب على طفله في إكمال مسيرته الإبداعية .
- المزج بين العالمين: الواقعيّ والخياليّ .
- المزج بين الشخصيات الإنسانية والحيوانية .
- الصراع بين الأخيار والأشرار .
- المغامرات المتنوّعة، والبطولات: الفردية والجماعية .
- المراوحة بين السرد والوصف والحوار .

- المراوحة بين الجُمل القصيرة والطويلة .

- لغتها التي جاءتْ من (السهل الممتنع)..إلخ .

(٣)

يتمحورُ موضوعُ هذه الرواية حول فاعليّة القراءة.. وطاقة الحلم والخيال والإبداع لدى الأطفال..، وقد جرتْ معالجة ذلك من خلال حكايةٍ، بطلها طفلٌ اسمُه (طارق الصغير)، يكون ابنًا وحيداً لأبيه، الذي كان كاتبًا ومثقفًا، وكان من الحرص على تثقيف ابنه باصطحابه معه دائما إلى المكتبة، وتشجيعه على القراءة من خلال مناقشته له فيما يقرأ، فنشأ طارقٌ قارئًا جاداً نهمًا، وكان بطبعه حالمًا ذا خيالٍ واسع، ينزع إلى العزلة والوحدة، ويؤثر صحبة الكتب على اللعب مع أترابه.

ومن الكتب التي كان يفترض أنْ يقرأها مع أبيه كتاب عنوانه «مملكة القرود»، ولكن الأب (الشاب) يموتُ قبل أنْ يكملا قراءة هذا العمل، فيرى طارق الصغير في المنام أن أباه زاره في البيت وقبّله وهو نائم، وقبل أنْ يتوارى طيفُه سمعه يقول له: هل أكملتَ قراءة كتاب مملكة القرود يا ولدي؟ فيؤثر هذا الحلم تأثيرا كبيرا في طارق، ففي الصباح يحفد إلى المكتبة العامة ويأخذ بقراءته ، وفي أثناء ذلك يظهر له فجأة قردٌ صغيرٌ اسمه (القرد نطاط)، فيخبره أنه طيفٌ من أطياف كتاب مملكة القرود، وأنه لا يراه إلا هو، لأنه طفلٌ واسع الخيال بخلاف الكبار الذين اضمحلّ خيالهم، ثم يخبره أنه جاء إليه بناء على وصية (صاحب الحكايات) أو مؤلف كتاب مملكة القرود (الذي هو نفسه والد طارق الصغير)، إذ قال له: ابحث عن طفل حالم اسمه طارق الصغير، فهو

القادر على إنقاذ مملكتكم من سوء أحوالها ومن الضباع الأشرار الذين يتربصون بها، فأنا قد كتبت عن ماضيكم المشرق فقط، أما ما آلت إليه أمور مملكتكم فهذا سيساعدكم به طارق الصغير. وقد دلّه صانع الحكايات على (شجرة أطياف الكتب) السحرية العملاقة، التي من خلالها يستطيع أن يتنقل بين العالم الحقيقي وعالم الحكايات.

وهكذا يلبّي طارق الصغير وينهد للقيام بهذه المهمّة الصعبة، مهمّة إنقاذ مملكة القرود مما حلّ بها في وقتها الراهن، لتتوالى الأحداث غبّ ذلك، وتتلاحق المغامرات التي يخوضها طارق الصغير(بصحبة: القرد نطاط ، الذي هو في الأصل ابن ملك مملكة القرود، وكان قد خرج بحثا عمن يساعدهم ويخلصهم من سوء أحوالهم، وصديقهما أرنوب الدبدوب، وهو أيضا واحدٌ من أطياف الكتب). ولكن المفاجأة تكون عند وصولهم المملكة، حيث يجدون الضباع الأشرار قد احتلوها وسجنوا سكانها حتى الملك والملكة، وهناك يجري القبض على الأصدقاء الثلاثة ويسجنون معهم، ولكنهم يصرون على الهروب لإنقاذ مملكة القرود من هؤلاء الأشرار، فيخططون وينجحون في ذلك، ثم يكون الفضل لذكاء طارق الصغير الذي يحاول أن يستغل بقايا جيش مملكة القرود المختبئ في الغابة لتحقيق الغاية التي خرج من أجلها، فيعمل أولا على إصلاحه من الداخل، وخاصة بعد أن فسدت منه الأخلاق وتفشت فيه أمراض كثيرة مدمرة، كالكذب والجاسوسية واللصوصية والظلم والنفاق..، وعندما يطمئن على سلامة جيشه من حيث حسن أخلاقهم وصدق انتمائهم وولائهم لوطنهم وأنهم قد أصبحوا على قلب قرد واحد، يخوض بهم معركة التحرير، فينتصرون

على عدوهم، ويحررون السجناء، ويعم الفرح والأمان..، ثم عن طريق شجرة أطياف الكتب يلتقي طارق الصغير مع أبيه في مملكة القرود، كما يجد العجوز حيزبون التي ذهبت تفتش عنه وقد عادت طفلة جميلة حالمة، ثم يذهب طارق لإحضار أمه إلى هذه المملكة السعيدة، ويتم اللقاء ويشيع الفرح ويحلق ثلاثتهم (طارق ووالـداه) كالعصافير في السماء، فيلوح القرود لهم بالتحية، شاكرين ومقدرين لطارق الصغير دوره العظيم في إنقاذ مملكتهم وإعادة الوحدة والسلام إلى ربوعها.

(٤)

لعل أبرز ما تسعى «مملكة القرود» إلى تأكيده هو دور القراءة الجادّة ودور الخيال الخصْب عند الأطفال والناشئة في صناعة الإبداع وتحقيق المعجزات التي لا يستطيع الكبار أن يحقّقوها. ويكفي أن يشار هنا إلى مقولة الرواية المحوريّة، وهي أنه (لا مستحيل في عالم الخيال)، التي نجدها تتكرر في غير ما موضع . فمما ورد على لسان القرد نطاط في حواره مع طارق الصغير: «أنتَ طفلٌ حالمٌ مليء بالخيال، ونحن أطياف الكتب لا يمكن لأي شخص أن يرانا في عالمكم إلا إذا كان خياله متحررا لا تحدّه حدودٌ.. نحن بحاجة إلى مساعدة خيالك لعالمنا الساكن في كتاب. نحن خيالٌ مدوّن في كتاب، ولن ينقذنا إلا خيالٌ آخر، خيال طفلٍ متقد لا حدود له. خيالٌ تكون فيه كل الاحتمالات ممكنة ولا يعترفُ بالمستحيل» (ص: ١٩). وبحسب أرنوب الدبدوب أحد أطياف الكتب، فإنه «في عالم الخيال الطفوليّ ليس هناك حدودٌ للممكن، ولا يوجد هناك مستحيلٌ» (ص: ٧٨) . وهذا ما صار يدركه أيضا طارق الصغير، «ففي عالم الخيال الطفوليّ لا مكان للمستحيل.

فها هو تتكشف له إمكانياتٌ جديدةٌ في كل يوم» (ص: ٧٨_ ٧٩) . وهو ما أكّده كذلك صانع الحكايات عندما أخبر القردَ الأمير نطاط أن طارق الصغير قادرٌ «بخياله الكبير أن ينقذ مملكة القرود من الخطر الذي يحيط بها ويعيد إلى سكانها شيئًا من فرحٍ وسلام صاروا في أمسّ الحاجة إليهما» (ص: ٦٩).

وممّا حرصت الرواية على تأكيده كذلك:

- أهمّية الإفادة من خبرات الوالدين، والاستماع إلى توجيهاتهم، والوفاء لهم، لحرصهم الشديد على تنشئة أبنائهم تنشئةً سليمةً، ليكونوا بعد ذلك عناصرَ فاعلةً، تسهم في صناعة مستقبلٍ زاهرٍ لمجتمعهم وأوطانهم (ص: ٧ – ٩).
- ضرورة إكمال قراءة الكتاب حتى النهاية، لحصول الفائدة المرجوة منه، فشجرة أطياف الكتب العجيبة لم تفتح أبوابها السحرية لطارق الصغير إلا بعد أنْ أكمل قراءة كتاب مملكة القرود (ص: ٦٩).
- حتميّة انتصار الخير على الشرّ في نهاية المطاف، ولكن لا ينتصر الخير بالأماني والنوم وإنما بالتضحيات التي يقدمها الأبطال الشجعان، وهو ما كان قد قرأه أرنوب الدبدوب في كثير من الحكايات في الكتب التي اطلع عليها (ص: ٩٨). ومما قرأه أيضا: أن يظل الإنسان متفائلا لا يقطع الأمل مهما ساءت الأحوال واسودّت الظروف (ص: ١٠٦) .
- أنْ يثقَ الإنسان بقدراته وإمكاناته الذاتية، فقد « كان طارق الصغير على يقين أنه لا يوجد هناك مستحيلٌ، وأن مسألة إنقاذ مملكة

القرود أمر ممكن بكل تأكيد. صحيح أنه لم يكن يعرف كيف سيتم إنقاذ مملكة القرود، لكنه كان واثقا بإمكانية ذلك في أعماق قلبه. كان موقنا من قدرته على صنع الكثير من المفاجآت تماما كما فاجأ صديقيه بقدرته على الطيران في الهواء كالعصافير»(ص: ١٢٤).

- أنْ يوقنَ الإنسان أنه ما دام ثمّة إرادة، فلا بدّ أن يكون هناك طريقة لتحقيق تلك الإرادة (ص: ١٣٠) .
- أنْ يحبّ الإنسان وطنه وأن يكون غيورا عليه، فلا يتركه دريئة لسهام الخراب، ولا يسلمه لأعدائه والطامعين فيه (ص: ١٥٠).
- أنّ الاعـتراف بالذنب فضيلةٌ، فعلى الإنسان أن يكون أوّابـًا إلى الحقّ، لا يتمادى في أخطائه وأخلاقه السيئة (ص: ١٦٠ – ١٦٥).
- أنّ النصرَ صبرُ ساعةٍ (ص: ٢٣٧ – ٢٣٨) .
- أنّ الحربَ خدعةٌ (ص: ٢٣٨ – ٢٣٩) ..إلخ.
- أنّ الأمة بأخلاقها الحسنة، فإنْ فسدتْ أخلاقها تفرّقت أيدي سبأ، ووهنتْ، وطمع بها الأعداء والغرباء (ص: ١٥٧).

(٥)

لا شكّ في أنّ الرواية تشكّلُ عملاً إبداعيـًا لافتـًا، سواء على مستوى المضمون أو الأداء اللغويّ والفني. ويكفي أنْ أشير هاهنا ، في ختام هذه الكلمة، إلى النقاط الآتية:

- أهمّية الموضوع االذي تتناوله الرواية، وهو إعداد جيلٍ جديدٍ، متسلّحٍ بالمعرفة والخيال المبدع الخلاق، يكون قادراً علىٰ التغيير

البنّاء، والنهوض بالأمة من كبوتها، وصناعة مستقبلها المشرق. (وهو ما يؤدّيه العمل في بعده الرمزي العام).

- معالجة الموضوع من خلال حكايةٍ ممتعة، مليئة بالأحداث العجائبية، والشخصيات الغريبة، والمغامرات المثيرة، والبطولات المدهشة..، تنتهي بانتصار الخير على الشرّ، وتحرير الوطن من المحتلّ الأشر، بعد الأخذ بأسباب النصر: من توحيد الجبهة الداخلية، وشحذ طاقتها وهمّتها، وتعزيز انتمائها إلى ذاتها ووطنها.

- حرص الرواية في خلال ذلك على تقديم غير قليلٍ من الخبرات والقيم المهمّة، سواء مما جاء عن طريق التجربةً أو عن طريق الكتب وقراءة الحكايات.

- فكرة (شجرة أطياف الكتب) السحرية الباذخة، التي تربط العالم الواقعي بعالم الحكايات عن طريق باب من نور، وهي شجرة تنبت تلقائيا في كل كتاب يحكي حكاية ما (ص: ٣٠). ويبدو أنها ترمز إلى فاعلية القراءة المركزة الواعية، وقدرتها على التوغل في عالم الحكايات، واستغلال إمكاناتها الخيالية .

- لغة الرواية التي جاءتْ تناسب شريحةً واسعةً من المتلقين، وجاءت خلواً من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية والطباعية، مما يكشف عن عنايةٍ فائقةٍ بهذا الجانب ووعي كبيرٍ به، لإخراج العمل في أصحّ صورة وأحسنها. فليس من شكّ أن أكثر ما يشوّه الأعمال الأدبية التي تقدّم في مجال هذا الحقل قلة العناية بهذا الجانب، أعني جانب (السلامة اللغوية والطباعية)، مما يضرّ كثيراً في فهم النص،

ويسهم في إرباك المتلقي، مع العلم أن تعليم اللغة الصحيحة يفترض أن يكون من الأهداف الأولية لهذه الأعمال.

***

«في بلاد الله الواسعة»

لبسمة الخطيب

(١)

(بسمة الخطيب) كاتبة وإعلاميةٌ لبنانية. تقع روايتها الحالية «في بلاد الله الواسعة»، الصادرة طبعتها الأولى عن (دار الآداب للنشر والتوزيع، ببيروت، سنة ٢٠١٧)، في إطار عناية المؤلفة بفنّ الحكايات الشعبية، ومحاولة استثمارها فنياً، سواء في تحويلها إلى الدراما التلفزيونية، أو إعادة صياغتها قصصاً وروايات.

من أهمّ نتاجها الأدبيّ، على سبيل التمثيل:

- دانتيل، مجموعة قصصية، دار الآداب، لبنان، ٢٠٠٥.
- شرفة بعيدة تنتظر، مجموعة قصصية، دار الآداب، لبنان، ٢٠٠٩.
- طريق الزهور البرية، قصة، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ٢٠١١.
- صندوق الأماني، سلسلة حول حقوق الطفل، دار أكاديميا، لبنان، ٢٠١٤.
- برتقال مرّ، رواية، دار الآداب، لبنان، ٢٠١٥.

(٢)

«في بلاد الله الواسعة»: روايةٌ موجهة إلى فئة الناشئة، تقع في (١٨٤ صفحة)، من القطع (١٤ × ٢١). يهدف العملُ إلى إبراز أهمية المحافظة على الموروث الحكائيّ الشعبيّ، وتشجيع الشباب على تدوين حكاياتهم وذكرياتهم الخاصة، حفظا لها من النسيان أو الضياع.

عالجت المؤلفة الخطيب هذا الموضوع من خلال حكايةٍ طويلة مسلية، يرويها الجدّ (إسماعيل) لحفيدته (تيماء)، ذات الثلاثة عشر عاما، إذ كانت أحبّ أحفاده إليه، لما لمس من تعلّقها بحكاياته وذكرياته، هذا فضلا عن اسمها الذي اختاره لها هو، وفاءً لموطنه الأصليّ تيماء، الواقعة في الجزء الشماليّ الغربيّ من الجزيرة العربية. يذكر (إسماعيل) لحفيدته أنه لما كان في مثل عمرها كان شغوفا بجمع الحكايات، وخاصة تلك التي يسمعها من عابري السبيل الذين يمرون ببلدته، وهو لم يكتف بذلك، وإنما راح يسافر لأجل جمع هذه الحكايات الجميلة: الحقيقية منها والخيالية، ولكنه اليوم في شيخوخته يخشى عليها من آفة النسيان، وخاصة حكايته الأهمّ التي لم يسبق أن سمعها منه أحدٌ، كما يقول، حتى (تيماء) التي تحفظ كل حكاياته، ومن هنا يأتي حرصه على أن يدعو حفيدته، ليقصّ عليها حكايته.

هذه الحكاية، بطبيعة الحال، هي حكاية (إسماعيل) نفسه مع فنّ الحكايات، كيف شغف بها، وكيف كان يرتحل لأجل جمعها، وكيف كانت الحكاياتُ الشعبية له ملهمة، والأسفار معلمة، وكيف كان في خلال ذلك يختلط لديه الواقع بالحلم، والحقيقة بالخيال.

تتلخص هذه الحكاية، التي يرويها (إسماعيل) عن نفسه، بضمير الغائب، بأنه كان فتى ابن أسرةٍ فقيرة، تعيش على مزرعة نخيل صغيرة بأرض تيماء الخصبة، فكان يعمل مع والده مزارعا، ولكنه كان يكره هذا العمل، إذ كانت أحلامُه أبعد..، فهو لا يتمنّى سوى أن يتاح له السفر والترحال لجمع الحكايات الغريبة، وخاصة بعد أن نضبت حكاياتُ عمته العجوز، وأقنعه (العطار الجوال) الذي التقاه أن الحكاياتِ كالعطور عليه أن يبحث عنها ويبذل في حبها كي تعطيه المقدار الدقيق من السعادة. ولكن كيف له أن يحقق أحلامه، ووالده في مسيس الحاجة إليه ليساعده في مزرعته؟ ولذا يظل (إسماعيل) ذلك الفتى الحالمَ إلى أن تهبّ ريحٌ سَموم، فتؤدّي إلى انتشار وباء يضرّ بالنخيل، مصدر رزقهم، ويفسد الواحات..، فيتذكر (إسماعيل) بداياتِ حكايةٍ روتها له عمته عن وباء يضرب بلدا بعيدا ويقضي على بستان! وينسى بقيتها، فيُهرع إلى عمته، ولكنها هي الأخرى لا تتذكر شيئا، وترى أن ما رآه حلمٌ، قطع نصف الطريق نحوهم، وعليهم أن يقطعوا النصف الآخر نحوه، وهكذا يعزم على الرحيل، واجدا هذه المرة عونا من أبيه، لعله يجلب لهم الدواء اللازم لشفاء النخيل. وبالفعل يحقق الفتى (إسماعيل) حلمه بالسفر، فيمضي تلقاء الجنوب متنقلا « في بلاد الله الواسعة »، من برّ وبحر، حتى يصل إلى الهند، فيجمع الجمّ الغفير من الحكايات الجديدة والغريبة، كحكاية دمية الصبر، وحكاية ابنة الرمان، وعمامة الراجا الهندي..، كما يعيش هو نفسه هذه الحكايات، وما فيها مغامرات ومفاجآت.

وأخيرا، يتمكن (إسماعيل) بذكائه من تفكيك خيوط حكاياته، بعد أن تشابكتْ وتعقّدتْ، وفي خلال ذلك يتهدّى إلى جزء الحكاية المفقود الذي سافر لأجله، وفيه الدواء الذي يبحث عنه، وهو ما وجده في حكاية الدرويش مع ابنة الرمان، حين قال لأمها: شفاء ابنتك والبستان في رماد الأغصان الذابلة، احرقيها واعجني رمادها ثم ادهني به جذوع النخل..، فتذكر (إسماعيل)، وسرعان ما راح يعدّ ذلك الرماد الشافي، ثم احتمل كيسين منه على دابته، وعاد إلى موطنه فرحًا، لتتعافى بذلك المزارع والواحات، ويعمّ الخير والرخاء.

(٣)

يلفت العملُ أنظارَ الناشئة إلى أهمية الحكايات الشعبية الشفوية، وضرورة المحافظة عليها، بجمعها من أفواه الرواة وتدوينها، إذ كانت مليئة بالحكم والقيم، والمعارف والتجارب الإنسانية، التي من شأنها أن تنوّر الدروب، وتوسّع من فضاءات الرؤية والخيال، فضلا عن دورها في الإمتاع والتسلية والمؤانسة.

كما يشجّع الناشئة على تدوين حكاياتهم وذكرياتهم الشخصية، لأهمية ذلك بالنسبة للأجيال اللاحقة، ليفيدوا منها، ويقطفوا ثمارها من الخبرات والعبر والدروس. وقد رأينا كيف كان (إسماعيل) من الحرص على عدم تلاشي حكايته الخاصة، حيث يقول لحفيدته: «دعوتك اليوم لأحكي لك حكاية ستحبّينها، لأنك لطالما طلبت الحكايات المتشعّبة، ولم تستهوك البسيطة، التي يتوقع الجميع نهايتها، ومصير أفرادها. أريدك أن تدوّنيها وتحفظيها من النسيان» (ص: ١٦).

وهي قصة ولعه بالحكايات، وذكرياته معها، مذ كان صغيرا، وأسفاره لأجل جمعها، وما أفاده منها في حياته وتعلّمه.

وقد جاء العمل مشحونا بالقصص والحكايات الشعبية الشفوية، التي جرى تفصيحها وتحويرها وتطويرها، وبذلك يتعلم القارئ/ الناشئ فنّ إعادة صياغة الحكايات والتداخل معها، مما يغذّي أخيلتهم، ويشحذ قدراتهم على اشتثمار معطيات هذا الموروث الذي يشكل مخزونا معرفيا وفنيا ضخما للتعبير عن رؤاهم وتجاربهم المعاصرة. ويكفي أن نوازن في هذا المجال، على سبيل التمثيل حسب، بين وجود قصة «دمية الصبر»، في الموروث الشعبي المحكي الخليجيّ، ووجودها في سياق هذا العمل، حيث نجدها تحتلّ مساحةً شادحة منه، كما نجد خيوطها تتشابك مع العديد من القصص والحكايات، على أنها في الأصل لا تجاوز سطورا معدودة.

(٤)

الرواية جدّ مشوقةٍ، وهي على طولها وتشعّبها قادرةٌ على الإمساك بقارئها حتى النهاية. تبدأ الرواية بإيقاظ الجدّ (إسماعيل) حفيدتَه (تيماء) من نومها الهانئ بشكلٍ مفاجئ، لأمرٍ جللٍ أهمّه.. وأقضّ مضجعه، وهو خوفه من نسيان ذكرياته، طالبا منها أن تُصيخ إليه، لتدوّنها وتحفظها من النسيان. ثمّ يأخذ (إسماعيل) بسرد هذه الذكريات، حيث يتولّى ذلك باستخدام ضمير الغائب، مستوعبةً أكثر من (١٥٠ صفحة).

وتمثل ذكريات (إسماعيل) حلمَه القديم بالخروج من بلدته الضيقة إلى «بلاد الله الواسعة»، حبًا بالأسفار وجمع الحكايات الغريبة، وهو

ما تحقق له عندما هبّت السَّموم وأفسد الوباءُ النخيل، وراح الجميع يفكرون بالدواء، إذ كان الحل عنده، في إحدى الحكايات التي سمعها ذات يوم، ولكن المفاجأة حين لا يتذكر القسم الأخير منها الذي يتضمن ذكر الدواء..، ومن هنا تتهيأ له أسباب السفر والخروج من بلدته، لتبدأ رحلته الطويلة الغنيّة في عالم الحكايات بحثا عن هذا الجزء المفقود من تلك الحكاية.

وهي رحلةٌ مسليةٌ، حيث يسافر القارئ مع (إسماعيل) من بلدٍ إلى بلدٍ، ومن حكايةٍ إلى حكايةٍ..، كما عليه مثله أن يحاول حلّ الخيوط المعقدة حين تتشابك القصص والحكايات، فيربط بين الأحداث والشخصيات المختلفة، وهكذا إلى نهاية هذه الرحلة، المليئة بالفوائد، والعجائب والغرائب، حيث يستطيع (إسماعيل) التهدّي إلى الجزء المفقود، الذي فيه الدواء الشافي، فيعود إلى أهله وديارِه، لتدبّ الروح فيهم من جديد، وتسري الحياة في كل عرقٍ وعود.

(٥)

يمكن أنْ نتبيّن جانبًا من جماليات النصّ الروائيّ من خلال النقاط الآتية:

- كتابة النصّ بلغةٍ سلسةٍ واضحةٍ، لا يجد القارئ / الناشئ فيها ما ينغّص عليه أو ينكّد.
- حِرْص المؤلفة في الحواشي على توضيح بعض الألفاظ الواردة، التي ترى أنها في حاجة إلى ذلك. (وأكثر ما نجد ذلك مما يتصل بقاموس الصحراء والبادية، كبعض الأماكن والأشجار والنباتات والملابس والأدوات.. إلخ).

- بناء العمل على أسلوب التداخل الحكائيّ. إذ تشكل حكاية (إسماعيل)، « في بلاد الله الواسعة»، بحثا عن جزء مفقود من حكاية..، «أمَّ الحكايات» (ص: ١٨٠)، كما انتهت إلى ذلك حفيدته (تيماء) بعد أن استمعتْ إليها، لما رأته من كثرة الحكايات في إطارها وتداخلاتها وتشابكاتها. وواضح أن هذا الأسلوب من الانسجام التام مع المقصد الأبرز للعمل، فضلا عن دوره في تنشيط القارئ وزيادة فضوله، وهو يرتحل مع بطله (إسماعيل) من مكان إلى مكان، ومن قصة إلى قصة..

- استخدام أسلوب الحوار، بنوعيه: الخارجيّ والداخليّ، إذ كثيراً ما جاء يتخلل السرد، مسهمـًا في الكشف عن طبيعة الشخصيات، وفي تطوير الأحداث ودفعها إلى الأمام. ومن ذلك: «أنصتت أم نحل، بكل جوارحها، إلى إسماعيل وهو يغني اللحن، ثم قالت: أصبتَ. هذه هدهدة جنوبية، غناء أم لصغيرها كي ينام. ولكنه لا يأتيك من مصدره، بل من شخص تائه مثلك يبحث عن بقية حكايته. إسماعيل: هل يمكن أن أجده؟ أم نحل: يجب أن تعبر غابة السّدر في قلب صحراء الربع الخالي. إسماعيل: أما من طريق أخرى؟ أم نحل: لا. الطرق الأخرى تؤخر الهلاك ولا تمنعه. إسماعيل: إذاً، كيف يمكنك مساعدتي؟ أم نحل: نحلي سيفعل ذلك. سيقودك في طريق الهالكين. قال إسماعيل بالعـًا ريقه: طريق الهالكين؟ أم نحل: لا تخف. لن تشعر بشيء. ستكون نائما، وهذا سينجيك..» (ص: ٦٣).

- توظيف العديد من الإشارات النصية: الدينية والأدبية والشعبية والأسطورية..، بشكل جليّ حينا وخفيّ حينا آخر، وهو ما يجعل القارئ دائما مستفزّا، وفي حالة من اليقظة الذهنية، والفاعلية الثقافية. ومن أمثلة ذلك «.. وجدت روحي في العطارة، كأنها كانت حبيسة قارورة في قعر البحر، لفظها الموج وفتحها صياد عاثر الحظ، من اختراع شهرزاد زوجة الملك شهريار في كتاب ألف ليلة وليلة»(ص: ٣٠). ومن ذلك كذلك «تذكر الكلامَ الذي لطالما كررته عمته: اسمعْ يا إسماعيل هذه الحكاية. اسمعْ حكاية اسمك. إسماعيل هبة الله لإبراهيم عليهما السلام. سمع الله من إبراهيم فوهب له إسماعيل بعد طول صبرٍ وحرمان. (اسمعْ! يا إسماعيل! اسمعْ!)، كرّر لنفسه» (ص: ٤٠).

- تقسيم النصّ، نظرا لطوله.. وتشعّب حكاياته، إلى عدة محطاتٍ، (١٣ محطة)، وكل محطة لها عنوانها الرئيس، الذي يتفرع عنه عدة عناوين. فتحت عنوان المحطة الأولى «الإنصات إلى الصمت»، مثلا، نطالع العناوين الفرعية الآتية: العمة التي عاشت طويلا، العطار الجوال، الفتى الحالم، أغنية بعيدة. وتحت عنوان المحطة الثانية «الحكاية المبتورة»، نطالع ما يلي: الوباء، أوان الرحيل، خاتم الوعد.. إلخ. وواضحٌ أن من شأن ذلك تقريب النصّ الروائي من القارئ / الناشئ ، وتسهيل عملية استيعابه ومتابعته.

(٦)

يسهم العمل في تنشيط خيال المتلقي / الناشئ وتوسيعه من خلال:

- حكاياته الغريبة والمتنوّعة، التي عاشها (إسماعيل)، وراح يسردها بوصفها جزءا من سيرته وذكرياته، حيث يصفها في مستهلّ حديثه بقوله: «بعض أحداثها حدث فعلا، والبقية حدثت في الخيال فقط.. والخيال أروع مكان للحكايات» (ص: ٢٣).

- فكرة السفر والترحال «في بلاد الله الوسعة» وعلاقتها بموضوع «جمع الحكايات»، التي هي ليست سوى خبرات الإنسان وتجاربه الحياتية، وأحلامه وتطلعاته وتأملاته. فها هو العطار الجوال، على سبيل التمثيل، يقول لـ (إسماعيل)، بعد أن أخبره أنه التقى عطارا مغربيا مسافرا إلى السند، وأعلمه أن ما يعرفه عن العطارة هو موجةٌ في محيطٍ..، «فقررتُ حينئذٍ أن أجوب بلاد الله الواسعة، لأعرف سرّ أسرار العطارة، أو جوهرة أسرارها» (ص: ٣١). وها هو حادي العيس، الذي سأله (إسماعيل)، بعد أن أصيب بالعمى: هل انقطعت عن الحداء؟ يجيبه بقوله: «أبدا. الحداء لا يحتاج إلى البصر. لكنني أسافر بين فترة وأخرى إلى سمرقند والهند وأصفهان، مبحرا في عباب بحر العرب، فأنا أحب البحر، وأعشق صوته وصوت الرياح والجبال، وصوت الأنهار والمطر. أنا يا ولدي، أسافر لأسمع العالم». أما (إسماعيل)، فيرد عليه بقوله «وأنا أسافر لأفهمه..» (ص: ٩٥).

***

"لم أكنْ أتوقّع"

لراشد عيسى

(١)

(راشد عيسى) أديب وباحث وأكاديمي أردنيّ، متنوّع الإبداع، غزير الإنتاج، يكتب للكبار والصغار، على حدّ سواء.

من أعماله الإبداعية في مجال الكتابة للطفل والناشئة، على سبيل التمثيل:

- ديوان «يا وطن»، ١٩٩١.
- ديوان «الديك القويّ»، ٢٠٠٣.
- ديوان «إلى الغد الجميل»، ٢٠٠٨.
- ديوان «رموز أردنية»، ٢٠٠٨.
- قصة «الهدية» ، ٢٠١٠.
- قصة «الشجرة الضاحكة»، ٢٠١٠.
- قصة «بيت الديك»، ٢٠١٠.
- رواية «واحدة تكفي»، ٢٠١١.
- قصة «حلم العودة»، ٢٠١٢.
- رواية «سلومين»، ٢٠١٥.

(٢)

«لم أكن أتوقع»: روايةٌ موجهةٌ إلى فئة الناشئة، تقع في (٧٩ صفحة)، من القطع (١٤ × ٢٢ سم)، صدرتْ طبعتها الأولى عن (دار دجلة، بالأردن، سنة ٢٠١٧). وهي تتناول موضوع تطوير الذات، وصناعة (الشخصية المبدعة / المؤثرة)، القادرة على تحقيق أحلامها المستقبلية الخاصة، والنهوض بمستوى بيئتها الاجتماعية، على الرغم من وعورة الدرب وكثرة المعوّقات .

عالج الكاتب راشد عيسى هذا الموضوع بتقديم نموذجٍ واقعيّ حيّ لهذه (الشخصية المبدعة..)، نجده في (سيرةِ) فتاةٍ استثنائيةٍ، استطاعت بذكائها وثقافتها الواسعة وإرادتها القوية أن تشق طريقها إلى النجاح والتفوّق، متخطيةً كلّ المصاعب والعقبات، إذ كان شعارها دائما « نهري لن يغير اتجاهه «. صاحبة هذه السيرة، التي ترويها لنا بنفسها، اسمها (دانة).. فتاة في الصف الأول الثانوي، لم تُؤتَ حظا من الجمال، تعيش حياة ملؤها النكد والحرمان مع زوجة أبيها الفظة (زهوة)، التي كانت تنظر إليها نظرة دونية، ولا تناديها إلا يا « سيرا «، تشبيها لها بخادمتها السيرالانكية. أما أبوها، فقد كان عبدا أو خادما عند أبي زهوة الذي كان قد زوّجه إياها لعيوب فيها، وأمره أن يرحل بعيدا عنه، وهو اليوم تاجر جوال في دول كثيرة، ولا يتاح (لدانة) أن تراه إلا كل شهر أو شهرين. في البيت كانت (دانة) تشغل معظم وقتها بالمطالعة، وخاصة مطالعة الكتب التى تُعنى بموضوع صناعة المستقبل، ومما اكتشفته حبّها الكبير اللغة العربية وآدابها، فراحت تتخذها أمـًا لها بدلاً من أمها التي ماتت وهي تلدها، كما علمتْ ذلك لاحقا، وقد أتاح لها هذا الحبّ

أن تنمّي شخصيتها، فتبادر إلى اختيار بعض القصائد الجميلة لتلقيها عبر الإذاعة المدرسية، مما جعلها معروفة بين زميلاتها ومعلماتها، وقد كان لقصيدة أبي ماضي « فلسفة الحياة « تأثير كبير في رفع معنوياتها، ونظرتها إلى ذاتها. كان لدى (دانة) أملان في حياتها، كما تقول: الأول صغير، وهو أن تغدوَ قاصةً مشهورة، والثاني كبير، وهو أن ترى الناس في البيوت والأسواق والمؤسسات وفي وسائط الاتصال الاجتماعي يتفاهمون بالعربية الفصيحة (ص: ٤٦). ولكنها تعرف أن الأمنيات لا تتحقق بمجرد الكلام، بل تحتاج إلى كدّ وتعب، وعزيمة وإصرار، ومن هنا راحت تجتهد في إغناء محصولها الأدبيّ والثقافيّ، بالتهام الكتب العربية والمترجمة، لأن « الموهبة وحدها لا تكفي»، كما قالت لها مديرة المدرسة ذات يوم (ص: ١٩). كما تجتهد في تجريب كتابة النصّ القصصيّ، إلى أن أصبحت متمكنةً من هذا الفن، مجيدةً له، وليس أدل على ذلك من فوزها بالمركز الأول في إحدى مسابقات القصة القصيرة على مستوى وزارة التعليم، وذلك عن قصتها «مكبّ الخردوات»، التي تجسد معاناة المشردين والمحرومين. أما على صعيد إحياء العربية الفصيحة، فقد كان لها اهتمام ظاهر بهذا الموضوع، حتى إنها استطاعت أن تقنع زميلاتها بحب العربية الفصيحة وممارستها وخاصة في حديثهن ورسائلهن في مواقع التواصل الالكترونية، وأن تؤثر في معلمات اللغة العربية في مدرستها، لتكون العربية همّا حقيقيا لهن، وأن تطور من منهاج تدريسها..، كما كان لمبادراتها ومشاريعها المتواصلة سواء في المدرسة أو خارجها أثر كبير في تحبيب العربية إلى الناس ورفع مكانتها، ليزداد ذلك بشكل جليّ عندما يفوّز والدها، وترث الملايين من تركته، فلا تبخل في دعم المشاريع والمراكز والجوائز التي تُعنى

بتنمية المواهب الأدبية، وملكة التحدّث بالفصيحة. تقول في ختام سيرتها: «صارت مكانتي بين الطالبات والمعلمات مرموقة.. المدرسة خلية نحل من الأنشطة اللامنهجية.. خطابات شكر متتالية للمديرة.. المسرح المدرسيّ على وشك الإنجاز الكامل.. موظفون كثر في مديرية التعليم والوزارة يعرفونني، أعجبوا بالنشرة نصف الشهرية التي تصدرها المدرسة لتغطي نشاطاتها وإبداعات الطالبات.. أنا رئيسة تحريرها.. الأيام تمرّ ونهري لا يغير اتجاهه. نجحت في امتحان الثانوية العامة بتفوق.. وها أنا البارحة قدمت أوراقي لقبولي في جامعتنا الوطنية في تخصص اللغة العربية.. سأجعل حبة قمحي حقلا.. سأفعل في الجامعة ما فعلته في المدرسة».

(٣)

مسألة بناء الذات وصناعة المستقبل..، من الموضوعات الأساسية التي تتناولها الأعمال الأدبية التي تخاطب فئة الناشئة والشباب، إذ كانت هذه المسألة من أكثر ما يشغلهم ويؤرّقهم في هذه المرحلة العمرية، لارتباطها بأهليتهم لدخول معترك الحياة، ونجاحهم في تحقيق طموحاتهم، وقدرتهم على إعلاء مكانتهم الاجتماعية.

ومن أظهر ما يفيده الناشئ ويتعلّمه في هذا الإطار:

- أنْ يكون له أهدافٌ وأحلامٌ في هذه الحياة، يسعى ويجتهدُ ويصابر..، لأجل تحقيقها والوصول إليها.. «تقدمي بأحلامك إلى الأمام.. لا تدعي أحدا يعرقل مشوارك نحو القمة.. العباقرة دائما غرباء في أوطانهم وبين أهليهم» (ص: ١٧). وأيضا «.. أحيانا أشعر بكيدهن

مني لأنني متفوقة في دراستي، غير أني لم أكن أهتم..، وكأنني نهرٌ لا تحول الجبال العالية دون بلوغه المصبّ.. كنت أعلم أن عليّ لكي أصل نهاية المرحلة الثانوية وأدخل الجامعة أن أصبر وأتساهى وأتغابى وأجامل» (ص: ٧).

- أنْ يكون دائما متفائلاً، مهما ادلهمّت الخطوبُ، وصار الدرب موحشـًا، لأهمية ذلك في زيادة الدافعية والفاعلية.

- أنْ يكون دائما معتداً بشخصيته، واثقـًا من إمكاناته وقدراته، مهما كانت أحواله ومستواه الاجتماعيّ.. «مثلك لا يهمّه كلام الحاسدات. هنّ لسنَ بِيضـًا، إنه المكياج وأنتِ وسيمة، ثقي بنفسك» (ص: ١٧). وأيضا «.. في داخلي قوة خفية تجعلني أعتدّ بنفسي وبإيماني بما سأنجزه في المستقبل. ليس بالضرورة أن يكون العبقريّ ابن أسرة غنية. العبقرية موهبةٌ خاصة يضعها الله فيمنْ يشاء من عباده فيرفعه، وإنْ كانت منزلته الاجتماعية وضيعة « (ص: ٢٤ – ٢٥) .

- أنْ يكون جريئـًا في الترجمة عن نفسه، وفي طرح آرائه وأنظاره الخاصة مع القدرة على الدفاع عنها وإقناع غيره بها.

- أنْ يقيم علاقاته مع الآخرين على أساس من المودة والتسامح، وتقبل الرأي المخالف، وعدم ردّ الإساءة بالإساءة.. «بقيت أفكر فيما حدث طيلة اليوم. ليس أنا من يردّ الإساءة بالإساءة. أنا التي تعوّدتُ أن أشفق على الآخرين كيف سمحت لنفسي أن أغيظها! في المساء اتصلت بصديقتي سمية الشابلي وأخبرتها بما حدث، ووضعنا خطةً تجمعني بزميلتي (الخصم) لنتصالح» (ص: ٥٠) .

- أنْ يكون صاحب مبادرات بناءة، تعود بالنفع على المجتمع عامة، وتسهم في إصلاحه وتطويره.. «حال رأتني [أي المديرة] أخذتني إلى حضنها وهي توجه كلامها إلى عدد من الأمهات الجالسات في مكتبها: دانة إحدى طالباتي المتميزات. قدمت لي منذ بداية العام الدراسي قائمة بمقترحات إيجابية لتطوير الشراكة التعليمية بين المدرسة والمجتمع، وها أنذا أنفذ المقترحات الواحد تلو الآخر. لدينا اليوم في الحصة الأخيرة محاضرة لأحد أساتذة الجامعة بعنوان (جماليات الخط العربيّ). وغدا محاضرة أخرى لأستاذة الأدب العربيّ في الجامعة بعنوان (الأدب والحياة)» (ص: ٤٩).
- أنّ الموهبة وحدها لا تكفي لصناعة أديبٍ متميّز، سواء أكان شاعراً أم قاصـًا أم مقاليـًا..، بل لا بدّ من صقلٍ هذه الموهبة وتطويرها من خلال زيادة المحصول الثقافيّ، وإدمان قراءة الأعمال الإبداعية والنقدية، العربية والعالمية، وذلك لشحذ القريحة، وتوسيع دائرة الرؤية، والوقوف على أساليب الكتّاب اللغوية والفنية، وأدواتهم التعبيرية والتأثيرية.

(٤)

جاءتْ طريقة السرد بأسلوب (السيرة الذاتية)، حيث تحكي لنا صاحبتها (دانة) قصة نجاحها وتفوّقها، وتمكّنها من تحقيق أحلامها المستقبلية، على الرغم من الظروف الصعبة التي عاشتها، بحكم انتماء أسرتها إلى طبقة اجتماعية وضيعة، وتشتّتها في الآفاق..، فضلاً عن قلة حظّها من الجمال، مما جعلها محطّ سخريةٍ من زوجة أبيها، وزميلاتها في المدرسة..، إذ استطاعت بذكائها المتوقّد وهمّتها العالية وإصرارها

القويّ أنْ تتغلّب على واقعها المرير، لتصنعَ مستقبلها، وتحقق تطلعاتها، وتتسنّم مكانة اجتماعية مرموقة .

وقد جاء العملُ مشحونـًا بالتفاصيل الكثيرة المثيرة..، التي تشدّ المتلقي، وتجعله يعيش بحواسّه ومشاعره تجربة البطلة / الناشئة، بكلّ ما فيها من صراعٍ ومفاجآت وتحوّلات وإنجازات.

(٥)

يتميّز النصّ بمستوى فنيّ، غنيّ بجمالياته، وأساليبه المتنوّعة، القادرة على اجتذاب المتلقي وإثارة حواسّه المختلفة. ومن أوضح ما يمكن أن يشار إليه هاهنا فيما يتعلّق بهذا الجانب ما يلي:

- بلاغة صيغة العنوان «لم أكنْ أتوقّع..»، القائمة على الحذف، مما يحرك فضول القارئ، لاستبانة هذا الشيء الذي لم يكن في الحسبان أن يحصل، ليكتشف لاحقا أن هذا الشيء كان نجاحات (دانة)، بطلة الرواية، خلال مسيرتها الحياتية. (ينظر مثلا، ص: ٤٦، ٦٦، ٦٨، ٧٩). وهو ما يقصد إليه المؤلف، ويريد إيصاله إلى متلقيه من الناشئة.

- استهلال العمل بنصّ شعريّ قصيرٍ، بتوقيع (دانة)، يلخّص الدرس المستفاد من سيرتها، وهو أن يكون الإنسان ذا شخصية إبداعية قوية، لا يعيقها شيءٌ عن تحقيق أحلامها وتطلعاتها المستقبلية. وهذا النصّ الذي يطالعه القارئ بديّا، ويحرك فضوله المعرفيّ، لا يتبيّن مناسبته إلا في آخر سطرين من الكتاب، حيث تقول (دانة): «لم أكن أتوقع أن نظرتي في المرآة ستنتهي بكتابة أول قصيدة في

حياتي.. أضعها على الصفحة الأولى من غلاف روايتي هذه..».

-استخدام تقنية / القرين، وقد تمثل ذلك باللقب (سيرا) الذي اطلقته على (دانة) استهانةً بها وسخريةً منها زوجةُ أبيها، تشبيها لها بخادمتها (السيرالانكية). فقد جعلت منه (دانة) حافزا لها على تطوير ذاتها، وصناعة نجوميتها، وذلك حين خلقت من شخصية (سيرا) قريناً إيجابياً لا يزايلها..، يحرص دائما على تشجيعها ودعمها النفسيّ، مما كان له أكبر الأثر فيما أنجزتْ وحققت.. «حاولتْ سيرا أن تغادرني إلى غير رجعة، لكني أقنعتها ببقائها معي، فلولاها لما خرجت دانة من محارتها المعتمة الضيقة.. نعم بعض ما نكرهه يؤدي إلى ما نحبه» (ص: ٧٩).

- استخدام تقنية / الحوار، بشقيه: الخارجيّ، والداخليّ. (وهو كثير على امتداد العمل).

- استخدام تقنية / الأحلام، بنوعيها، أحلام الكرى، وأحلام اليقظة. (ينظر، ص: ٩).

- استخدام تقنية / الرسائل الورقية. (ينظر، ص: ٦٢ - ٦٥).

- استخدام تقنية / الرسائل الالكترونية. (ص: ١٥ ــ ١٦).

- استخدام تقنية / الإذاعة المدرسية. (ص: ٤٤ ـ ٤٥).

- استخدام تقنية / المحاضرة العلمية. (ص: ١١).

- استخدام تقنية / التكرار. (ينظر مثلا، ص: ٣٦).

- استخدام تقنية / استدعاء الشخصيات والرموز التراثية، العربية والغربية. (ينظر مثلا، ص: ٢٥).

- استخدام تقنية / الاقتباس والتضمين، وخاصة من النصوص الأدبية: كالشعر، والقصص الأجنبية المترجمة، والنصوص الدينية: كالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف. (ينظر مثلا، ص: ١١، ٤٥ - ٤٦، ٥٠، ٥٢ - ٥٣ ، ٧٢).

- شحن النصّ بالصور الفنية، القائمة على التشبيه، والتشخيص، والتجسيد، وتبادل معطيات الحواسّ..، مما يجعل القارئ دائما في حالة من الانتباه والاحتشاد، فضلا عن دور ذلك في إرهاف ذائقته اللغوية والجمالية. (والأمثلة تكاد تكون في كلّ صفحة).

(٦)

جاء الإخراجُ الطباعيّ للكتاب يوائم الفئة العمرية التي يستهدفها، أي فئة الناشئة، ومن المعروف أن ما يقدّم لهذه الفئة يشبه إلى حدّ كبيرٍ ما يقدم لجمهور الكبار، إذ المعوّل عليه في المقام الأول هو الجانب اللغويّ، وليس الجانب البصريّ.

ومن أبرز ما يسجّل للعمل هنا تمييز لون أرضية الصفحات التي كتبت عليها قصة (دانة) التي جاءتْ تحت عنوان « مكبّ الخردوات»، وفازت من خلالها بجائزة وزارة التربية والتعليم، وكذا رسالة والدها إليها التي أعطاها إياها المحامي بعد وفاته، وفيها يكشف لها عن أهم محطات حياته وعن طبيعة الظروف التي ولدت هي في أثنائها، وذلك لأهمية ذينك النصّين في سياق تطوّر شخصية البطلة وسيرتها.

***

«المصباح والزجاجة»

لعمرو العادلي

(١)

(عمرو العادلي) كاتبٌ مصريّ، متخصّصٌ على مستوى الدراسة الجامعية في علم الاجتماع، وهو إلى ذلك أديبٌ، يكتب القصة والرواية، وأغلب نتاجه في هذا الحقل موجّهٌ لجمهور الكبار وليس الصغار.

يعدّ كتابه هذا «المصباح والزجاجة»، أول تجربةٍ له في مجال الكتابة للأطفال، وقد جاء موضوعه في نطاق تخصّص الكاتب العلميّ، كما سأوضّح ذلك بعد هنيهةٍ.

أصدر العادلي حتى الآن (٥ مجموعاتٍ قصصية)، هي:

- خبز أسود، ٢٠٠٨.
- جوابات للسماء، ٢٠٠٩.
- حكاية يوسف إدريس، ٢٠١٢.
- عالم فرانشي، ٢٠١٦.
- و، ٢٠١٧.

كما أصدر كذلك (٥ رواياتٍ)، هي:

- إغواء يوسف، ٢٠١١.

- كتالوج شندلر، ٢٠١٣.

- الزيارة، ٢٠١٤.

- رحلة العائلة غير المقدسة، ٢٠١٥.

- اسمي فاطمة، ٢٠١٧.

(٢)

يقع كتاب « المصباح والزجاجة»، الصادر عن (دار الرواق للنشر والتوزيع، بمصر، سنة ٢٠١٧)، في (١٠٧ صفحات) من القطع (١٧ × ٢٤ سم)، وهو موجّهٌ لجمهور(الأطفال والناشئة)، كما تفيد صفحة الغلاف الأمامية.

يهدف هذا العمل، بشكل أساسيّ، إلى تعزيز روح التصالح والتسامح بين فئات المجتمع، عن طريق التعارف، وتبديد الأوهام والأفكار النمطية المسبقة التي تنظر من خلالها كل فئة أو طبقة إلى غيرها من مكونات المجتمع الذي تعيش فيه، وخاصة بين الأغنياء والفقراء، ليكون مجتمعا آمنا، بعيدا عن العنف وأسبابه.

وقد عالج المؤلف هذا الموضوع من خلال نصّ روائيّ ماتع، مشحون بالمغامرات والمفاجآت..، والواقعيّ والمتخيّل..

يقدّم لنا العملُ حكايته من خلال شخصيتين رئيستين، هما: شخصية (شادي) ابن الحادية عشرة، الذي يسكن مع أبيه في شقة فخمة، ويعيش حياة ناعمة مرفهة، وشخصية (رزق) الذي يكبره بسنةٍ واحدةٍ، ويسكن في كوخ خشبيّ متهالك مع جدّه العجوز (زين) وعمته (راجية)، ويعيش حياة بائسة..، على الرغم من أنهما أبناء منطقة واحدة.

تبدأ أحداث الحكاية عندما تجمع الصداقة بين ذينك الغلامين، ويتزاوران..، فيرى كلٌّ منهما عند الآخر ما يفتقده في حياته أو يتوق إليه، فقد دهش (رزق) أيما دهَشٍ، على سبيل التمثيل، عندما دخل بيت (شادي) ورأى ما رأى من نعيمٍ الحياة وخفْضها (خمسة أحذية جديدة على مقاس شادي.. ملابسه النظيفة المرتبة، الكرافتات المقلمة المعقودة على الشماعات، رائحة العطر، لعب ملونة كثيرة، سجاجيد مفروشة، تلفزيون كبير، تكييف..)، حتى قال لصديقه (ص: ١٩): «قلتَ لي ذات مرةٍ إنك تشعر أحيانا بالوحدة. أليس كذلك..؟ أنا لا أصدقك يا شادي، أنت تكذب، فمن ذا الذي يكون عنده كل هذا النعيم ويشكو من الوحدة؟». وفي مقابل ذلك، يردّ (شادي) بقوله (ص: ٢٠ - ٢١): «لو كان لديّ جد مثل جدك زين يعلمني الكيمياء، ويدربني على خوض الحياة الحقيقية، وعمة مثل العمة راجية تطبخ لي ما أحبّ من طعام، لكانت حياتي بالطبع ستتحول إلى الأفضل... ليست لديّ الخبرة الكبيرة التي حصلتَ أنتَ عليها يا رزق، فخروجك كثيرا من البيت جعلك أنشط مني وأذكى أحيانا، تستطيع أن تواجه مشكلاتك الحقيقة بشجاعة أحسدك عليها، أما أنا فمحبوسٌ دائما في هذه الشقة الكبيرة».

ثم تتطور الأحداث عندما يرى (شادي) في كوخ (رزق) مصباحا أثريا في زجاجة، فيتذكر قصة كان قد قرأها وهو في الصف الخامس الابتدائي عنوانها «المصباح والزجاجة»، وكان (شادي) قرّاء للكتب والقصص، ولديه مكتبة كبيرة، فيذهب من فوره ليحضرها من بيته ليتبين حكاية ذلك المصباح، فيكتشف من خلال هذه القصة ارتباط

مصباح الزجاجة بالقدرة على تحقيق الأمنيات والأحلام، فيحاولان التجربة..، فيضع كلّ منهما يده عليه، ويتمنّى..، لتكون المفاجأة أن كل واحد منهما تمنّى أن يكون الآخر، وبالفعل يتحول (شادي) إلى (رزق) و(رزق) إلى (شادي)، ومن هنا يبدآن في خوض مغامرة صعبة، وخاصة عندما يتبادلان مكان السكن، بيد أنها كانت تجربة مفيدة، إذ اكتشف كلّ واحد منهما نظرة الآخر إليه، وأنها نظرة غير موضوعية، ولا تقوم على أساس من المعرفة الحقة، والظنّ الحسن. فقد سمع (رزق) مثلا من أبي شادي أن جده شرير، كما سمع (شادي) من الجد زين أن أباه سبب المصائب.

ثمّ يرجع الغلامان إلى حقيقتهما عن طريق مصباح الزجاجة نفسه، وقد ازدادت وتعمّقت الصداقة بينهما، ثمّ يصرّان على أن يتصالح ويتسامح كلّ من الجدّ زين وأبي شادي..، بل تحدث المصاهرة بينهما، إذ يعرض (شادي) على أبيه أن يفارق عزوبته التي استمرّت خمس سنوات بعد وفاة والدته، فيتزوج من العمة (راجية)، فتوافق على ذلك مباشرة دون أي شرط.

(٣)

يقدّم العملُ لقرائه، من (الأطفال والناشئة)، مضمونـًا اجتماعيـًا وتعليميـًا على قدرٍ كبيرٍ من الأهمية، ولعل ذلك يتضح من خلال النقاط الآتية:

- يدعو العمل إلى التعايش السلمي بين / الأغنياء والفقراء، من خلال تبديد عقدة الشكّ والخوف من الآخر، المعششة في النفوس دون

أساسٍ معرفيّ أو تجربةٍ مباشرة. ويكفي أن يشار، مثلا، (ص: ٩١ ــ ٩٣) إلى اعتقاد كل فئة أنها تخبئ الأسلحة لتقضيَ على الفئة الأخرى، وهو ما كان يعتقده الكبار (أبو شادي والجد زين)، مع أن الحقيقة التي كشفها الغلامان (شادي) و(رزق) خلاف ذلك. ومن هنا تتجلّى أهمية هذا الموضوع في بناء مجتمع، يسوده الأمن والسلام، والوفاق والوئام، ليكون قادرا على البقاء والعطاء.

- يؤكد العملُ فاعلية دور الشباب، وأن بمقدورهم أن ينوّروا مجتمعهم، وأن يغيّروا من معتقداته المتوارثة الخاطئة، ليصنعوا مستقبلا أفضل، وحياة أكثر أمنًا وازدهـارا. وهو ما راح يتمثل بالدور الذي أداه كلّ من (شادي) و(رزق)، على ما بينهما من تباين على المستويين: المادي والثقافيّ، إذ استطاعا من خلال صداقتهما وتعاونهما وتكاملهما أن يقدما خدمة كبيرة لمجتمعهم، تتمثل بإزالة القطيعة بين أفراده، وزرع بذور الودّ والتآلف والتكاتف .

- يبرز العملُ أهمية قراءة الكتب والحكايات في حياة الشباب، فقد رأينا كيف أفاد (شادي) من ذلك في صقل شخصيته، واتساع دائرة خبرته، وكيف تحول الخيال إلى واقع، عندما استطاع أن يربط بين مصباح الزجاجة الذي رآه في الكوخ وقصة كان قد قرأها تحت عنوان «المصباح والزجاجة»، ليكون من أثر ذلك تمكنه من تفعيل طاقة المصباح السحرية في تحقيق الأماني والأحلام، وهو ما نتج عنه في نهاية المطاف ظهور حقيقة الأغنياء للفقراء وحقيقة الفقراء للأغنياء، لتبدأ علاقة جديدة بينهم، أساسها المحبة والإخـاء، والتلاحم

والتعاون. وهو الأمر الذي لم يتحقق على يد (رزق)، الفتى الأميّ، على الرغم من وجود المصباح في كوخه، ويراه كل يوم.

-يشجع العملُ الشبابَ على إعمال فكرهم، وبذل جهودهم، والتعاون فيما بينهم، لأجل تحقيق أمنياتهم وأحلامهم، مهما بدت أنها مغرقة في الخيال، أو بعيدة المنال..، فقد كان (شادي) يتمنّى أن يتحول إلى (رزق)، وكان (رزق) يتمنّى أن يتحول إلى (شادي)، إذ كان كلّ منهما يبحث عما يفتقده في حياته، وكثيرا ما كانا يقولان « لو أن هناك اختراعا يحقق لنا الأحلام التي نحلم بها، لكانت الدنيا قد أصبحت أجمل بكثير»(ص: ٣٢). وقد تحقق ذلك عندما استطاع (شادي)، بمعونة (رزق)، أن يشغّل مصباح الزجاجة، ويفعّل طاقته السحرية .

- يحثّ العمل الشبابَ على استثمار أفكار الجدود، واستكمال منجزاتهم العلمية، وتحقيق أحلامهم التي لم يستطيعوا أن يحققوها..، فإذا كان (شادي)، بمساعدة (رزق)، قد استطاع أن يكمل اختراع الجد زين لمصباح الزجاجة، بتفعيل طاقته السحرية، فإن بعض اختراعات هذا العجوز الباقعة لا تزال في مسيس الحاجة لمن يكملها، ويحولها إلى اختراعات مفيدة، مثل (حجر الفلاسفة)، الذي يحول المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة، فقد وصل إلى أرذل العمر، وهو يحاول ويجرب، ولم ينجح في اكتشافه، ولكن قد ينجح غيره في ذلك، مستفيدا من ملاحظاته ومعادلاته التي دونها في دفتر خاص.

(٤)

تنتحي القصة بشكلٍ أساسيّ على أسلوب المفارقة التصويرية، حيث نطالع الصورة ونقيضها، من مثل: (الغنى / الفقر، الشقة / الكوخ، المتعلم / الأميّ، الحبيس / المنطلق، المكان المغلق / المكان المفتوح، النظام / الفوضى.. إلخ)، وهو أسلوب بلا شكّ من شأنه أن يعمق تينك الصورتين، كما يؤكد طبيعة الصراع بينهما..

وهكذا يظلّ القارئ مع النصّ في حالة من التوتر والاحتشاد، وهو يطالع ذلك ويتابعه..، إلى أن يصل إلى نهاية الحكاية، التي جاءت مفارقة لمبدأ التناقض والصراع، إذ يكتشف الغنيّ صورة الفقير على جليّتها، وأنها على خلاف ما كان يتوهّم، وكذا العكس، ليحلّ بعد ذلك الأمن والسكينة، وبذلك يحقق العمل أهدافه، ويبلّغ رسالته.

وممّا يسهم في زيادة جاذبية النصّ، وتفاعل المتلقي..، ما نجده في خلال ذلك من:

- المراوحة بين السرد والوصف والحوار.
- توظيف تقنية الأحلام بنوعيها: أحلام المنام، وأحلام اليقظة.
- البراعة في رسم الشخصيات، وإبراز ما يجول في أنفسها، وما يدور في أخلادها، وصناعة النموذج الإنسانيّ.
- الاهتمام بذكر أدق الجزئيات والتفاصيل، ووصف أصغر الأشياء..، مما يزيد من واقعية النصّ الروائيّ وحيويته، وقدرته على إثارة الحواسّ.

(٦)

يمتلك العمل قدرةً كبيرةً على تنشيط خيال الطفل، وتشجيعه على الابتكار والإبداع، ولعل ذلك يتجلّى على نحوٍ سافرٍ من خلال شخصية (زين)، العجوز القابع في كوخه، ويقضي معظم وقته في مجال الصناعة والاختراع، لا يكلّ ولا يملّ، في محاولة للإتيان بما لم تستطعه الأوائل. ويكفي أن يشار هنا إلى جهوده في اختراع «مصباح الزجاجة»، وإن كان عملا لم يكتمل على يديه، وكذا في اختراعه « عين الغزالة» (ص: ٧٩) التي يمكنها أن توقف مفعول المصباح، إذا تمنّى الإنسان شيئا، ثمّ اكتشف بعد ذلك أنه ليس خيرا، وهو يعدّه أهم شيء اخترعه طوال حياته التي أربتْ على السابعة والسبعين. هذا، فضلا عن الجهود المضنية التي بذلها في البحث عن «حجر الفلاسفة»(ص: ١٠٢) الذي يستطيع تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة، صحيح أنه لم يصل إلى نتيجة مرضية في هذا الموضوع، بيد أنه قطع أشواطا في ذلك، وبإمكان الجيل الشاب أن يبني عليها ويفيد منها، إذ كان على يقين من أن هذا الحجر سيكتشف في المستقبل ولا بدّ.

كما يتجلّى أيضا من خلال شخصية (شادي)، الغلام المثقف اللمّاح، الذي استطاع أن يربط بين مصباح الزجاجة الذي شاهده في كوخ الجد زين وقصة كان قد قرأها من مدة طويلة، تتناول هذا الموضوع، إذ لولا قراءته لتلك القصة، وقدرته على الفهم والتخيل، لما استطاع تنزيلها على الواقع، ولظل المصباح اختراعا ميتا لا فائدة منه.

(٧)

يفيد المؤلفُ في هذا العمل من قصة «علاء الدين والمصباح السحري»، الواردة في كتاب «ألف ليلة وليلة»، وخاصةً فيما يتعلّق بفكرة ارتباط المصباح بالقدرة على تحقيق الأماني والمطالب.

كما يفيد أيضًا من آية سورة النور في القرآن العظيم «الله نور السموات والأرض، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكبٌ دُرّي..». وذلك لربط عمل المصباح بنشر نور المعرفة والحقيقة، فهذا النور هو الذي أدّى إلى التسامح بين الميسور والفقير، إذ كان الجهل بالآخر، هو السبب الرئيس للكراهية، واستفحال حالة الخوف، والجنوح إلى خيار العنف. ومن هنا جاء الفصل الأخير في الرواية تحت عنوان «الشمس تشرق فوق رؤوس الجميع»، حيث يحصل التعارف، وتتجلى الحقيقة، فتزول الأحقاد، ويعمّ الصفاء والوداد. ومن المعروف أن سورة النور تعالج، بشكل أساسيّ، عددا من القضايا التي تحتاج إلى أدلّة وبينات وشهود، وإلا نشأ عن ذلك فسادٌ اجتماعيّ كبير، مثل قضية الزنى، وقذف المحصنات.

ولا ريب أن مثل هذا التداخل مع النصوص السابقة، من شأنه أن يوسّع من آفاق النصّ الروائي، ويغني دلالاته وإيحاءاته، مما يتطلب قارئا نشيطا، لا قارئا خاملا.

(٨)

جاءالعملُ على صعيد الطباعة والإخراج مراعيًا شريحته العريضة من القراء، حيث نجده يراوح بين ما يلائم القارئ / الطفل وما يلائم

القارئ / الناشئ، وحسبي هنا أن أومئ إلى النقاط الآتية:

-كتابة النصّ بخطّ واضح، مع التركيز باللون الأسود على بعض الجمل أو الفقرات المهمّة في سياق الحكاية.

- اشتمال العمل على بعض الرسوم الملونة، التي تقلل مساحة الكتابة في بعض الصفحات، مما يسهم في إراحة القارئ / الطفل قليلا، لينشط بعد ذلك للصفحات الآتية، ذات المساحة الأكبر من الكتابة، وهكذا دواليك.

- تقسيم الرواية إلى (٢١ فصلا)، مع وضع عنوان لكل فصل، لتوضيح موضوعه الرئيس، أو لإغراء القارئ بالمتابعة، على شاكلة العناوين: « أين رأى شادي المصباح والزجاجة» (ص: ٤٦) ، «عندما تصبح الحكاية حقيقية» (ص: ٥١)، «أنا هو أنت وأنت هو أنا» (ص: ٥٦)، «رزق في شقة شادي» (ص: ٦٣)، « شادي في الكوخ» (ص: ٦٧)، وغيرها.

(٩)

وفي الختام، لا بدّ من التنبيه هاهنا على ظاهرةٍ مؤسفةٍ في هذا العمل الأدبيّ، وهي ظاهرة تفشّي الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية!! إذ كان هذا الضرب من الأخطاء تحديداً مما يستهجن وقوعه أشدّ الاستهجان في الأعمال الأدبية، سواء أكانت هذه الأعمال مقدمةً للكبار أم للصغار. هذا، فضلا عن الجمّ الغفير من الأخطاء الطباعية.

ولو أردتُ أن أتتبّع كلّ هذه الأخطاء التي يجدها القارئ في النصّ الروائيّ وأصحّحها، لسوّدتُ صفحاتٍ طوالاً. ومن أمثلة ذلك:

- «يفتح دورج التسريحة» (ص: ٧). والصواب: درج.
- «لأن أبيه يكرره» (ص: ٨). والصواب: أباه.
- «لا يفتح إلا لنزول أبيه أو صعوده مرتين أو ثلاث فقط» (ص: ١١). والصواب: ثلاثا.
- «تعالى يا شادي» (ص: ١٣)، والصواب: تعالَ.
- «لا يزال يفكر في اختيار لونا آخر» (ص: ١٣). والصواب: لونٍ.
- «إنه صديقَه» (ص: ١٤). والصواب: صديقُه.
- «لِعَب ملونة» (ص: ١٩). والصواب: لُعَب.
- «مثل جدَّك» (ص: ٢٠). والصواب: جدِّك.
- «ينفّذْ ما يخطر بباله» (ص: ٢٨). والصواب: ينفّذُ.
- «حتى هُيأ له أن الجد زين..» (ص: ٣٧). والصواب: هُيئ.
- «لم أرها مطفأة أبداً» (ص: ٣٩). والصواب: قطّ، بدلا من أبدا.
- «شعر معه رزق أن النوم مستحيلا « (ص: ٧٢). والصواب: مستحيلٌ.
- «وقد وصل لسنّ لا يمكنني فيها أن أعصاه» (ص: ٨٤). والصواب: أعصيه.
- «يا راجية، هاتِ هذا السحلية» (ص: ٨٦). والصواب: هاتي هذه.
- «ولديّ سيفين خشبيين» (ص: ٨٨). والصواب: سيفان خشبيان.

***

«مصنع الذكريات»

لأحلام بشارات

(١)

«مصنع الذكريات» للكاتبة (أحلام بشارات): روايةٌ موجّهةٌ إلى فئة الناشئة من (١٥ – ١٨ سنة)، تقع في (١٢٥ صفحة)، من القطع (٢١ × ١٥ سم)، صدرتْ عن (دار السلوى للدراسات والنشر، بالأردن، سنة ٢٠١٨). وهي تهدف إلى حفز الناشئة على الاحتفاظ بذكريات الطفولة، دون أنْ يظلّوا أسرى للماضي وذكرياته.

عالجت المؤلفةُ بشارات هذا الموضوعَ من خلال حكايةٍ، بطلها ناشئٌ في الصف العاشر، اسمه (جابر)، يستبدّ به الإحساس بالوحدة منذ وفاة أمّه (غزالة)، ممّا جعله حريصاً على الاحتفاظ بذكرياتها في خياله، يقاوم بذلك فقْدَها في عالم الواقع، حتى صار بارعاً في صناعة ذكرياته عموماً، يتخيّلها هذه الذكريات قوالبَ معمولٍ، كتلك التي كانت تصنعها أمّه، فيعلّبها ويلفّها بورقٍ ملوّنٍ، ثمّ يحتفظ بها في صندوقٍ خاصّ، ليتناولَ منها بعد ذلك ما تحتاجه روحه كلّما أحسّتْ بالجوع (ص: ٤٨).

تتطوّر أحداث القصة حين يجتمع جابرٌ مع أصدقاء الدراسة (رافيا وعدلي ومنصور) تحت شجرة الخرّوب فوق قمّة جبل العاصور بين القدس والخليل، فيحدّثهم عن مصنعه الخاصّ، مصنع ذكرياته

الشخصيّة، بعد أنْ صار خبيراً بكيفية تخزين الذكريات ومقاومة النسيان والكوابيس، لتصبح الذكرياتُ بعد ذلك تحت الشجرة لعبتهم المفضّلة (ص:٦٩). ثمّ يتفرّق الأصدقاء، ولكنّهم يظلّون أوفياء لذكريات الطفولة المشتركة، كما تتعمّق لديهم أهمّية المحافظة على ذكرياتهم. أما جابرٌ / الشخصية المحورية، فعلى الرغم من أنه فتىً حالمٌ، ولديه مصنعه الخاصّ بذكرياته الشخصية..، فإنه لم يبق أسيراً لأحلامه وذكرياته، إذ أصرّ أنْ يعمل، في أثناء العطلة المدرسية، مع أبيه في البناء، وهو عملٌ شاقّ، سرعان ما أدرك معه كيف يشقى أبوه لتأمين لقمة العيش لعائلته، كما صار فرحـًا بالنقود التي يتقاضاها من أبيه مقابل عمله معه. يقول: «طلبتُ من أبي أنْ يأخذني معه إلى ورشة البناء. تذكّرتُ عندما حدّثنا الأستاذ عن البطالة. قلتُ لأبي: لا أريد أنْ أكون عاطلاً عن العمل.. قال بتلعثم: لماذا تريد أنْ تترك المدرسة؟ قلتُ له مستغربـًا: من قال ذلك؟ لا أفكّر في ذلك أبداً. أريد مساعدتك، هذا أولاً، وثانيـًا أين الخطأ لو تعلّمتُ مهنةً إلى جانب دراستي؟ تدخّل جدّي: اعتبرْه عاملاً عندك، وأعطه أجرته. اجعلْ (جابر) يحسّ بقيمة القرش.. فرحتُ، سيصير معي لأول مرةٍ نقودٌ من عرق جبيني. سكتّ وتركتُ جدّي يتحدّث عوضـًا عنّي. سرعان ما اقتنع أبي، فوجدتُ نفسي في اليوم التالي فوق السطح على ارتفاع طبقتين، لا أرقبُ النجومَ، ولا أعدّ أقمار الكواكب كما كنتُ أفعل سابقـًا، بل أنقل الأخشاب، وأسحب بالبكرة دِلاء الرمل» (ص:١٠١ – ١٠٢). ويقول: «هذا العام، كلّ شيء بدا مختلفـًا. شعرتُ بأن الحياة بـدأتْ تفتح لي أبوابها، وتكشف لي عن وجها الحقيقيّ، صار لي أصدقاء جددٌ من الناس العاديين، عمّالٌ يتعبون،

أتحدّث معهم عن الخشب والباطون.. حملنا الرملَ، وعرقْنا، وعطشْنا، وجعْنا معًا، ومعًا حلمْنا أنْ نرجع إلى بيوتنا مبكّرين كي نرتاح، صار للبيت طعمٌ آخر» (ص:١٠٦).

(٢)

تحاول الرواية أنْ تهيّئ الناشئ لانتقاله إلى مرحلةٍ جديدةٍ، تختلفُ عن المرحلة السابقة، مرحلة الطفولة، التي هو على وشك مزايلتها..، وهذه المرحلة الجديدة هي مرحلة النضج والإحساس بالمسؤولية والانغماس في الواقع والتولّج في الحياة العامة، وهو انتقالٌ يحتاج إلى أنْ يكون الناشئُ على وعيٍ عميقٍ بتطوّر الزمن، فلا يظلّ أسير الماضي الذي ذَهَبَ، ولا يتنكّر له في الوقت عينه، بل يفيدُ منه لأجل حاضره ومستقبله، ولا ريب أنها معادلةٌ صعبةٌ، ومن الأهمّية أنْ يعيَها الناشئُ حاقّ وعيها، ليسير قدمًا في حياته، وإلا تحوّل تعلّقه بالماضي إلى حالةٍ مرضيةٍ آسرةٍ، لا يستطيع الفكاك من أغلالها، ليعيش بعد ذلك حياةً من الاختلال والاضطراب.

تقدّم الروايةُ شخصيةَ جابرٍ / بطلِها، أنموذجًا ناجحًا للوعي بهذه المسألة الحسّاسة في إطار المرحلة العمرية المستهدفة، فالإنسان، فيما يرى جابرٌ، في حواره مع صديقه منصور: «يعيش بين الماضي الذي يصير ذكرياتٍ بمجرّدِ إغلاقه لبابه، وبين الحاضر الذي يقضيه في واقعٍ يقاوم فيه كي يعيش. يحتاج الإنسان لخلاصة الماضي كي يعيش بها الحاضرَ وحتى تمنحه القوة لأجل أحلام يتمنّى تحقّقها في المستقبل» (ص:٦٤). ويقول جابرٌ في سياقٍ آخر: «تعلّمتُ من جدّي أنّ عيشنا

للحاضر لا يعني أنْ نخونَ الماضي، وأنّ فرحنا لا يعني أننا فقدْنا حزننا على مَنْ فقدناهم» (ص:٨٠).

فعلى الرغم من إدراك جابرٍ أهمية الذكريات التي راح يتفنّنُ بكيفية الاحتفاظ بها لكي لا يعدوَها النسيان، ذكرياتِ أمّه التي ماتتْ وأفراد عائلته وأصدقاء الطفولة من أيام الروضة، فإنّ ذلك لم يحلْ دون مواجهته واقع الحياة، وخوض غمارها..، ليتعرّف إلى وجوهٍ أخرى لهذه الحياة غير التي كان يعرفها، وإلى أصنافٍ أخرى من الناس غير التي كان يألفها، وذلك حين أصرّ في أثناء الإجازة أن يجرّبَ العمل مع أبيه في ورش البناء، ليكتشف بعد ذلك أنّ توفير أسباب العيش ليس سهلاً، بل هو قرين التعب والجهد والمشقة. يقول: «.. هذا العام، كلّ شيءٍ بدا مختلفاً. شعرتُ بأنّ الحياة بدأتْ تفتح لي أبوابها، وتكشف لي عن وجهها الحقيقيّ، صار لي أصدقاء جُددٌ من الناس العاديين، عمّالٌ يتعبون، أتحدّث معهم عن الخشب والباطون والأعمدة التي تحمل البيوتَ. حملنا الرملَ، وعرقْنا، وعطشْنا، وجعْنا معاً، ومعاً حلمْنا أنْ نرجع إلى بيوتنا مبكّرين كي نرتاح، صار للبيت طعمٌ آخر» (ص:١٠٦).

(٣)

جاء السردُ على لسان بطلها / جابرٍ، الذي يحاول العملُ أنْ يقدّمه، بوصفه أنموذجاً للفكرة الرئيسة التي يُريغ إيصالها، وتتعلّق بضبط العلاقة بين ماضي الطفولة وذكرياتها، والحاضر والمستقبل. ولا شكّ أنّ السردَ هنا بضمير المتكلّم من شأنه أنْ يجعل المتلقّي أكثر تفاعلاً مع

النصّ، وربّتما يصل الأمرُ إلى أنْ يتخيّل أنه هو جابرٌ نفسه، الذي يروي حكايته مع الذكريات. هذا، وقد أحسنت المؤلفة حين راحتْ تقسّم النصّ إلى أجزاءٍ مرقّمةٍ من (١ – ٢٤)، ولكلّ جزءٍ عنوانه الخاصّ (١- الأغنية، ٢- الطباع، ٣- ميزان معلّق بسلسلةٍ تلمع، ٤- فم الشمس، ٥- ذكرى واحدة عن الطيران، ٦- حراس درب التبّانة، ٧- حصة الفنّ، ٨- أخي صافي، ٩- مصنع الذكريات..إلخ)، مما يسهّل عملية متابعة خيوط الحكاية، وربط بعضها ببعضٍ، إذ كان العمل مليئاً بالشخصيات المتنوّعة، والأحداث المتشابكة، التي تتطلب أنْ يكون المتلقي على ذُكْرٍ دائماً من خطّ سيرها وحركتها حتى النهاية.

(٤)

أما على المستوى اللغويّ والفنيّ، فيمكن التنويه هنا بالنقاط الآتية:

- كتابة النصّ الروائيّ بلغةٍ رصينةٍ، تلائم مستويات الفئة المستهدفة: القاموسية والإدراكية.

- المزج بين الأحداث الواقعيّة والغرائبيّة في النصّ، حيث نطالع: «نبتتْ.. رأيناها بأمّ أعيننا.. وردةٌ من بذرة أمسكتها رافيا وحملتها في باطن يدها.. نبتت على شكل قلبٍ. خرج منها ساقٌ وذهب إلى الأعلى. كدنا نكذّب أعيننا، لكنه ظلّ يمتدّ، ومن جانبيه تدلّتْ أغصانٌ بقلوبٍ صغيرةٍ كثيرةٍ، كلّما امتدّ الساق إلى أعلى، زاد عددُ الأغصان وزاد عددُ القلوب. ثقلت الوردة على يد رافيا، فأنزلتْ بذرتها مكانها، ودسّتها في الأرض. وقرفصنا، ثلاثتنا، قرب ساقها الذي كبر حتى صار أكبر من جذع شجرة الخرّوب، وظلّ يعلو

ويعلو وهو يمضي باتجاه شمس أيلول. سألَنا عدلي ونحن نناوله الذكريات الخمس التي أخرجناها من بطن الأرض: أيّ ذكرى كانت تلك الذكرى؟ فقلنا له بصوتٍ واحدٍ: الذكرى التي خبّأها عاطف. ابتسمَ عدلي وقال: أذكرها جيداً. إنها ذكرى الحبّ. قالب معمولٍ لونه أحمر» (ص:١٢٤).

-التنوّع في استخدام الشخصيات، حيث نجد إلى جانب الشخصيات الإنسانية (جابر، ورافيا، وعدلي، ومنصور..)، شخصيةً حيوانيةً،هي شخصية الكلب (صافي)، الذي كان له دوره في لعبة الذكريات. (انظر، ص: ٩٦ – ٩٧).

-تعدّد تقنيات السرد في إطار القصّ بضمير المتكلّم، (الذكريات، الأحلام، الرسائل الهاتفية، الأخبار..). حيث نطالع مثلاً: «ظللتُ أتذكّرُ جملةً قالتها عمّتي عندما جاءتْ لزيارتنا من ألمانيا: فكّرْ جيّداً قبل أنْ تقول كلمةً واحدةً.. يومها احتدّ النقاشُ مع زوجة أبي، فرفعتُ صوتي، لطالما قال لي أبي: لا ترفعْ صوتك في وجه خالتك» (ص:١٧). وأيضـًا: «بعثتْ رافيا إليّ برسالةٍ على الهاتف كتبتْ فيها: تعالَ، لاقني تحت شجرة الخرّوب بعد ساعةٍ. إذا لم تجدْني.. معنى ذلك أنّ الخطة قد تغيّرتْ، وسأرسل لك رسالةً ثانيةً أحدّد فيها المكانَ والزمان» (ص:٢١).

- استخدام أسلوب الحوار، بشقّيه: الخارجيّ والداخليّ. ومن أمثلة ذلك: «سألوني مستغربين: عن أيّ كلام تتحدّث؟ قلتُ لهم: أيّ كلام أقوله لأيّ أحدٍ، يجبُ أنْ يكون بمعيارٍ! ضحك عدلي وقال: ما علَيك سوى أنْ تُحضر ميزانـًا. فكّرتُ في ميزان رافيا الذي يتدلّى

من سلسلةٍ تلمع، أقبضُ عليه، فأستطيع أنْ أملك نفسي. قلتُ لهم: الميزان ضروريّ لوزن الكلام.. قاطعني عدلي متسائلاً: ولكنك لم تجبْنا على سؤالنا..» (ص:٣٤).

- توظيف الموروث، من أحاديثَ نبويةٍ (ص: ١٨)، وأقوالٍ للصحابة (ص:٩٠)، وأمثالٍ شعبيةٍ (ص:٥٨).

- استخدام الصور الفنية، التي من شأنها تنشيط خيال الطفل وإيقاظ حواسّه المختلفة، حيث نقرأ مثلاً: «انهال عليّ صوت رافيا مثل عصـًا غليظةٍ»(ص:٢٢). وأيضـًا: «فلمحتُ الأيامَ تمضي في عينيها مثلَ خرافٍ تسرحُ على رأس جبلٍ» (ص١١٢). كما نقرأ: «الأفكار الحزينة» (ص:٧٣). وكذلك: «.. كي لا نجرح الذكريات» (ص:١٢٢)..إلخ.

- وأخيراً، إخراج الصورة الورقية للعمل وَفْق معايير طباعة الكتب الموجّهة لفئة الناشئة. وممّا يلفت هاهنا: ورقه الأصفر الذي يتناسب مع فكرته وعنوانه «مصنع الذكريات»، وتقسيمه إلى أجزاءٍ مرقّمةٍ ومعنونةٍ لتسهيل مطالعته ومتابعته، وكذا غلافه الملوّن الذي يحتضنُ لوحةً جميلةً دالةً تصوّر انغراس شجرةٍ الخروب في رأس جابرٍ حاملةً أغصانُها ذكرياتِهِ وذكريات أصدقائه.

***

الفِهْرس

الإهداء	٥
المقدمة	٧
القسم الأول: قراءة في نماذجَ (قصصية)	**١١**
– «عيد في إبريق»، لنوف عبد الله العصيمي	١٣
– «البطاقة العجيبة»، لسمر محفوظ برّاج	١٩
– «طائر الوروار»، لحسن عبدالله	٢٥
– «ورقة القيقب الحمراء»، لفاطمة شرف الدين	٣٣
– «الحقيبة العجيبة»، لأميمة عزّ الدين	٤١
– «بلا قبّعة»، للطيفة بطي	٤٧
– «حفلة شاي في قصر سندريلا»، لأروى داود خميّس	٦١
– «المنزل الأزرق»، لسماح أبو بكر عزّت	٧١
– «قصر الأميرة بُهرج»، لأحلام بشارات	٧٩
– «العملاق العملاق هنا وهناك»، لرانيا زغير	٨٣
– «الدينوراف»، لحصّة المهيري	٨٩
– «مَنْ لبس ثياب سنجوب»، لسلمى عطا الله	٩٧
– «مغامرة عجيبة غريبة»، لتغريد النجار	١٠٣
– «حور تشرب الشاي مع القمر» لجمال بو طيب	١١١
– «معطفي القرمزي»، لحصة جوعان المرزوقي	١١٩

- «أنا لست أنت»، لجيكر خورشيد ١٢٥
- «النور ينتظرك»، لشمّا بنت محمد بن خالد آل نهيان ١٣١
- «أحلم أن أكون خلّاط إسمنت»، لحسين مطوع ١٣٧
- «سرّ على دفتر ساري»، لرانيا زبيب ضاهر ١٤٥
- «رجل من بلاد الصين»، لأمامة اللواتي ١٥١
- «حلم صغير»، لإبراهيم سند ١٥٩
- «بابا نؤيل من بغداد»، لرغد عدّاي ١٦٧
- «الفتاة الليلكية»، لابتسام بركات ١٧٥
- «نزهتي العجيبة مع العم سالم»، لنادية النجار ١٨١

القسم الثاني: قراءة في نماذجَ (روائية) **١٨٩**

- «البحث عن الصقر غنّام»، للينا هويان الحسن ١٩١
- «مصّاصو الحبر»، لإبراهيم فرغلي ٢٠١
- «مملكة القرود»، لبدر الحمداني ٢١١
- «في بلاد الله الواسعة»، لبسمة الخطيب ٢٢١
- «لم أكنْ أتوقّع»، لراشد عيسى ٢٣١
- «المصباح والزجاجة»، لعمرو العادلي ٢٤١
- «مصنع الذكريات»، لأحلام بشارات ٢٥٣

إبراهيم الكوفحي

* شاعر وناقد ومحقق وأستاذ جامعيّ أردنيّ.
* ولد في مدينة إربد سنة ١٩٦٧، وفي مدارسها تلقّى تعليمه الابتدائيّ والإعـداديّ والثانويّ، ثمّ التحق بجامعتها الأم (جامعة اليرموك)، فحصل على شهادة (البكالوريوس) في اللغة العربيّة وآدابها سنة ١٩٨٩، ثم شهادة (الماجستير) في تخصّص (الأدب والنقد) سنة ١٩٩٢. بعد ذلك التحق بآداب الجامعة الأردنية في العاصمة عمّان، ونال منها شهادة (الدكتوراة) في التخصّص نفسه سنة ١٩٩٨.
* عضو رابطة الكتّاب الأردنيين.
* عضو الاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب.
* عضو اتحاد كتّاب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.
* ولي التدريس في عدّة جامعاتٍ أردنيةٍ وعربيةٍ (خليجية).
* أحيا كثيراً من اللقاءات والأمسيات الشعرية في الوطن العربي.
* شارك في العديد من الندوات والمؤتمرات العلميّة الدوليّة.
* فاز بجائزة اللجنة الوطنية العليا لإعلان عمّان عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٢، في (مسابقة التأليف والنشر/ حقل السير والمذكرات والرحلات).
* يعمل حاليـاً: رئيسـاً لقسم اللغة العربية وآدابها، في الجامعة الأردنية بعمّان.
* **من كتبه المنشورة :**

- مصطفى صادق الرافعي: الناقد والموقف، دار البشير، عمّان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- محمود محمد شاكر: سيرته الأدبية ومنهجه النقدي، دار البشير، عمّان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م . ومكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠٨ .

- شعيب الأرنـؤوط: جوانب من سيرته وجهوده في تحقيق الـتراث، دار البشير، عمّان، ٢٠٠٢م (من إصـدارات اللجنة الوطنية العليا لإعلان عمّان عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٢م).
- شعر عبدالمنعم الرفاعي، (جمع وتحقيق)، الشركة الجديدة للطباعة والتجليد، عمّان، ٢٠٠٣م.
- مرايا وظلال: قراءات ومراجعات نقدية، منشورات وزارة الثقافة، عمّان، ٢٠٠٥م، سلسلة كتاب الشهر، رقم (١٠٠).
- من شهداء (الكرامة): سلطان محمود الكوفحي، عمّان، ٢٠٠٦م.
- خواطر الرافعي في تفسير القرآن وإعجازه، (جمع وتحقيق)، الشركة الجديدة للطباعة والتجليد، عمّان، ٢٠٠٦م.
- محنة المبدع : دراسات في صياغة اللغة الشعرية، منشورات أمانة عمّان الكبرى، ٢٠٠٦م.
- قصائد حب في عمّان (بـالاشـتراك)، أمانة عمان الكبرى: بيت الشعر الأردني، ٢٠٠٦ م .
- ديوان إربد الشعري، (جمع وتقديم)، منشورات وزارة الثقافة، عمّان، ٢٠٠٧م.
- معجم أدباء إربد: الشعراء، منشورات وزارة الثقافة، عمّان، ٢٠٠٨م.
- تحت شجرة التوت، (مجموعة شعرية للأطفال)، سلسلة كتب الأطفال ٢٥، وزارة الثقافة، عمّان، ٢٠٠٨.
- شعر محمد جمال عمرو للأطفال: محاور المضمون وظواهر التشكيل الفني، دار المأمون للنشر والتوزيع ، عمّان ، ٢٠١٣ .
- قراءة في شعر عبد الرحمن بارود ، دار المأمون للنشر والتوزيع ، عمّان ، ٢٠١٤ .
- الأعمال الشعرية، دار الإسراء للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠١٩.
- أدب الطفل والناشئة: قراءة في نماذج من القصة والرواية، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمّان٢٠٢٠.

I B R A H I M   K O F A H I

يشتملُ هذا الكتاب على مجموعةٍ من القراءات في (أدب الطفل والناشئة)، تناولتُ فيها على وجه التحديد فَنَّي: القصة القصيرة والرواية، دون سائر أشكاله الأخرى، حيث جرى التوقّف عند واحدٍ وثلاثين عملاً، في محاولةٍ لتقديمها من خلال (قراءةٍ استطلاعيةٍ) ترمي إلى تنوير هذه الأعمال الإبداعية من نواحيها المختلفة المضمونية واللغوية والفنية. وقد حرصتُ على أنْ تأتيَ هذه الأعمالُ من التوسّع والتنوّع، فلمْ أقتصرْ في النماذج المدروسة على أعمال كاتبٍ واحدٍ، أو كُتّاب قُطْرٍ معيّنٍ، بل جاء مؤلّفوها ينتمون إلى عدّة أقطارٍ عربيةٍ، هي (السعودية، ولبنان، ومصر، والكويت، وفلسطين، والإمـارات، والأردن، وسورية، وعُمان، والمغرب، والبحرين، والعراق). كما لم تقتصرْ هذه النماذجُ على معالجة موضوعٍ محدّدٍ، في إطار أهداف أدب الأطفال ومقاصده التربويّة والتعليميّة، بل تعدّدت الموضوعاتُ التي تتناولها، والمضامينُ التي يحاول الكُتّابُ إيصالها إلى المتلقّي/ الطفل أو الناشئ، كما نلحظُ على المستوى البلاغيّ والفنيّ تعدّدَ أساليب التعبير، وتقنيات التصوير، ووسائل الإثارة والتأثير- ممّا يُعين على تقديم صورةٍ من الإحاطة والصفاء لما يؤلّف ويُنشر للطفل العربيّ في وقتنا الراهن هنا وهنالك.

إبراهيم الكوفحي

دار الخليج للنشر والتوزيع

الأردن: عمّـــــان، العبدلي تلفاكس: 00962 6 464 7559

daralkhalij@gmail.com daralkhalij1998 daralkhalij

تتوفر أصداراتنا على: GET IT ON Google play جملون نيل وفرات.كوم

9 789957 675615

Designed By S. Alyousef